الباب الثانى

الخلاص والمسيح
ويشتمل على خمسة فصول

الفصل الأول: ألقاب المسيح باعتباره مخلصًا فى التصور المسيحى

الفصل الثانى: دعوى التجسد الإلهى وأهميتها للخلاص المسيحى

الفصل الثالث: دعوى صلب المسيح وأهميتها للخلاص المسيحى

الفصل الرابع: دعوى قيامة المسيح وأهميتها للخلاص المسيحى

الفصل الخامس: الشعائر المصاحبة لعقيدة الخلاص.

الفصل الأول

ألقاب المسيح باعتباره مخلصًا فى التصور المسيحى

تمهيد:

إن الخلاص المسيحى يقوم على أساس أن المسيح هو المخلص ولا مخلص سواه. وقد أطلق النصارى عليه كثيرًا من الألقاب والتى تعبر عنه كمخلص.

ولقد ذكروا المسيح فى العهد الجديد بأسماء وألقاب كثيرة تربو على المائة والعشرين[١] ومعظمها أطلقت عليه باعتبار الوظيفة التى ألصقها النصارى به وهى وظيفة المخلص.

ونحن نقتصر فى هذه الدراسة على الألقاب[٢] الأكثر تداولاً وذكرا بين النصارى والتى يظهر فيها وضوح إطلاقها على المسيح المخلص.

وهذه الألقاب هى: المسيح

ابن الله

كلمة الله

الرب

عمانوئيل

ابن داود

---

(١) راجع قاموس الكتاب المقدس ص٨٨٦ ـ ٨٨٨.

(٢) ولقد اقتصرنا على ذكر الألقاب فقط لأنها تختص بالوظيفة. يقول القس إنسطاسى شفيق (والاسم يختلف عن اللقب، لأن اللقب يختص بالوظيفة، لكن الاسم يختص بالطبيعة، وألقابه كثيرة منها المسيح) أ. هـ اللاهوت فى إنجيل يوحنا. ويقول"والألقاب تدل على أمجاده الإلهية والوظائف التى اتخذها" أ. هـ الفداء فى إنجيل لوقا ص١٨٧.

المسيح

إن لقب "المسيح" أكثر الألقاب تداولاً بين النصارى وذكرا فى الكتاب المقدس وهو اللقب الأساسى للمخلص عندهم.

يقول بنيامين بنكرتن: "المسيح اللقب الرسمى للرب"[١] ولقد لقب المسيح بهذا اللقب لأنه مفرز ومكرس للخدمة والفداء[٢].

والمرادف لهذا اللقب "مسيا"[٣].

وكلمة "مسيا" أو "مشيخا" عبرية الأصل ولقد ترجمت إلى اليونانية "كريستوس" وتعنى الممسوح. فكلمة "مسيا" تعنى ممسوح وكلمة "المسيح" تعنى الممسوح[٤].ولقد ذكر يوحنا ذلك فى إنجيله فقال: "مسيا الذى تفسيره المسيح"[٥].

أما معنى هذا اللقب يقول/ إبراهيم لوقا: جاء فى المعاجم[٦] إن هذا الاسم ـ المسيح ـ يطلق على القطعة من الفضة، والعرق، والصديق، والدرهم الأملس الذى لا نقش عليه، والكثير السماحة، والممسوح بمثل الدهن وبالبركة، ولقب عيسى بن مريم لأن الله مسحه كاها ونبيًا وملكًا[٧]. "فالمسيح كلمة تفيد فى أصل وضعها عن شخص مدهون بدهن المسحة (أى ممسوح) بقوة الله سرًا للقيام بمهمة

---

(١) تفسير إنجيل متى ص١٦.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص٨٦٠.

(٣) اللاهوت فى إنجيل يوحنا: هامش ص٦٧.

(٤) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٤٢.

(٥) يوحنا ١: ٤١.

(٦) المسيح: الممسوح بمثل الدهن والبركة ليكون ملكًا أو نبيًا وهذه من عادات اليهود والنصارى وتعنى: الأعور. ورجل مسيح الوجه: ليس على أحد شقى وجهه عين ولا حاجب، والعرق يمسح من الوجه، والمنديل الخشن يمسح به. والمسيحة: الذؤابة أو ما نزل من الشعر فلم يعالج بدهن ولا شىء، ومن رأس الإنسان: ما بين الأذن والحاجب يتصعد حتى يكون دون اليافوخ ـ فجوة مغطاة بغشاء تكون عند تلاقى عظام الجمجمة ـ والقطعة من الفضة، والدرهم الأملس، والقوس الجيدة. المعجم الوسيط حـ٢ ص٨٦٨.

(٧) المسيحية فى الإسلام ص١٢٣.

عظمى من قبل الله سواء كان كاهنًا أو ملكًا ولكن مع توالى الزمان أطلقت أكثر على الملوك[١].

يقول د/ أحمد السقا: فأصل كلمة المسيح على الحقيقة المسح بالزيت أو الدهن وعلى المجاز المصطفى من الله لمهمة أرادها منه[٢].

فكلمة المسيح تعنى فى الأصل المسح بالزيت ثم استعملت فى مسح الملوك والكهنة والأنبياء. والواقع أن هذا اللقب يرجع إلى الشعائر الأولى التى درجت عليها الأمة اليهودية منذ أجيالهم الأولى بل منذ أبيهم الأول يعقوب الذى سمى "إسرائيل" والذى من صلبه خرج جميع الأسباط الاثنى عشر الذين تكون منهم ومن أبنائهم يهود الدنيا. فمنذ عهد يعقوب "إسرائيل" اعتبر المسح بالزيت المقدس[٣] من أعظم شعائر التقديس والتكريم للناس وللأماكن فكل ما يمسح بهذا الزيت يصير مقدسًا لله، ولا يمسح بهذا الزيت المقدس من الناس سوى الكهنة والملوك والأنبياء لذلك سموا هؤلاء مسحاء الله أى المختارين والمباركين من الله[٤].

وأول ما ورد عن المسح بالزيت المبارك كشعيرة من شعائر التقديس والتكريم إنما هو فى الإصحاح الثامن والعشرين من سفر التكوين حيث روى عن يعقوب أنه "بكر فى الصباح وأخذ الحجر الذى وضعه تحت رأسه وأقامه عمودًا وصب زيتا على رأسه. ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل ـ أى بيت الله[٥].

ويستطرد يهوه مذكرا شعبه بقيمة هذا الزيت المقدس، ففى الإصحاح الثلاثين من سفر الخروج أن "الرب كلم موسى قائلاً: وأنت تأخذ لك أفخر الأطياب... دهنًا

---

(١) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص١١٩.

(٢) يوحنا المعمدان بين النصرانية والإسلام ص٦٨.

(٣) الزيت المقدس: عبارة عن زيت الزيتون، ويوضع عليه بعض العطور، ويقرأ عليه بعض التسابيح والتعاويذ. ويباركه الكاهن الأعظم، ويسمى بالزيت المقدس، لأنهم كانوا يستعملونه باسم الرب (مزمور ٨٩: ٢٠) راجع قاموس الكتاب المقدس ص٤٣٨.

(٤) المسيح إنسان أم إله ص٩.

(٥) تكوين ٢٨: ١٨، ١٩.

مقدسًا للمسحة يكون وتمسح به خيمة الاجتماع وتابوت الشهادة والمائدة وكل آنيتها والمنارة وآنيتها ومذبح البخور ومذبح المحرقة وكل آنيته والمرحضة وقاعدتها. وتقدسها فتكون قدس أقداس. وكل ما مسها يكون مقدسًا وتمسح هارون وبنيه وتقدسهم.. وتكلم بنى إسرائيل قائلاً يكون هذا لى دهنًا مقدسًا. للمسحة فى أجيالكم"[١][٢].

"ثم أخذ موسى دهن المسحة ومسح المسكن وكل ما فيه وقدسه. ونضح منه على المذبح سبع مرات ومسح المذبح وجميع آنيته والمرحضة وقاعدتها لتقديسها. وصب من دهن المسحة على رأس هارون ومسحه لتقديسه. ثم قدم موسى بنى هارون وألبسهم أقمصة ونطقهم بمناطق وشد لهم قلانس كما أمر الرب"[٣] هذا عن المسح بالزيت المقدس فلقد مسح يعقوب بعض الأماكن وكذلك مسح موسى هارون وأهله وبعض الأماكن،

أما عن اللقب "المسيح" الذى أطلق على عيسى بن مريم فهل هو مقصور على عيسى أم أنه أطلق على غيره؟

تحدثنا التوراة والتفاسير أن لفظ المسيح قد أطلق على غيره[٤].

فلقد أطلق لقب المسيح على "شاول" وذلك عندما طلب الله من صموئيل أن يمسح شاول ليكون مسيحًا لشعب إسرائيل.

جاء فى سفر صموئيل الأول (والرب كشف أُذن صموئيل قبل مجىء شاول بيوم قائلاً غدًا فى مثل الآن أرسل إليك رجلاً من أرض بنيامين. فامسحه رئيسًا لشعبى إسرائيل فيخلص شعبى من يد الفلسطينيين لأنى نظرت إلى شعبى لأن صراخهم قد جاء إلى، فلما رأى صموئيل شاول أجابه الرب هوذا الرجل

---

(١) خروج ٣٠: ٢٣ ـ ٣١.

(٢) راجع "حياة المسيح" للعقاد ص٢٩، المسيح إنسان أم إله ص٩.

(٣) لاويين ٨: ١٠ ـ ١٣.

(٤) محمد مجدى مرجان: الله واحد أم ثالوث ص١١٤.

الذى كلمتك عنه. هـذا يضبط شعبى. فتقدم شاول إلى صموئيل فى وسط الباب وقال أطلب إليك أخبرنى أين بيت الرائى. فأجاب صموئيل شاول وقال أنا الرائى)[١].

"فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه وقبله وقال أليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيسًا"[٢] وبهذا صار شاول مسيحًا وملكًا على اليهود.

ولما مات شاول جاء جميع أسباط إسرائيل إلى داود إلى حبرون وتكلموا قائلين هوذا عظمك ولحمك نحن، ومنذ أمس وما قبله حين كان شاول ملكًا علينا قد كنت أنت تخرج وتدخل إسرائيل وقد قال لك الرب أنت ترعى شعبى إسرائيل وأنت تكون رئيسًا على إسرائيل، وجاء جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك إلى حبرون فقطع الملك داود معهم عهدًا فى حبرون أمام الرب ومسحوا داود ملكًا على إسرائيل[٣] وهكذا أطلق لقب المسيح على داود باعتباره ملكًا على إسرائيل ثم تولى ملك إسرائيل بعد وفاة داود ابنه سليمان وصار أيضًا "مسيحًا" أو أطلق عليه أيضًا لقب "المسيح" ويذكر ذلك سفر الملوك الأول (فأخذ صادوق الكاهن قرن الدهن من الخيمة ومسح سليمان وضربوا بالبوق وقال جميع الشعب ليحيا الملك سليمان)[٤].

والنبى "إيليا" يأمره ربه بأن يمسح بعض الأشخاص ملوكًا اللهم إلا "اليشع" فيمسحه نبيًا على بنى إسرائيل طبقًا لما ورد فى سفر الملوك الأول: "وكان كلام الرب إليه يقول مالك هاهنا إيليا. فقال قد غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى ليأخذوها، فقال اخرج وقف على الجبل أمام الرب. وإذا بالرب عابر وريح عظيمة وشديدة..... وإذا بصوت إليه يقول مالك هاهنا يا إيليا. فقال غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى ليأخذوها. فقال له الرب اذهب راجعًا فى

---

(١) صموئيل الأول ٩ : ١٥ ـ ١٨.

(٢) صموئيل الأول ١٠ : ١.

(٣) صموئيل الثانى ٥ : ١ ـ ٣.

(٤) ملوك أول ١ : ٣٩.

طريقك إلى برية دمشق وادخل وامسح **حزائيل ملكًا على أرام وامسح يا هو بن نمشى ملكًا على إسرائيل وامسح أليشع بن شافاط من آبل محولة نبيًا عوضًا عنك**"[١].

وهكذا اشترك فى لقب المسيح عدد غير قليل من أبناء وملوك بنى إسرائيل قبل أن يطلق على المسيح عيسى بن مريم، بل إنه أطلق على كورش الوثنى. ففى سفر إشعياء "هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذى أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أممًا وأحقاء وملوك أحل لأفتح أمامه المصراعين والأبواب لا تغلق"[٢].

إذن ما وجه التفرقة بين إطلاق لقب "المسيح" على هؤلاء الأنبياء والملوك وإطلاقه على عيسى بن مريم؟

يقول حبيب سعيد: لقد كان المسيح إنسانًا كاملاً معصومًا من الخطيئة خلافًا لسائر الأنبياء والمرسلين ولكنه لم يكن عبقريًا دينيًا ولا مجرد رسول بل كان "كلمة الله وروحه" كان إلها متجسدًا أعلن للناس فى حياته ذات الله ومحبته وصفاته للبشر[٣] (بمعنى أن المسيح هو الملك الموعود به لإسرائيل أى أن بنى إسرائيل وعدوا بملك من نسل داود[٤] ليملك عليهم ملكًا ممتازًا عن كل الملوك الذين جربوهم)[٥] أى أن المسيح ـ فى اعتقادهم ـ قد انفرد عن باقى الملوك والأنبياء الذين أطلق عليهم هذا اللقب بأنه هو "المسيح المخلص" ففى الرسالة إلى العبرانيين جاء (مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك)[٦].

ولقد أطلق على المسيح هذا اللقب وأريد به هذا المعنى ـ المسيح المخلص ـ وذلك بعد أن انتهت حياة المسيح على الأرض، وأغلب الظن أن أول من أطلق **هذا اللقب بهذا المعنى هو بولس**.

---

(١) ملوك أول ١٩ : ١٠ ـ ١٦.

(٢) إشعياء ٤٥ : ١.

(٣) حبيب سعيد: أديان العالم ص٢٥٦.

(٤) سنذكر فى هذا الفصل فيما بعد مدى انطباق لقب ابن داود على المسيح عيسى بن مريم.

(٥) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص١١٩ ـ ١٢٠.

(٦) عبرانيين ١ : ٩.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: بعد أن امتلأ التلاميذ من الروح القدس بعد قيامة المسيح تغيرت نظرتهم وعقيدتهم فى شخص يسوع فهم الآن على استعداد للانطلاق والتبشير بيسوع المخلص من الخطايا هذا ما قد أقره واعترف به الرسل بأن يسوع الناصرى هو المسيح وهو ابن الله وهذا الأمر واضح كل الوضوح فى العهد الجديد بصفة عامة وفى رسائل بولس بصفة خاصة[١] ثم يقول"إن بولس هذا هو أول من دون رسائل وهذه الرسائل تحتوى على تعاليم عامة ولكن معظمها يقدم لنا بعض العقائد عن المسيح، والدارس المدقق يجد فى رسائل بولس ما يمكننا أن نسميه "بقانون الإيمان" وقد استعملت الكنيسة الأولى هذه القوانين عند قبولها للذين كانوا ينضمون إلى المسيحية ويطلبون العماد[٢]

والشاهد مما سبق: أن المؤلف المسيحى ذكر أن "المسيح المخلص" بهذا المعنى أطلق على عيسى بن مريم بعد قيامة المسيح، وهذا المعنى واضح بصفة عامة فى الأناجيل وبصفة خاصة فى رسائل بولس، ثم يذكر أن أول رسائل كتبت فى المسيحية هى رسائل بولس، وعليه فإن رسائل بولس هى أول من أطلقت على المسيح أنه "المسيح المخلص".

فبولس إذاً هو أول من نادى بجعل عيسى هو المسيح الرئيس المسيح المنتظر ـ المخلص ـ وذلك بعد رفع عيسى إلى السماء. ففى الإصحاح التاسع من سفر أعمال الرسل (وأما شاول ـ بولس ـ فكان يزداد قوة ويحير اليهود الساكنين فى دمشق محققًا أن هذا هو المسيح) [٣] ولقد شهد يوحنا المعمدان بأنه ليس هو المسيح المنتظر وقال "أنتم أنفسكم تشهدون لى: أنى قلت لكم لست أنا المسيح بل أنا مرسل أمامه"[٤] ولما ظنه اليهود المسيح أخبرهم أن المسيح المنتظر ليس عيسى وإنما سيأتى من بعده، وبولس ادعى أن الآتى من بعد يوحنا هو عيسى وأنه المسيح المنتظر وذلك لقصر النبوة على بنى إسحاق إلى الأبد وقفل باب النبوة فى وجه بنى إسماعيل (قال

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٣٨٤.

(٢) المرجع السابق ص٣٨٥.

(٣) أعمال الرسل ٩: ٢٢.

(٤) يوحنا ٣: ٢٨.

بولس: إن يوحنا عهد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذى يأتى بعده أى المسيح يسوع)[١] مع أن عيسى عليه السلام قد نادى مع يوحنا المعمدان بأن ـ المسيح آت من بعده وسأل الفريسيين: ماذا تظنون فى المسيح؟ وقد كانوا يعتقدون أنه سيكون من ذرية داود عليه السلام من سبط يهوذا. فقال له الفريسيون: من نسل داود فقال لهم: لن يكون من نسل داود لأن داود قال نبوءة عن المسيح المنتظر وعد فيها أن المسيح المنتظر سيكون سيده، فلو كان المسيح المنتظر من نسل داود ما كان دواد يقول عنه إنه سيده[٢].

يقول متى: وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً: ماذا تظنون فى المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود، قال لهم فكيف يدعوه داود بالروح ربًا[٣] قائلاً: قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك. فإن كان داود يدعوه ربًا فكيف يكون ابنه. فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة[٤].

فعيسى بن مريم عليه السلام بين بالحجة الواضحة للفريسيين أنه ليس هو المسيح المنتظر.

يقول د/ فهيم عزيز (إن يسوع لم ينسب لنفسه هذا اللقب فى أى من المواقف التى ورد فيها اللقب)[٥] وإذا لم ينسب المسيح لنفسه هذا اللقب باعتباره مخلصًا فإنه من أقوى الأدلة على أن نسبة هذا اللقب إلى المسيح لا تفترق عن نسبته إلى غيره من أنبياء وملوك بنى إسرائيل، ونسبة اللقب إليه باعتباره نبيًا ورسولاً اختاره الله واصطفاه وأرسله إلى بنى إسرائيل ليدعوهم إلى توحيد الله وعدم الإشراك به.

ابـــن الله

مدلول الابن اللغوى يدل على ولادة طبيعية من أب وأم فالابن الولد الذكر نتيجة لولادة طبيعية. ولكن لفظة (ابن) جاءت فى الكتاب المقدس لمعان مختلفة.

---

(١) أعمال ١٩ : ٤.

(٢) د/ أحمد السقا: يوحنا المعمدان بين النصرانية والإسلام ص٧٠ ، ٧١.

(٣) قول داود فى المزمور العاشر بعد المائة (١١٠ : ١).

(٤) متى ٢٢ : ٤١ ـ ٤٦.

(٥) المدخل إلى العهد الجديد ص٢٠٠.

١ ـ للابن باعتبار نسبته إلى أبيه.

٢ ـ للإشارة إلى التسلسل كبنى إسرائيل أى نسل إسرائيل.

٣ ـ للإشارة إلى المسكن أو الوطن كأبناء صهيون أى أهل صهيون أو سكان صهيون.

٤ ـ للتلميذ أو العابد كأبناء الأنبياء وأبناء الله وبهذا المعنى تنسب إلى الملوك (مزمور ٢ : ٧) وإلى الملائكة (أيوب ١ : ٦ ، ٣٨ : ٧) وإلى عبدة الله كشعبه الحاضر (تكوين ٦ : ٢ ، تثنية ١٤ : ١ ، يوحنا ١ : ١٢ ، رومية ٨ : ١٤ ـ ١٩).

٥ ـ للإشارة إلى صفة أو نسبة أخرى كابن سنة (أى حولى) وبنى يليعال (أى أشرار) وابن الهلاك (أى الذى يستحق الهلاك). ودعى البشر أبناء الله لأنه خلقهم ـ كما يقولون ـ على صورته ولذلك دعى تعالى: أب الجنس البشرى وخاصة أب المؤمنين، ودعى المسيحيون أبناء الله بناء على ما يعتقدون بالولادة الثانية الروحية وتبنى الله لهم وقبوله إياهم فى عهد النعمة ونرى لفظة ابن[١] مستعملة فى هذا المقام دائمًا فى صيغة الجمع سواء كانت الإشارة بها إلى البشر أو الملائكة فلم ترد فى صيغة المفرد إلا للإشارة إلى الأقنوم الثانى من الثالوث سوى مرة واحدة فى لوقا[٢] حيث دعى آدم باعتباره رأس الجنس البشرى ابن الله لكونه مخلوقًا من الله رأسًا بدون أن يكون له أب من البشر[٣].

فلقد أطلق لقب ابن الله فى الكتاب المقدس على كثيرين ـ كما سنبين ذلك فيما بعد ـ ولكنهم يقولون إن إطلاق لقب "ابن الله" على المسيح يختلف عن إطلاق لقب ابن الله على غيره، إذ إن إطلاق لقب "ابن الله"[٤] على المسيح يدل على ألوهيته وأقنوميته ـ أى أصلاً من أصول الإيمان ـ لذلك يقولون إنه "ابن الله" أى ذات الله. وإزاء هذا يقولون إن إطلاق لقب ابن الله لا يدل على ولادة طبيعية بالمعنى الحقيقى بل هو ابن الله بالمعنى المجازى.

---

(١) الكلام منقول عن (علم اللاهوت النظامى) ص٣٠٦.

(٢) لوقا ٣ : ٣٨.

(٣) علم اللاهوت النظامى ص٣٠٦.

(٤) يقول القس إنسطاسى شفيق: وقد استعمل لقب "ابن الله" فى العهد الجديد ما يقرب من "٤٤" مرة عن يسوع المسيحى أ.هـ راجع هامش اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص٧٤.

يقول عوض سمعان: (كلمة "ابن" فى الاصطلاح (ابن الله) لا يراد بها المعنى الحرفى بل المعنى المجازى إذ يراد بها (الكائن الذى يعلن الله غير المنظور) فقد قال الكتاب المقدس (الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبّر)[١] وقال المسيح عن نفسه "من رآنى فقد رأى الآب"[٢] وبما أنه لا يعلن الله إلا الله وحده لأنه تعالى لا نظير له على الإطلاق لذلك فالكائن الذى يدعى (ابن الله) هو ذات الله معلنًا وظاهرًا[٣] فالمسيح فى اعتقاد المسيحيين ابن الله بمعنى أنه "ذات الله المعلنة" أى أنه لقب لا يدل على الولادة الجسدية بل الولادة الروحية التى تعنى ذات الله ـ كما يقولون ـ أو ألوهية المسيح.

يقول القس إنسطاسى شفيق (ومدلول البنوة لا يفيد الولادة الطبيعية بل بالحرى يفيد الوحدة فالابن والآب كلاهما طبيعة واحدة وجوهر إلهى واحد لذلك عبر عن هذه الوحدة بتسمية ذاته (الآب والابن)[٤]. ويقول (يجب تفهم عبارة) "ابن الله" بأن الله متجسد عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد[٥].

وفى كتاب (ما معنى المسيح ابن الله؟) جاء: "يجب أن نستبعد من أذهاننا الولادة الجسدية"، إن المعنى الجسدى لكلمة "الابن" لا ينطبق على "أقنوم الابن" لأن هذا لا يتفق مع روحانية الله وطبيعته السماوية[٦].

فلقب "ابن الله" الذى أطلق على المسيح إنما يعنى الدلالة على الطبيعة الإلهية التى يتميز بها المسيح وسنزيد ذلك وضوحًا فى الفصل الخاص بالتجسد.

ويقولون إن بنوة المسيح لله لا ينقض كونه رسولاً من الله. يقول إبراهيم لوقا: نحن نعترف بأن المسيح رسول الله ونرى أنه ليس فى هذا الإقرار والإعلان ما يضير العقيدة المسيحية أو ما ينفى ألوهية المسيح فإن المسيحية تعتقد أن المسيح هو ابن الله

---

(١) يوحنا ١ : ١٨.
(٢) يوحنا ١٤ : ٩.
(٣) عوض سمعان: طريق الخلاص ص٢٢.
(٤) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص١٠٩.
(٥) المرجع السابق ص١١٠.
(٦) نخبة من علماء اللاهوت: ما معنى المسيح ابن الله؟ ص١٠.

ورسول الآب من السماء معلنة أنه (لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة مولودًا تحت الناموس ليفتدى الذين هم تحت الناموس)[١] والمسيحية لم تر منذ نشأتها فى اعتبار المسيح رسولاً ما ينفى لاهوته الممجد، والإنجيل مفعم بأقوال المسيح التى اعتبر فيها نفسه رسولاً لأبيه إلى العالم[٢]، بل إن الإنجيل كله يدور حول هذا المحور وهو إرسالية المسيح إلى العالم ليمنحه حياة ويبدد ما يحيط به من ظلمات الجهل ويحرره من سلطان عبودية الخطية القاسية[٣].

ويقول "ليت شعرى أى تناقض بين بنوة المسيح لله وبين إرساليته إلى العالم؟ ولماذا تعتبر رسالته ناقضة لحقيقة لاهوته؟ أفلا يرسل الآب ابنه مندوبًا عنه لإتمام مأمورية عظمى لا يستأمن عليها خدمه ووكلاءه؟ أو ليس هذه بعينه ما تم فى المسيح يسوع وهو أن الآب أرسله إلى العالم وهو ابنه الوحيد ليتمم بشخصه الفداء الذى لم يكن ممكنًا لملاك ولا لرئيس ملائكة أن يتممه بما يوفى حقوق العدل والرحمة معًا ويبرر الإنسان مع الاحتفاظ ببر الله وعدله"[٤].

ونحن نقول إن اعتراف المسيح بكونه رسولاً من عند الله ينقض قولكم ببنوة المسيح لله الدالة على ألوهيته، ذلك لأن معنى كونه رسولاً من عند الله أنه يدعو الناس لعبادة من أرسله، يدعو الناس لعبادة الله وحده ولا شريك له، والرسل اصطفاهم الله لدعوة الناس لعبادته وحده لا شريك له، وحاشا لرسل الله أن يكون واحد منهم قد ادعى الألوهية لنفسه ودعا الناس إليها مع الدعوة إلى ألوهية الله وحده لا شريك له.

فإما أن يكون المسيح رسولاً. أو إلهًا. وهو اعترف بالرسالة فهو ليس بإله؛ فالرسل جميعًا دعوا إلى التوحيد الذى لا شائبة فيه. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن إرسال الله المسيح يعنى أنه ليس مساويًا له فى الطبيعة والجوهر، فالله أمره

---

(١) غلاطية ٤ : ٤.

(٢) يوحنا ٣ : ١٧ ، ٤ : ٣٤ ، ٥ : ٢٣، ٣٦ ، ٦ : ٤٤، ٩ : ٤، ١٠ : ٣٦.. إلى آخره.

(٣) المسيحية فى الإسلام ص١١٣.

(٤) المصدر السابق ص١١٤.

بأن يدعو الناس لعبادة الله، أى كلفه بالرسالة وهذا الأمر يعنى أنه أقل منه فى الطبيعة والجوهر فإن الأمر والتكليف يكون من الأعلى للأدنى لا للمساوى له.

وتعليقنا على إطلاق لقب "ابن الله" على المسيح يتلخص فى:

معرفة من أطلق هذا اللقب على المسيح بالمعنى الذى يدل على الألوهية؟

وهل هذا اللقب خاص بالمسيح وحده؟ وما المعنى الذى يجب أن يفهم من هذا اللقب؟

❖ أما من الذى أطلق هذا اللقب على المسيح. فيقول ستيفن نيل: ولقب "ابن الله" لم يكن شائعًا فى أسفار العهد الجديد ففى بعض الأسفار مثل رسالة يعقوب ورسالة بطرس الأولى لم يرد إطلاقًا ولم يرد فى سفر الرؤيا إلا مرة واحدة[١] وفى سفر الأعمال ورد مرتين[٢] إحداهما جاء اقتباسًا عن (مزمور ٢ : ٧) ولم يرد مطلقًا فى العظات الأولى من هذا السفر الذى يحاول لوقا أن يرسم لنا فيها صورة للرسل وهم يجتهدون فى إدراك معنى المسيح المقام فى حياة الناس.

أما بولس فهو الذى نادى بعد اهتدائه فى المجمع قائلاً (هو ابن الله)[٣]

ويميز كاتب سفر العبرانيين تمييزًا صارخًا بين الأنبياء وبين الابن الذى هو أعلى من الملائكة (الله بعد ما علم الآباء والأنبياء قديمًا... كلمنا فى هذه الأخيرة فى ابنه)[٤] ولكن بولس هو الذى يقتادنا أكثر من أى كاتب آخر إلى الإيمان بيسوع ابن الله، وقد استند إيمانه هو شخصيًا إلى "ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى"[٥] ابن الله يسوع المسيح الذى كرز به بينكم[٦] وهو الذى قال إن الهدف هو "أن نكون مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكر أبيه إخوة كثيرين"[٧][٨].

---

(١) رؤيا ٢ : ١٨.

(٢) أعمال الرسل ١٣ : ٣٣، ٩ : ٢٠.

(٣) أعمال الرسل ٩ : ٢٠.

(٤) عبرانيين ١ : ٢.

(٥) غلاطية ٢ : ٢٠.

(٦) ٢ كورنثوس ١ : ١٩.

(٧) رومية ٨ : ٢٩.

(٨) ستيفن نيل: من هو المسيح؟ ترجمة حبيب سعيد ص٥٤ ـ ٥٥.

ويقول د/ فهيم عزيز: أما إذا أتينا إلى العهد الجديد فإننا نجد بعيدًا عن الأناجيل ـ أن الكتاب المقدسين لا يستخدمون هذا اللقب ـ ابن الله ـ كثيرًا فيما عدا بولس وكاتب العبرانيين ورسالتى يوحنا الأولى والثانية أما بقية الكتب فنادرًا ما نجد هذا اللقب فيها.

وفى كتابات بولس نجد لقب "ابن الله" ٤ مرات (ابنه) ١١ مرة "الابن" مرتين، مع أنه يستخدم لقب الرب ثمانية أضعاف لقب الابن، ويظن (فنست تايلور) أن ـ السبب فى ندرة هذا اللقب عند الكنيسة الأولى هو أن لقب "ابن الله" كان يستخدم فى التعليم بينما استخدم لقب "الرب" فى الصلاة والعبادة، فالكنيسة آمنت "بابن الله" وكانت تناجى "الرب". فابن الله هو موضوع الإيمان بينما الرب هو موضوع العبادة[1].

والتعليل بندرة استخدام الكنيسة الأولى لهذا اللقب بأنه يستخدم فى التعليم تعليل غير مفهوم، حيث إن التعليم الإيمانى يسبق الصلاة والعبادة، فالإنسان يصلى ويعبد من يؤمن به لا أنه يصلى ويعبد ثم يؤمن، فهو تعليل غير مفهوم حيث إن العبادة تطبيق لمضمون الإيمان فحيث إن موضوع الإيمان هو "ابن الله" فيجب أن يؤمن به ويعلم ما يؤمن به من قبل المناجاة والعبادة، لأن المؤمن بالديانة المسيحية يبتهل بالشكر لله الذى أنعم عليهم بابن الله الذى خلصهم من الخطيئة. فكيف لا يستخدم لقب ابن الله فى العبادة وهو مصدر وسبب للصلاة والعبادة والمناجاة والشكر؟. والواقع أن سبب ندرة هذا اللقب فى الكنيسة الأولى لأنها كانت تعلم بأن المسيح رسول الله لا أنه ابن الله المخلص.

إن دعوة بولس للمسيح بأنه ابن الله جاءت ـ كما يقول هنتر ـ منقطعة النظير فهى شىء يختلف تمامًا عن لغة أسفار العهد القديم ولغة الأناجيل ورسائل التلاميذ لأنها تقوم على الألوهية الأزلية للمسيح.. "لقد سمى بولس يسوع" "ابن الله" أربع مرات

---

(١) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص١٤١.

والابن مرتين و"ابنه" لا أقل من إحدى عشرة مرة، وعندما سمى بولس يسوع ابن الله كان يتحدث عن كائن إلهى، ولمعرفة مصدر هذه التسمية فيجب أن نذهب إلى الهيلينية[١] التى اعتادت على تسمية صانعى الأعاجيب بأنهم أبناء الله[٢].

فالكنيسة الأولى لم تطلق لقب "ابن الله". وكذلك إن إطلاق لقب "ابن الله" على المسيح بالمعنى الذى يراد منه الألوهية لم يعلن فى أسفار العهد القديم ورسائل التلاميذ إنما هو من تعليم وإعلان بولس الذى استقى هذا التعليم من الهيلينية التى اعتادت على تسمية المُخَلّصين بأنهم أبناء الله ولذلك يقول شارل جنيبير: (يمكن لليهودى أن يعتبر نفسه عبدًا ليهوه لا ابنا ليهوه، ونعتقد أنه من المحتمل أن يكون عيسى قد تصور نفسه "عبد الله" وتقدم للناس بهذه الصفة، والكلمة العبرية "عبد" كثيرًا ما تترجم إلى اليونانية بكلمة تعنى "خادمًا" و"طفلاً" على حد سواء، وتطور كلمة "طفل" إلى كلمة "ابن" ليس بالأمر العسير، ولكن مفهوم "ابن الله" نبع من

---

(١) الهيلينية نسبة إلى جماعة كانوا يقومون بخدمة بعض المعابد اليونانية. يقول د/ محمد كامل عياد: إن اليونانيين فى العصور التاريخية كانوا يرجعون أصلهم إلى بقعتين مختلفتين: إحدهما حول جبل (أوليمبوس) فى الشمال من (تسالية) حيث كانت تسكن قبائل الدوريين ومن المعروف أن آلهة اليونان الأصلية هى من سكان هذا الجبل. والبقعة الثانية تقع فى مقاطعة (آبيروس حول مدينة دودون) وغابات جبل (تومارس) حيث كان معبد قديم يتولى خدمته جماعة تسمى (هيللوس) تفسر ما يقوله الإله "زفس" عن طريق صوت القمارى أو حفيف الأشجار وهم ينتسبون إلى قبيلة (هيللوس) ومن هنا اشتق اسم (هيليين) الذى أطلقه اليونانيون على أنفسهم جميعًا على أننا لا نعرف السبب الذى دفع اليونانيين إلى تفضيل هذا الاسم على اسم الأخائيين الذى كان يستخدمه هوميروس فلعلهم اختاروا اسم قبيلة الهيليين الصغيرة لأن لديها قام أقدم معبد لعبادة زفس أكبر آلهتهم وربما يرجع السبب إلى أن هذه القبيلة التى هاجرت مع الآخائيين منذ أقدم العصور قد اتصلت بالأجانب قبل غيرها فانتشر اسمها بينهم وصاروا يطلقونه على جميع اليونانيين ثم اقتبسه عنهم هؤلاء فيما بعد أ. هـ . تاريخ اليونان حـ١ ص١٠٥ والفلسفة الهيلينية هى الفلسفة اليونانية بعد اختلاطها بالديانات الشرقية. لذلك يفرق العلماء بين اصطلاحين ويقصدون بالاصطلاح الأول: الثقافة اليونانية الكلاسيكية من القرون التى سبقت مجئ الإسكندر الأكبر أى أنها الثقافة التى انتشرت فى "المدن الدول"، كمدينة أثينا وغيرها وتشمل هذه الثقافة التفكير اليونانى فى كل أوجهه إلى جانب العوائد والتقاليد وطرق المعيشة والسياسة. والهيلينية فى الاصطلاح الثانى: هى الحضارة التى انتشرت فى حوض البحر الأبيض المتوسط وما يحيط بها مدة قرون ثلاثة تبدأ من انقسام دولة الإسكندر الأكبر بعد موته. راجع د/ فهيم عزيز: فى (التفكير اللاهوتى فى رسائل بولس ص٣٩٧) و"المدخل إلى العهد الجديد ص٥٩ ـ ٦٠).

(٢) أحمد عبد الوهاب: حقيقة التبشير صي٤٦.

الفكر اليونانى[١] فبولس هو الذى استخدم هذا اللقب بهذا المعنى الإلهى وأدخله فى المسيحية ولم يبتكره بل استمده من الثقافة اليونانية.

فبولس هو الذى أدخل هذا اللقب بهذا المعنى حيث لم يقل المسيح عن نفسه إنه "ابن الله" وكذلك لم يقل الحواريون عنه ابن الله. يقول نظمى لوقا (فقد صار أتباع المسيح إلى القول بألوهيته وأنه ابن الله وأنه الإله الواحد جوهر واحد له ثلاثة أقانيم هو الله الآب والله الابن ـ المسيح ـ والروح القدس، ولم يرد على لسان المسيح فى أقواله الواردة فى بشارات حوارييه "الأناجيل" إشارة إلى شىء من ذلك بل كان يدعو نفسه على الدوام بـ "ابن الإنسان"[٢] فالمسيح والحواريون لم يدع واحد منهم أن المسيح ابن الله بمعنى الألوهية لذلك يقول د/ سعد الدين صالح (وهنا يجوز لنا أن نسأل سؤالاً مشروعًا: ما هى مهمة الرسول؟ أليست من مهمته أن يبين للناس كل أصول العقيدة؟ وإذا كانت عقيدة البنوة عقيدة صحيحة فلم لم يبينها؟)[٣].

على أن إطلاق لقب "ابن الله" على المسيح معارض بإطلاق (ابن الإنسان) و"ابن داود"[٤].

إذا تجاوزنا عن كل ما سبق وسلمنا جدلاً بصحة نصوص الإنجيل التى أفادت أن عيسى ابن الله فإننا نقول إن هناك نصوصًا كثيرة فى الإنجيل وصفت عيسى بأنه ابن مريم، وبأنه ابن آدم، وبأنه ابن داود، فهل يا ترى: ابن الله أم ابن آدم أم ابن داود؟

قطعًا إن فى المسألة تناقضًا صريحًا، فإذا تصفحنا الأناجيل الأربعة نجد أن كل واحد منها جعل عيسى ابنا لواحد غير الآخر، فبينما كان يدعوه "متى" دائمًا "بابن إبراهيم" و"ابن داود"، دعاه "مرقس بابن يوسف". أما "لوقا" فقد كان يدعوه بابن آدم وابن الإنسان أما يوحنا فقد دعاه بابن الله[٥] وهو فى هذا يفترق عن الطابع العام

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص٣٩.

(٢) نظمى لوقا: محمد الرسالة والرسول ص٦٥.

(٣) د/ سعد الدين صالح: مشكلات العقيدة النصرانية ص٦٥.

(٤) إظهار الحق ص٣٥٢.

(٥) وليس فى هذا الكلام ما ينقض قولنا السابق بأن بولس هو أول من دعا المسيح بابن الله وذلك لأن رسائل بولس ـ كما قلنا سابقًا ـ هى أول ما دُوّن من كتب العهد الجديد..

لباقى الأناجيل التى دعت المسيح (بابن الإنسان) أكثر من ثمانين مرة[١] وكانت تأتى هذه الدعوة دائمًا على لسان المسيح

إذاً هناك تناقض صريح بين الأناجيل فى هذه القضية وهو مبطل لها[٢] إن التناقض بين الأناجيل يبطل القول ببنوة المسيح الدالة على ألوهيته، ذلك أنه يعنى هل المسيح ابن الله أم ابن الإنسان؟ وما هو الصحيح منهما؟ إن واحدًا من الأناجيل يقول إنه ابن الله، وآخرين يقولون إنه ابن الإنسان وهذا تناقض يبطل القول بالألوهية، حيث إن المسيح لم يقل عنه نفسه إنه إله بل قال إنه ابن الإنسان.

هذا عن اللقب "ابن الله" بالمعنى الدال على الألوهية وتبين لنا أنه ليس من تعاليم المسيح ولا حوارييه بل من تعاليم بولس الذى استمده من الثقافات اليونانية.

❖ ويمكننا القول بأن إطلاق لقب "ابن الله" على المسيح لا يدل على الألوهية، وذلك لأن الكتاب المقدس أطلق هذا اللقب على كثيرين غير المسيح، فلو كان إطلاق اللقب على المسيح يدل على الألوهية فإن معنى ذلك تعدد الألوهية وهذا باطل، وهذا يعنى أن إطلاق لقب ابن الله على المسيح له معنى آخر غير الألوهية وهو القرب من الله سبحان وتعالى.

يقول الأستاذ/ محمد مرجان (ومن يطالع التوراة والأناجيل ورسائل الرسل الحواريين يجد أن لفظ "ابن الله" أو صفة البنوة لله لم ينفرد بها السيد المسيح، بل لقد شاركه فيها كافة الأنبياء والملائكة وجميع المؤمنين، وأن هذا اللفظ "ابن الله" لم يقصد به إطلاقًا المعنى الحرفى له، وإنما قد أطلق كثيرًا وكثر استعماله بالمعنى المجازى ولم يكن يراد به سوى المقربين لله والمؤمنين له)[٣].

وإذا ما حاولنا أن نعرف بعضًا من الأنبياء الذين أطلق عليهم لفظ "ابن الله" فشاركوا بذلك نبى الله عيسى ـ عليه السلام ـ فى بنوته لله ـ نجد أن آدم ويعقوب وداود وسليمان وغيرهم قد دعوا أبناء الله، بل لقد أطلق على بعضهم لفظ "ابن الله" الوحيد إمعانًا فى قربه من الله وحدب الله الآب عليه.

---

(١) قضايا المسيحية الكبرى ص١٥٦.

(٢) مشكلات العقيدة النصرانية ص٦٦.

(٣) الله واحد أم ثالوث ص٩٥.

يذكر لوقا فى الإصحاح الثالث من إنجيله أن آدم "ابن الله"[١]، أما يعقوب عليه السلام فقد أطلق عليه أيضًا لفظ "ابن الله" تقول التوراة: "هكذا يقول الرب: إسرائيل ابنى البكر"[٢] كما دعى داود أيضًا ابن الله ـ داود الذى من سلالته ولد المسيح ـ "يقول الله عن داود فى المزمور التاسع والثمانين (هو يدعونى أبا وأنا أيضًا أجعله ابنى)[٣] وفى سفر صموئيل الثانى يقول الله عن داود أيضًا "أنا أكون له أبا وهو يكون لى ابنا"[٤] ويترنم داود عليه السلام فرحًا ببنوته لله فيقول (إنى أخبر من جهة قضاء الرب. قال لى أنت ابنى. أنا اليوم ولدتك. اسألنى فأعطيك الأمم ميراثًا وأقاصى الأرض ملكًا لك)[٥].

وسليمان عليه السلام دعى أيضًا ابن الله فقد ورد فى أخبار الأيام الأول قول الله عن سليمان (هو يكون لى ابنا وأنا له أبا)[٦].

وكما أطلق لفظ "ابن الله" على الأنبياء أطلق أيضًا على الملائكة فقد ورد فى الإصحاح العشرين من إنجيل لوقا قوله (لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله)[٧] فالملائكة هنا دعوا أبناء الله.

وكما دعى الأنبياء أبناء الله ودعى الملائكة أبناء الله دعى البشر العاديون أيضًا أبناء الله يقول الإصحاح الرابع عشر من سفر التثنية للشعب (أنتم أولاد للرب إلهكم)[٨] وقد أطلق سفر التكوين على المؤمنين بالله من أتباع نوح عليه السلام أنهم أبناء الله يقول سفر التكوين (وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات. فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل من اختاروا)[٩].

---

(١) لوقا ٣ : ٢٨.

(٢) خروج ٤ : ٢٢.

(٣) مزمور ٨٩ : ٢٧ (وفى الطبعة الحديثة أنا أيضًا أجعله بكرًا أعلى من ملوك الأرض) بدلاً من (ابنى).

(٤) ٢ صموئيل ٧ : ١٤.

(٥) مزمور ٢ : ٧ ، ٨.

(٦) أخبار الأيام الأول ٢٢ : ١٠.

(٧) لوقا ٢٠ : ٣٦.

(٨) تثنية ١٤ : ١.

(٩) تكوين ٦ : ١ ـ ٣.

هذه البنوة لله لا ينفرد بها أحد، وليست مقصورة على شخص بعينه، فبنوة الله ليست بالنسب والتناسل ولا باللحم والعروق وإنما هى بنوة روحية مجازية يحصل عليها كل مؤمن بالله عامل بوصاياه. يقول السيد المسيح لبنى إسرائيل موضحًا لهم هذه الحقيقة (إنما بنوة الله بالأعمال وأنتم بأعمالكم أبناء إبليس) [١] ويشرح هذا المعنى الإصحاح الثالث من رسالة يوحنا الأولى بقوله (كل من هو مولود من الله لا يفعل الخطيئة لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطىء لأنه مولود من الله، بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس)[٢] هكذا يتحدد المولودون من الله ويتحدد المولودون من الشيطان، كل من يفعل الخير فهو مولود من الله، وكل من يفعل الإثم فهو مولود من الشيطان من أجل ذلك فإن "كل من يحب فقد ولد من الله"[٣].

وصانعوا السلام أبناء الله (طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله)[٤] ويمكننا جمعيًا أن "نعرف أننا نحن أولاد الله إذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه"[٥].

وفى رسالة بولس إلى أهل غلاطية (أنتم جميعًا أبناء الله)[٦] ويدعو السيد المسيح المؤمنين إلى الفضيلة والخير (لتكونوا أبناء الله لتكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات)[٧].

ثم يوضح السيد المسيح أخيرًا أن بنوته لله لا تفترق فى شىء عن بنوة إخوته من البشر لأبيهم السماوى وأن الله سبحانه إله الجميع وأب الجميع يقول المسيح (إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم)[٨] ويشرح ذلك بولس (إله وأب واحد للكل

---

(١) يوحنا ٨: ٤١ ـ ٤٣.
(٢) ١ يوحنا ٣: ٩، ١٠.
(٣) ١ يوحنا ٤: ٧.
(٤) متى ٥: ٩.
(٥) ١ يوحنا ٥: ٢.
(٦) غلاطية ٣: ٢٦.
(٧) متى ٥: ٤٥.
(٨) يوحنا ٢٠: ١٧.

على الكل وبالكل)[١،٢] وهنا يصح لنا أن نقول إن إطلاق لقب (ابن الله) ليس خاصًا بالمسيح وحده. وعليه فلا يدل اللقب على ألوهية وأزلية من يتصف بهذا اللقب وإلا لتعددت الألوهية وأصبح جميع أفراد البشر المؤمنين آلهة وهو مالا يصح القول به. وعليه فإذا صح إطلاق لقب ابن الله على المسيح فإن المعنى الصحيح لهذه البنوة هو القرب من الله والطاعة له سبحانه وتعالى.

فبنوة المسيح لله بنوة مجازية يقصد بها مجرد الطاعة والولاء من قبل الابن والرعاية والرحمة من قبل الأب وعلى هذا المعنى فلا اختصاص للمسيح بها دون سائر الأنبياء والأولياء[٣].

"والحقيقة أن لفظ "ابن الله" الذى كان يطلق فى بعض الأحيان على السيد المسيح لم يقصد بها ولادة السيد المسيح أو تناسله من الله أو انفراده وحده ببنوة الله وإنما قصد بها فقط إبراز قرب السيد المسيح من الله، يشترك فى هذا القرب الإلهى مع السيد المسيح كافة أنبياء الله وخلصائه وباقى عباده الصالحين"[٤].

فالنبوة لله إن صح إطلاقها على أحد من البشر إنما يكون المراد منها أن هذا الإنسان بار وصالح وهذا المعنى هو الظاهر من إطلاق لقب "ابن الله" على المسيح ويدل على ذلك ما جاء فى إنجيل مرقس ولوقا. فعند صلب المسيح ـ على زعمهم أنه صلب ـ جاء فى إنجيل مرقس أن قائد المائة قال (حقًا كان هذا الإنسان ابن الله)[٥] بينما نقل لوقا قول قائد المائة هكذا (بالحقيقة كان هذا الإنسان بارًا)[٦] ففى إنجيل مرقس "ابن الله" وفى إنجيل لوقا جاء مكان هذا القول لفظ "البار" وهذا يدل على أن المقصود بهذا اللقب هو الطاعة والعمل الصالح والقرب من الله سبحانه وتعالى.

---

(١) أفسس ٤ : ٦.

(٢) راجع الله واحد أم ثالوث ص٩٦ ـ ١٠٠، أدلة اليقين ص٢١٢.

(٣) د/ رفقى زاهر: قصة الأديان ص١٧٤.

(٤) الله واحد أم ثالوث ص٩٤، ٩٥.

(٥) مرقس ١٥ : ٣٩.

(٦) لوقا ٢٣ : ٤٧.

كلمة الله

من أهم ألقاب المسيح التى يقولون عنها إنها تدل على ألوهيته ـ التى هى أهم صفات المخلص ـ كلمة الله. وإن كان البعض يعتبره اسمًا[١] لا لقبًا وذلك ليدلل على مدى ألوهية المسيح وأزليته.

يقول القس إنسطاسى شفيق: تحت لقب "الكلمة" هذا من أسماء المسيح الجوهرية الذاتية التى تعلن لنا من هو، بخلاف أسمائه الرسمية أى ألقابه التى يتلقب بها باعتبار بعض أعماله[٢] ويقول آخر "الكلمة اسم من الأسماء الى تفرد بها المسيح، فموسى لم يدع كلمة الله بل كليم الله، وداود لم يدع كلمة الله بل نبى الله، وإبراهيم لم يدع كلمة الله بل خليل الله"[٣].

وكل الذى ذكره لموسى وداود وإبراهيم إنما هى ألقاب لا أسماء.

وعن الفرق بين إطلاق لقب "ابن الله" ـ و"كلمة الله".

يقول القس إنسطاسى شفيق: فى الكتاب المقدس يذكر الاسم "الكلمة" دائمًا بالاقتران مع الله بينما "الابن" يذكر عادة بالاقتران مع الآب، ولو أنه يذكر أيضًا مع الله كالقول (ابن الله) والسبب فى ذلك هو أن الكلمة بصفة خاصة يعلن الله، والاسم (لوغوس) أو (الكلمة) يتضمن فى معناه ملء الكمال والأمانة فى إعلانه، أما الابن فيعلن الله فى محبته، والاسم (ابن) يتضمن العمق والفيض واللطف والمودة التى تلازمه فى هذا الإعلان، وكلا الإعلانين يتحدان فى نفس الشخص المبارك الذى فيه نرى إلهه وإلهنا وأباه وأبانا والمعلن هو الكلمة والابن الوحيد معًا[٤].

---

(١) ونحن أوردنا كلمة الله تحت ألقاب المسيح وذلك لأنه أطلق على المسيح كلقب لا اسم ذلك أن الاسم: هو علم يدل على ذات معينة مشخصة فى الأغلب دون زيادة غرض آخر من مدح أو ذم أو غيرهما مثل زيد وعمر. واللقب: علم يدل على ذات معينة مشخصة فى الأغلب مع الإشعار بمدح أو ذم إشعارًا مقصودًا بلفظ صريح كزين العابدين. راجع ذلك شرح ابن عقيل ص٤١ ـ ٤٢ أوضح المسالك على ألفية بن مالك ص١٤، النحو الوافى لعباس حسن حـ١ ص٣٠٧ .فكلمة الله لقب من ألقاب المسيح لأنهم قالوا فيه معانى مشعرة بالمدح وجعلوا له معنى وتعليلاً وحيث إن الأسماء لا تعلل فإن تعليلهم لهذا اللقب يدل على أنه ليس اسمًا.

(٢) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص١٥.

(٣) ما معنى المسيح ابن الله؟ ص٤٥.

(٤) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص٢٥.

ويقول عن الفرق بين إطلاق (الكلمة) على المسيح و(إطلاق النور) غير أنه يوجد فرق بين تسمية الأقنوم الثانى (الكلمة) وتسميته (النور) بحيث أن الكلمة بنسبته إلى الله منذ الأزل، ولكن النور بنسبته إلى ما يحتاج إلى الإنارة، لأن النور يذكر بالمقابلة مع الظلمة التى هى نقيضه كما قيل الله نور وليس فيه ظلمة البتة.

لاشك بأن المسيح هو النور أو نور الأنوار منذ الأزل ولكنه يتسمى هذا باعتبار إعلانه الله للآخرين الذى[١] هو بهاء مجده ورسم جوهره[٢].

ويتبين من خلال المقارنة التى عقدها القس السابق بين كلمة الله وابن الله وإطلاق "النور" على المسيح أنه يريد أن يبين المعنى الأزلى لكلمة الله ـ وهو المسيح ـ التى تعنى فى اعتقادهم إعلان الله الذى يتضمن ملء الكمال والأمانة فى إعلانه، لذلك يقول بعض علماء اللاهوت (إن الكلمة الذى هو اسم من أسماء المسيح يراد به الأقنوم "المعلن لله" أو الله معلنا الذى خلق العوالم بأسرها[٣] ويقولون "لو أن شخصًا ما لقب بالكلمة لغزارة علمه وفصاحة بيانه مثلاً يبقى المسيح وحده هو الكلمة أو "كلمة الله" لأنه هو المعبر عن ذات الله، وقد أشار إلى هذه الحقيقة فقال عن نفسه الذى رآنى فقد رأى الآب[٤] كما أشار إليها بولس فقال (لأنه الله الذى قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذى أشرق فى قلوبنا لإثارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح)[٥،٦].

فالمسيح كلمة الله لأنه ـ فى نظرهم ـ المعبر عن ذات الله ـ أى أن المسيح كلمة الله أى فكره أو نطقه. يقول حبيب سعيد: الله يفكر وفكره هو "كلمته" كما أن فكرى هو كلمتى بعد أن أنطق بها، وهذا الفكر يولد فيسمى "ابنا" وأخيرًا يعبرا هذا "الكلمة" أو "الابن" عن شخصية الله. على أن ثمة فارقًا بين الله وبين الإنسان فى ميدان التفكير، فللإنسان فكر كثيرة وآراء متباينة، ولكن لله "فكرًا" واحدًا وعنده "كلمة" واحدة،

---

(١) عبرانيين ١ : ٣.

(٢) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص٤٠ ـ ٤١.

(٣) ما معنى المسيح ابن الله ص٤٦.

(٤) يوحنا ١٤ : ١٣.

(٥) ٢ كورنثوس ٤ : ٦.

(٦) ما معنى المسيح ابن الله ص٤٦.

وهذا "الكلمة" الذى هو "فكر الله" لا نهائى ومعادل لله، فريد لا مثيل له البكر من روح الله، هو "الكلمة" الذى يعلن لنا ذات الله وصفاته، هو "الكلمة" الذى به خلقت كل الأشياء[١].

ويعلق المفكر الإسلامى/ عبد الكريم الخطيب على ذلك بقوله:

إذا سلمنا بهذه المقولات وأخذناها على علاتها ـ كما هى ـ وكما يفترض فى الله تلك الفروض التى تجعله أشبه بإنسان!! وإذا سلمنا بأن لله عقلا ما تحتويه ذاته، وأن لهذا العقل فكرًا، وأن لهذا الفكر نطقًا، وأن هذا النطق هو "كلمة" إذا سلمنا بهذا كله وهو غير مسلم به إطلاقًا، لأنه نظر فى ذات الله وكشف تحليلى لها وذلك مالا يقع فى الإمكان؛ فكيف يمكن التسليم بأن هذه الكلمة بالذات هى "المسيح" الذى ولد من مريم؟ إنها دعوى يمكن أن تدعى للملائكة مثلاً فهم أولى بها لأنهم خلق غير متجسد..

ثم إن المسيح ـ على هذا القول ـ تجسد فى كلمة واحدة، فهل عقل الله هذا الذى يقال عنه، وهل فكره ونطقه والتفاعل الذى يقوم بين عقله وفكره ونطقه ـ هل كل هذا لم يلد إلا كلمة واحدة، ثم عقم هذا العقل إلى الأبد فلم يلد شيئًا؟ أم أن لله كلمات لا تنفد ولا تحصى؟ وإذا استحقت هذه الكلمة أن تنسب إلى الله بالبنوة الفكرية والنطقية والعقلية، وأن تكون ولادتها ولادة روحية إلهية فوق الزمان والمكان وفوق الجسد ـ أفلا تكون تلك الصفات كلها منسحبة على كلمات الله جميعها؟

قد يقال: إن كلمات الله كثيرة.. لا تنفد ولكن الكلمة الأولى التى ولدها (عقل الله) هى وحدها التى تستحق البنوة الروحية إلى الله دون سواها، وإن ما جاء بعدها بتسلسل الولادة الروحية لا يكون بمنزلتها.. وهذا قول يقوم على ادعاء بلا بينة.

فإذا كانت الكلمات هى منتوج عقل واحد فلا يعقل أبدًا أن يكون السابق منها خيرًا من اللاحق، وإذا كان ثمة مفاضلة بينهما فربما كان العكس هو الصحيح، إذ اللاحق يأخذ حكم السابق ويزيد عليه، ولكن المسيحية تقول غير هذا القول وتسمى

---

(١) حبيب سعيد: الروح القدس ص٦٧.

(المسيح) ابن الله البكر وبكر الخليقة... باعتبار أنه الكلمة الأولى لله.. ثم لا حساب لكلمات الله بعد هذه الكلمات[١].

فالقول بأن المسيح كلمة الله بمعنى الفكر والنطق قول لا يستقيم مع صحيح العقول. فهل السيد المسيح هو الكلمة الوحيدة لله؟ ألم ينطق الله بكلمة أو كلمات أخرى قبل وجود السيد المسيح؟ وهل توقف الله عن النطق والكلام بعد خلق السيد المسيح؟ ألم يخلق آدم قبل المسيح بكلمة منه أيضًا كما خلق المسيح؟ ألم يخلق السموات والأرض والكون بكل ما فيه بكلمة منه كذلك؟ أليس لله كلمات لا تحصى ولا تنفد؟ أم أنه سبحانه نطق كلمة واحدة ثم حرم النطق بعد ذلك؟ يا له من منطق عجيب[٢].

❖ ثم يقولون بعد ذلك إن المسيح "كلمة الله" يتصف بالأزلية ويستدلون على ذلك بما جاء فى إنجيل يوحنا (ففى كتاب ما معنى المسيح ابن الله؟) جاء ما نصه: وعن أزلية الكلمة جاء فى الكتاب المقدس (فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان فى البدء عند الله. كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان[٣]) يتضح لنا أن كلمة "البدء" الخاصة بوجود الكلمة ترجع إلى الأزل السحيق حتى على بدء الخلق، وهذا واضح من قول الكتاب كل شىء به ـ أى بالكلمة ـ كان وبغيره لم يكن شىء مما كان، ويتضح لنا أيضًا من الفقرات السابقة أن أقنوم الكلمة لم يخلق فى البدء، بل إنه كان فى البدء بمعنى أنه كان موجودًا منذ الأزل الذى لا بدء له وعبارة (الكلمة كان عند الله) تدل بوضوح على أن "الكلمة" كان ملازمًا لله وبما أن الله أزلى فبطبيعة الحال يكون الكلمة ملازمًا له أزلاً أيضًا[٤].

ويقول القس إلياس مقار: فالكلمة شخص وهذا الشخص له ذاتيته الأزلية السرمدية القائمة فى الله، إذ هو الأقنوم الثانى فى اللاهوت (والكلمة عند الله)[٥].

---

(١) المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ص١٥١.
(٢) الله واحد أم ثالوث ص١٠٦.
(٣) يوحنا ١ : ٤.
(٤) ما معنى المسيح ابن الله ص٤٧، ٤٨.
(٥) قضايا المسيحية الكبرى ص١٣٢.

والذى أطلق هذا اللقب على المسيح هو يوحنا (فيوحنا وحده يسمى المسيح الكلمة، ولقد ورد هذا الاسم فى إنجيله أربع[١] مرات، وثلاث مرات فى كتاباته الأخرى[٢] والمسيح هو المقصود بالكلمة[٣].

وعمدة الدليل على هذا اللقب فى المسيحية هو ما جاء فى افتتاحية إنجيل يوحنا (فى البدء كان الكلمة...) ومن هذا القول استدلوا على أزلية الكلمة أى ألوهية المسيح كلمة الله.

وفى تعليقنا على هذا نقول :-

أولاً : إن كاتب هذا الإنجيل ليس هو يوحنا الحوارى، ولم يعلم النصارى من هو كاتبه؟ مما يجعل الثقة به وبما جاء فيه غير قائمة. يقول د/ فهيم عزيز (من هو الذى كتب إنجيل يوحنا؟) هذا السؤال صعب والجواب عليه يتطلب دراسة واسعة وغالبًا ما تنتهى بالعبارة (لا يعلم إلا الله وحده من الذى كتب هذا الإنجيل)[٤].

أما ثانيًا : فإننا نقول إن علماء النصارى أجمعوا على أن السبب فى كتابة هذه الكلمات خاصة ـ الدالة على كون المسيح كلمة الله ـ والإنجيل عامة ـ إنجيل يوحنا ـ هو ظهور هرطقات ـ كما يحلو للمسيحيين أن يسمونها ـ تقول بأن المسيح كائن بشرى لا إلهى. يقول د/ حنا جرجس الخضرى : (بهذه الكلمات ـ أى افتتاحية إنجيل يوحنا ـ يد حض يوحنا كل الهرطقات التى علمت أن المسيح كائن بشرى له بداية وله نهاية أو الهرطقات التى تقول بأنه كان يوجد وقت ما لم يكن "اللوغوس" موجودًا فيه[٥].

ويقول (إن الذى دفع يوحنا إلى أن يكتب إنجيله ورسائله ظهور بعض الهرطقات التى بدأت تشق طريقها إلى الكنيسة المسيحية)[٦] وأنه كتب إنجيله بعد أن طلب منه بعض الناس :

---

(١) ثلاث مرات فى الفقرة الأولى من إنجيله ، والرابعة الفقرة الرابعة عشر من الإصحاح الأول أيضًا.
(٢) ١ يوحنا ١ : ١ ، ٥ : ٧، رؤيا يوحنا ١٩ : ١٣.
(٣) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص١٥.
(٤) المدخل إلى العهد الجديد ص٥٤٦.
(٥) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٣٩١.
(٦) المرجع السابق ص٤٠٥.

قال يوسف الدبس الخورى فى مقدمة تفسيره (من تحفة الجبل): إن يوحنا صنف إنجيله فى آخر حياته بطلب من أساقفة كنائس آسيا وغيرها، والسبب أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح فطلبوا منه إثباته وذكر ما أهمله متى ومرقس ولوقا فى أناجيلهم[١].

وهنا يصح لنا أن نقول مع الإمام محمد أبو زهرة (إن الأساقفة اعتنقوا ألوهية المسيح قبل وجود الإنجيل الذى يدل عليها ويصرح بها، ولما أرادوا أن يحتجوا على خصومهم ويدفعوا هرطقتهم فى زعمهم لم يجدوا مناصًا من أن يلتمسوا دليلاً ناطقًا يثبت ذلك، فاتجهوا إلى يوحنا فكتب كما يقولون إنجيله الذى يشتمل على الحجة وبرهان القضية والبينة فيها على زعمهم، وهذا ينبىء على أن الاعتقاد بألوهية المسيح سابق لوجود نص فى الكتب عليه، وإلا ما اضطروا اضطرارًا إلى إنجيل جديد طلبوا من يوحنا أن يكتبه)[٢] فإنجيل يوحنا كتب خصيصًا ليشتمل على دليل الألوهية وهذا يعنى أن الأمر خاضع للأهواء فإذا اعتقدت الأهواء بشىء ما يكتبون ما يدل عليه وينسبونه إلى المسيح الذى جاء بديانة بسيطة يدعو فيها إلى أنه عبد الله ورسوله ولكن بالاعتقاد بألوهية المسيح تحولت المسيحية إلى المعتقدات المعقدة غير المفهومة. تحولت المسيحية إلى ديانة جديدة غير التى جاء بها المسيح.

يقول برتراند رسل: لقد تحولت العقيدة الجديدة فى جانب من جوانبها فى اتجاه جديد ملفت للنظر، ذلك لأن عقيدة اليهود كانت فى عمومها تتسم بالبساطة الشديدة ولا تنطوى على طابع لاهوتى. وهذا الطابع المباشر يظل واضحًا حتى فى الأناجيل الجامعة (متى، مرقس، لوقا)، ولكنا نجد عند يوحنا بداية لذلك التأمل اللاهوتى الذى ازدادت أهميته فى إطار عقيدتهم الجديدة، فلم يعد الأمر هنا يقتصر على شخصية المسيح الإله الإنسان "المختار"، بل أصبح يتعلق بجانبه اللاهوتى بوصفه الكلمة[٣].

---

(١) نقلاً عن محاضرات فى النصرانية ص٦٣.

(٢) محاضرات فى النصرانية ص٦٤.

(٣) برتراند رسل: حكمة الغرب جـ١ ص٢٤٢.

ثالثًا: على أن الفقرات التى جاءت فى افتتاحية إنجيل يوحنا لا تدل على ـ ألوهية المسيح. يقول عبد الرحمن باجة فى تعليقه على افتتاحية إنجيل يوحنا: "إن هذه الفقرات مع كونها باطلة من حيث المعنى فهى متناقضة متنافية غير قابلة للتعقل ولا صالحة للتوجيه"، فإن قوله (والكلمة كان عند الله) لا يلتئم مع قوله (وكان الكلمة الله)، فإذا كان الله عين الكلمة لا يصح أن تكون الكلمة عنده؛ لأن العندية تقتضى المغايرة، لأنها عبارة عن حصول شىء عند شىء، كحصول المال عند زيد، ولاشك أن المال غير زيد، وزيد غير المال، وهذا ظاهر لا غبار عليه. فكيف تكون الكلمة عنده وتكون عينه ثم تتجسد وتكون ابنه؟ والابن عين أبيه والأب عين الابن، ولا أظن أن من يعرف معنى الكلمة والكلام يتفوه بمثل هذا الهذيان الذى لا يكاد يجرى مثله على ألسنة المحمومين والسكارى والنيام، لأن الكلمة والكلام صفة للمتكلم، والصفة لا تكون عين الموصوف، فكلمة الله ليست ذات الله تعالى. ولم نر فى شرائع الأنبياء وكتبهم إطلاق الكلمة على ذات الله[١].

ويؤيد هذا المعنى ما جاء فى إحدى الترجمات الحديثة لإنجيل يوحنا[٢].

وهذه الفقرات جاءت فى هذه الترجمة كما يلى (فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة مثل الله) بدلاً من الترجمة القديمة التى تقول (وكان الكلمة الله) وعندما يكون شئ مثل شئ آخر فإن هذا يعنى بداهة أن هناك شيئين عددها اثنان، لكن الشىء الثانى يماثل الشىء الأول وعلى صورته وتقول التوراة (خلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه)[٣] فهذا القول يعنى حسب مفهوم كتبة التوراة أن كل البشر قد خلقوا على صورة الله تمامًا مثل الكلمة[٤].

رابعًا: إن استخدام "كلمة الله" وإدخاله إلى المسيحية بالمعنى الإلهى إنما يعنى التأثر بالأفكار والفلسفات اليونانية التى كان من أهم مفاهيمها "اللوجوس" أو الكلمة.

---

(١) عبد الرحمن باجة: الفارق بين المخلوق والخالق ص٣٤٣.

(٢) صدرت هذه الترجمة عن جمعية التوراة الأمريكية بنيويورك عام ١٩٧١م.

(٣) تكوين ١ : ٢٧.

(٤) أحمد عبد الوهاب: النبوة والأنبياء ص١١١.

يقول برتراند رسل: إن وصف المسيح "بالكلمة" بالمعنى اللاهوتى إنما هو مفهوم يرتد إلى الرواقيين ومن قبلهم إلى أفلاطون وهرقليطس[١] ويقول (فالمفهوم الرئيسى الذى يسرى عبر الفلسفة اليونانية بأسرها هو مفهوم "اللوجوس" وهو لفظ يدل على معان كثيرة من بينها "الكلام" "والنسبة أو المقياس"[٢]).

ويقول (إن من المفاهيم الرئيسية فى الفلسفة اليونانية مفهوم "اللوجوس" وهو لفظ نصادفه لأول مرة فى هذا السياق عند فيثاغورس وهرقليطس[٣]).

ويقول د/ حنا جرجس الخضرى: أول من استخدم هذا الاصطلاح (لوغوس) هو هيراقليطوس، ومن الغريب ـ كما يقول وليم باركلى ـ أن هيراقليطوس اليونانى الذى استخدم هذا الاصطلاح فى القرن السادس قبل الميلاد (٥٦٠ق.م) ويوحنا الرسول الذى استخدمه أيضًا عاشا كلاهما فى مدينة أفسس ويقول: لقد درس "فيلو" اليهودى الإسكندرى هذا الاصطلاح فى عرف كل من اليهود واليونان وهو يعتقد بأنه ـ أى اللوغوس ـ هو أقدم شىء فى العالم. إذ أنه الإله الذى به خلق العالم بل هو فكر الله الذى عن طريقه يحكم الله هذا العالم، وقد قال: إن الله هو ربان هذا الكون وبيده "اللوغوس" كالدفة الذى عن طريقه يحرك ويدير كل هذا الكون، فاللوغوس هو الذى يدفع الإنسان على التفكير والقوة والعمل، وهو الذى يساعد الإنسان على الفهم والإدراك، هو الوسيط بين الله والعالم، هو الكائن الذى يسمع للنفوس بأن تجلس أمام الله[٤].

ولقد اعتقد الرواقيون بأن الكلمة (لوغوس) هو قوة الله الخلاقة الذى يقود ويسيطر على الكون كله ويحفظ نظامه، وعلى ما يظهر أن يوحنا كان يعرف هذه الأفكار المنتشرة فى عصره وفى مدينة أفسس، وربما لهذا السبب يستعمل يوحنا اصطلاحًا معروفًا ومنتشرًا فى ذلك الوقت وهو اللوغوس لكى يشرح به تجسد ابن الله[٥].

---

(١) حكمة الغرب جـ ١ ص ٢٤٣، سلسلة عالم المعرفة. الكويت.

(٢) المرجع السابق جـ١ ص٢٩.

(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ١٦٥.

(٤) تفسير إنجيل يوحنا (لوليم باركلى) الإصحاح الأول من ١٤ ـ ٢٠ نقلاً عن تاريخ الفكر المسيحى ص٣٩٢.

(٥) تاريخ الفكر المسيحى ص٣٩٣.

ونحن نقول إنه لم يستخدمه ليشرح به تجسد ابن الله، بل أدخله المسيحية وطبقه على المسيح بحذافيره، ويدل على ذلك ما جاء سابقًا من أنه كتب إنجيله خصيصًا ليدلل على الألوهية بل وليدخل فى المسيحية مفهومًا جديدًا أو لقبًا جديدًا للمسيح يجدون فيه الدلالة على ألوهية المسيح التى اعتقدوها.

فيوحنا أدخل فى المسيحية ما فى الفلسفات اليونانية حول (اللوغوس) وجعل "الكلمة" هو المسيح الذى ينتسب إليه.

من الألقاب التى نسبت إلى المسيح: الرب

من أهم الألقاب التى نسبت إلى المسيح ـ والتى تبرز المهمة التى ألصقوها بالمسيح وهى المخلص من أجل البشر ـ الرب.

"ولكن ماذا تعنى كلمة الرب"؟ لقد استخدمت هذه الكلمة فى اللغة اليونانية القديمة لتعنى مالك الشىء أو صاحبه، وقد استخدمها العهد الجديد بهذا المعنى، وذلك مثل ما جاء فى إنجيل مرقس (ماذا يفعل صاحب الكرم. يأتى ويهلك الكرامين ويعطى الكرم إلى آخرين. أما قرأتم هذا المكتوب. الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا)[١].

واستخدمت أيضًا كلقب احترام من الابن لأبيه كما فى متى (وإن قال لكما أحد شيئًا فقولا الرب محتاج إليهما)[٢].

ومن العبد للسيد كما فى متى أيضًا "اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حى إنى بعد ثلاثة أيام أقوم"[٣].

ويقول هويتلى: إن هذه الكلمة تعنى السيد الشرعى المعترف به للعلاقة المتينة بينه وبين الرعية ولا تعنى سيادة الدكتاتورية التى تفرض فرضًا على الناس.

---

(١) مرقس ١٢ : ٩، راجع أيضًا متى ١٨ : ٢٥، لوقا ١٣ : ٨.
(٢) متى ٢١ : ٣.
(٣) متى ٢٧ : ٦٢.

وهناك معنى آخر للكلمة وهو أنها لا تصف المركز والطبيعة الشخصية لمن يقال له رب ولكنها كلمة علاقية، فالرب يتطلب جماعة يحكمهم ويسرى سلطانه عليهم، فهى لا تصف الجلال الطبيعى فى الإله ولكنها تصف ملكه وسيادته على جماعه أخرى فهى كلمة علاقية[١].

وفى "قاموس الكتاب المقدس" تحت لفظ "رب" جاء ما نصه: يقصد بهذا اللفظ:

(١) اسم الجلالة وفى هذه الحالة تطلق على الأب والابن بدون تمييز بينهما سيما فى رسائل بولس.

(٢) وقد تستعمل بمعنى سيد أومولى دلالة على الاعتبار والكرامة[٢] وهذا يعنى أن إطلاق لقب الرب على المسيح ـ عندهم ـ يختلف فى إطلاقه على غيره، فإن إطلاق لقب الرب على المسيح يعنى أنه "الله" أو فى درجة الله، أما إذا أطلق على غيره فإنه يعنى السيادة والولاء والطاعة.

يقول باركلى: إن لقب الرب يعنى: أ ـ الاحترام كما نقول فى العربية "سيد" ب ـ كان لقب الإمبراطور الرومانى. جـ ـ كان لقب آلهة اليونان مثل الرب (سيرابيس) د ـ وفى الترجمة اليونانية للعهد القديم كانت كلمة "الرب" ترجمة لاسم الجلالة (يهوه).

وعلى هذا فإن تلقيب يسوع بالرب فى المسيحية يعنى وضعه ليس فى نفس درجة الإمبراطور الرومانى وإله اليونانى فقط بل فى نفس درجة الله، إنهم يقولون إننا نعطيه أعظم مكان فى حياتنا مع الطاعة والعبادة[٣].

ويخبرنا الأستاذ يسى منصور فى كتابه (رسالة التثليث والتوحيد) أنه قام بعملية إحصائية عن عدد المرات التى أطلق فيها لفظ (رب) على كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة فى الأناجيل ورسائل الرسل فوجد أن الله الابن قد دعى "ربا" ٤٦٢ مرة، أما الله الآب فقد دعى "ربا" ١٤٤ فقط، ودعى "الروح القدس" "ربا" ٥ مرات[٤].

---

(١) د/ فهيم عزيز: الفكر اللاهوتى فى كتابات بولس ص١٣٢ ـ ١٣٣.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص٣٩٦.

(٣) تفسير العهد الجديد (رسالة رومية ص١٦٠).

(٤) نقلاً عن الله واحد أم ثالوث ص٤٤.

❖ أما متى اكتسب "لقب الرب" الذى أطلق على المسيح صفة الجلالة أو الألوهية؟ إنهم يقولون إن ذلك وقع بعد قيامة المسيح ـ كما يدعون ـ يقول د/ فهيم عزيز: إن هذا اللقب نسب إلى يسوع فى حياته الأرضية تعبيرًا عن عظمته وعظمة تأثيره.. إنهم كانوا ينادونه "يا رب" أو كانت الكنيسة الأولى تطلق عليه لقب "الرب" بمعنى أيها المعلم الأعظم، ولكن معنى الكلمة تغير بعد قيامته من الأموات[١] معنى ذلك أن إطلاق لقب الرب على المسيح بالمعنى الذى يقصد به ألوهية المسيح لم يطلق عليه إلا بعد قيامته حتى إن البعض يعتبر أن إطلاق هذا اللقب على المسيح قبل القيامة خطأ. يقول كيزيتش: بالرغم من أن لقب "الرب" أطلق على يسوع بعد القيامة فإن لوقا الإنجيلى ينسب إليه هذا اللقب حتى قبل الصلب والقيامة (لوقا ٧: ١٣ ـ ١٠: ٣٩ ـ ٤١) لم يسع لوقا فى عمله هذا إلى تزوير التاريخ لكنه ارتكب الأخطاء نفسها التى يرتكبها المؤرخون عندما يتحدثون عن أحداث ماضية على ضوء التجربة الحاضرة فامتد نور القيامة إلى كل أحداث حياة يسوع السابقة[٢] فإطلاق لقب الرب بالمعنى الإلهى على المسيح كان بعد قيامته كما يدعون، أى أن المسيح لم يعلمهم هذا اللقب بهذا المعنى ولكنهم استنتجوه من قيامته.

ونقول: إننا إذا سلمنا جدلاً بصحة القيامة وهى غير صحيحة كما سنبين ـ هل تترك العقائد للاستنتاجات؟ الحق لا. وخاصة هذه العقيدة التى تعتبر من أهم عقائد ديانتهم والتى يترتب عليها إيمانهم بالخلاص والفداء، بل تعتبر أهم ما فى مسيحيتهم هل لو كانت من عقائد المسيح يتركها بدون بيان؟ ويتركها للاستنتاجات العقلية التى يختلف فيها الناس من شخص لآخر، وهل كل الناس يستطيعون أن يستنتجوا من القيامة الاعتقاد بلاهوت المسيح؟ إن القول الحق لو كان ذلك من رسالة المسيح ـ وهو غير صحيح ـ لبينه للناس، فإنه لو لم يبينه للناس لسأله الله عن عدم البيان.

❖ لقد تبين لنا أن إطلاق (لقب الرب) على المسيح بالمعنى الإلهى كان بعد قيامة المسيح ولكن نريد قولاً أدق من الذى أطلقه بهذا المعنى؟ إن اليهود لم يفهموا من

---

(١) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص١٣٦.

(٢) كيزتيش: المسيح فى الأناجيل ص٢٩.

إطلاق لقب "الرب" أن فيها معنى إلهيًا فمن الذى أطلقه؟ يقول د/ فهيم عزيز: (نحن لا ننكر أن بطرس قد اعترف بأنه المسيح فى قيصرية فيلبس قبل صلبه وقيامته، لكن ذلك لا يخدعنا فنظن أنهم كانوا يقصدون ألوهية المسيح، فالمسيا لدى اليهود مهما كان عظيمًا ومجيدًا، ومهما كان واسطة الله الحاسمة فى عمل قصده وإتمامه إلا أنه لم يزد عن كونه كائنًا مخلوقًا.... ولهذا السبب فإن الكنيسة الأولى ومن بعدها بولس قد وضعوا معنى جديدًا ومجيدًا للمسيا وشخصيته، فلم يعد هو الشخص الذى يأتى ويتمم به الله ما يريد سياسيًا ودينيًا، ولكنه أصبح السيد الذى مات وقام وجعل ربا ومسيحا بمعنى لم تفهمه اليهودية من قبل، بهذه الكيفية فهمه بولس على الطريق إلى دمشق[1] وهذا يعنى أن المسيح لم يفصح عن كونه شخصية لاهوتية، وكذلك أيضًا بطرس لم يفصح عن ذلك، ولكن الكنيسة الأولى هى التى فعلت ذلك، ولما لم يفصح الباحث المسيحى عن أسماء من الكنيسة الأولى سوى بولس فإن لا مناص من القول بأن بولس هو الذى وضع هذا المعنى اللاهوتى للمسيح وأصله فى المسيحية ووضعه كقاعدة للإيمان المسيحى.

وبولس هذا ـ كما قلنا سابقًا ـ ليس من تلاميذ المسيح، بل كان من أشد أعداء المسيحيين ثم انقلب فجأة رأس المسيحية، وهنا نسأل سؤالاً: كيف يرسى بولس قواعد الديانة وهم لم يتتلمذ على رسول الديانة؟ وكيف يؤصل أهم ما فى الديانة وهو القول بألوهية المسيح وهو ما لم يقله المسيح ولا الحواريون ولا اليهود؟

❖ على أننا إذا نظرنًا إلى اللقب "رب" كمعنى عام لوجدنا أنه لا يفهم منه ألوهية المسيح، ذلك لأن لفظ "رب" يستعمل فى كثير من المجتمعات وخاصة فى الأزمنة القديمة بقصد التكريم والتعظيم، ويتكرر اللفظ كثيرًا فى أسفار التوراة بمعنى سيد أو معلم، وحتى الآن نرى الكثيرين منا يتحدثون عن عائل الأسرة أو رئيس المكان فيقول رب الأسرة ورب الدار ولم يدر بخلد أحد عند سماعه هذه الكلمة أن رب الأسرة هو معبود الأسرة أو أن رب الدار هو إله الدار بل إن هذا اللفظ لا يعنى سوى التكريم والتقدير للشخص الذى يطلق عليه، وما أطلق على عيسى إلا تقديرًا

(١) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص١٣٧.

له بصفته المعلم والنبى، ولم يعن به أحد على الإطلاق إشراكًا بالله أو تأليها لمن أطلق عليه[١].

فالمعنى الذى يفهم من إطلاق "الرب" على المسيح "المعلم أو النبى"، ويدل عليه ما جاء فى إنجيل لوقا وذلك عندما كان يصلى لله، وأثناء الصلاة كان التلاميذ يرقبونه، وبعد ما فرغ من الصلاة تقدم إليه أحد تلاميذه قائلاً: (يا رب علمنا أن نصلى كما علم يوحنا تلاميذه)[٢] عيسى الإنسان يصلى لله ويضرع إليه، فيشاهده التلاميذ ويطلبون منه أن يعلمهم كيفية الصلاة، فهو النبى المرسل الذى يعرف التعاليم والشرائع والطقوس والدعوات، فليعلمهم كيفية الصلاة والتقرب لله كما علم النبى يوحنا المعمدان ـ أى يحيى عليه السلام ـ تلاميذه[٣].

ويدل على ذلك أيضًا ما جاء فى إنجيل متى عن المحاورة التى جرت بين عيسى وتلميذه بطرس، نرى فيها بطرس يطلق على عيسى لقب "رب".

يقول متى: (فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره قائلاً: حاشاك يا رب لا يكون لك هذا. فالتفت وقال لبطرس: اذهب عنى يا شيطان أنت معثرة لى لأنك لا تهتم بمالله لكن بما للناس)[٤].

على أننا لا نذهب بعيدًا فى معنى إطلاق هذا اللقب على المسيح فنجد التفسير فى صلب الأناجيل نفسها، ففى الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا: يروى لنا يوحنا أن عيسى فى بداية دعوته كان يسير فى الطريق بمفرده فتبعه رجلان صارا فيما بعد من تلاميذه (فالتفت يسوع ونظرهما يتبعانه فقال لهما: ماذا تطلبان؟ فقالا: ربى الذى تفسيره يا معلم أين تمكث؟ فقال لهما: تعاليا وانظرا. فأتيا ونظرا أين يمكث ومكثا عنده ذلك اليوم)[٥].

---

(١) المسيح إنسان أم إله ص١٩٦ ـ ١٩٧.
(٢) لوقا ١١ : ١.
(٣) راجع أيضًا المسيح إنسان أم إله ص١٩٣.
(٤) متى ١٦ : ٢٢، ٢٣.
(٥) يوحنا ١ : ٣٨، ٣٩.

ولقد فسر يوحنا إطلاق كلمة "الرب" فى صلب الإنجيل نفسه بأنها تعنى المعلم، فعيسى بالنسبة لتلاميذه هو معلمهم وأستاذهم كيوحنا المعمدان وغيره من الأنبياء معلموا الشريعة وأساتذة الديانة[١].

ومرة ثانية يورد يوحنا حوارًا بين عيسى ومريم المجدلية تطلق فيها الأخيرة على عيسى لفظ "رب". يقول يوحنا "قال لها يسوع يا مريم فالتفتت تلك وقالت له: ربونى الذى تفسيره يا معلم. قال لها يسوع لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى. ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم. فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب وأنه قال لها هذا"[٢] وهنا تظهر حقائق كثيرة: عيسى الرب هو الإنسان المعلم، والبشر التلاميذ هم إخوته، والله أبوه وأبو إخوته التلاميذ وأبو الناس أجمعين وإلهه وإله التلاميذ وإله الناس أجمعين[٣]. ويلاحظ أن هذا الحوار الذى وقع بين عيسى ومريم المجدلية والذى جاء فيه تفسير الرب بمعنى "المعلم" إنما حدث بعد قيامة المسيح على زعمهم ـ وهذا يعنى أن المسيح حتى بعد القيامة المزعومة إنما كان يقصد من إطلاق لقب الرب عليه هو المعلم لا أكثر من ذلك.

فالمعنى الذى تشير إليه الكتب المقدسة أن إطلاق لقب الرب على عيسى يعنى به المعلم، وليس فى هذا الإطلاق أى ضير أو لبس؛ لأن طبيعة رسل الله أن يكونوا معلمين للبشر ما أوحى الله إليهم. أما بالنسبة للمعنى الآخر فلا دلالة عليه.

بعض الألقاب التى ذكرت فى العهد القديم وإسنادها إلى المسيح

ولقد استشهد النصارى بالعهد القديم فى إطلاق بعض الألقاب على المسيح والتى يظهر فيها بتفسيراتهم مهمة المسيح كمخلص للبشر.

وأهم هذه الألقاب وأشهرها:

---

(١) المسيح إنسان أم إله ص١٩٤.

(٢) يوحنا ٢٠: ١٦، ١٧.

(٣) المسيح إنسان أم إله ص١٩٥.

١ ـ عمانوئيل

ولقد أطلق هذا اللقب على المسيح، واعتبر إطلاقه علامة على أنه المخلص. جاء فى إنجيل متى (فستلد ابنا وتدعوا اسمه يسوع. لأنه يخلص شعبه من خطاياهم. وهذا كله كان لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل. هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا)[١] ويرجع الاستشهاد بهذا اللقب إلى ما جاء فى سفر إشعياء حين قال الله لآحاز "اطلب لنفسك آية من الرب إلهك. عوق طلبك أو رفعة إلى فوق. فقال آحاز لا أطلب ولا أجرب الرب. فقال اسمعوا يا بيت داود. هل هو قليل عليكم أن تضجروا الناس حتى تضجروا إلهى أيضًا. ولكن يعطيكم السيد نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعوا اسمه عمانوئيل. زبدًا وعسلاً يأكل متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير. لأنه قبل أن يعرف الصبى أن يرفض الشر ويختار الخير تُخلى الأرض التى أنت خاش من ملكيها"[٢] فلقد تنبأ إشعياء ـ كما يقولون ـ بالمسيح بدليل (ها العذراء تحبل وتلد ابنا) وهذا دلالة ـ فى نظرهم ـ على أنه هو المخلص، فالمقصود بعمانوئيل هو المسيح، والعذراء هى مريم[٣].

جاء فى علم اللاهوت النظامى: تنبأ إشعياء عن مولود من عذراء، ويتضح أن ذلك المولود هو ابن الله الأزلى المساوى للآب:

١ ـ من تسميته عمانوئيل أى الله معنا.

٢ ـ من تسمية أرض إسرائيل أرضه (إشعياء ٨ : ٨) وتسميته عجيبًا مشيرًا إلها قديرًا أبا أبديا رئيس السلام (إشعياء ٩ : ٦ ـ ٧)..

٣ ـ من كون مملكته عامة وأبدية.

٤ ـ من كون نتائج إتيانه وملكه مما يختص بملك وحده[٤].

---

(١) متى ١ : ٢١ ـ ٢٣.

(٢) إشعياء ٧ : ١١ ـ ١٦.

(٣) جاء فى قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة عذراء: مريم أم المسيح تلقب بالعذراء، لأنها حملت بالمسيح دون أن يعرفها رجل، إذ حل عليها الروح القدس تتمة للنبوة القائلة (هو ذا العذراء تحبل وتلد ابنا) أ. هـ. قاموس الكتاب المقدس ص٦١٤.

(٤) علم اللاهوت النظامى ص٣٢٠.

وعمانوئيل ـ كما جاء فى قاموس الكتاب المقدس ـ اسم عبرى معناه (الله معنا) إنه الابن الذى تحبل به العذراء وتلده، وستكون هناك دلائل تاريخية على مولده، وعند مولده تبرز تسميته "الله معنا"، لأنه قبل أن يعرف الصبى أن يرفض الشر ويختار الخير ستهجر أرض شمال فلسطين والشام وينقذ الله يهوذا من هذين العدوين، وسيأكل فى أيام نموه زبدًا وعسلاً، لقد تنبأ إشعياء بمولد عمانوئيل أى المسيح المنتظر قبل مولده بسبعة قرون وثلث، وكانت تنبؤاته رمزًا للمسيح[١].

فلقد اعتبر النصارى أن ما جاء فى سفر إشعياء إنما هو رمز ودلالة على المسيح عيسى بن مريم باعتباره مخلصًا، فعمانوئيل الذى يعنى أن الله ـ المسيح ـ معهم هو الذى جاء ليخلصهم وينقذهم من الخطايا.

"فعمانوئيل وحده ـ فى اعتقاد المسيحيين ـ هو الذى أتى لإعلان وتنفيذ مقاصد المحبة الإلهية غير المحدودة ألا وهو خلاص الإنسان، كان لابد أن ينزل الله ليفعل ذلك، لذلك كان اسم عمانوئيل هو يسوع الذى يخلص شعبه من خطاياهم."[٢]

يقول العلامة رحمت الله الهندى فى تعليقه على هذا بقوله: "فى الإصحاح الأول من إنجيل متى" "وهذا كله ليتم ما قيل من الرب بالنبى القائل هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا" والمراد بالنبى عند علمائهم إشعياء حيث قال "لأجل هذا يعطيكم الرب عينه علامة ها العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعى اسمه عمانوئيل".

وهذا غلط من وجوه:

الأول: إن اللفظ الذى ترجمه الإنجيلى ومترجم سفر إشعياء بالعذراء هو "عَلَمَة" مؤنث "علم"، وإلهاء فيه للتأنيث، ومعناه عند علماء اليهود "المرأة الشابة" سواء كانت عذراء أو غير عذراء. ويقولون: إن هذا اللفظ وقع فى الإصحاح الثلاثين من سفر الأمثال، ومعناه ههنا المرأة الشابة التى زوجت، وفسر هذا اللفظ فى كلام إشعياء بالأمرأة الشابة فى التراجم اليونانية الثلاث أعنى ترجمة (أيكوئلا) وترجمة

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٦٣٩.

(٢) ما معنى المسيح ابن الله ص٦٥.

(تهيودشن) وترجمة (سميكس) وهذه التراجم عندهم قديمة، يقولون إن الأولى ترجمت سنة ١٢٩م، والثانية سنة ١٧٥م، والثالثة سنة ٢٠٠م، وكانت معتبرة عند قدماء المسيحيين لا سيما ترجمة (تهيودوشن) فعلى تفسير علماء اليهود والتراجم الثلاثة فساد كلام (متى) ظاهر.

وقال (فرى) فى كتابه الذى صنف فى بيان اللغات العبرانية ـ وهو كتاب معتبر مشهور بين علماء البروتستانت ـ إنه بمعنى العذراء والمرأة الشابة. فعلى قول (فرى) هذا اللفظ مشترك بين هذين المعنيين وبهذا يتبين الغلط فى قولهم ليس معنى هذا اللفظ إلا العذراء.

الثانى: ما سمى أحد عيسى عليه السلام بعمانوئيل، لا أبوه ولا أمه، بل سمياه يسوع، وكان الملاك قال لأبيه فى الرؤيا (وتدعو اسمه يسوع)[١] كما فى إنجيل متى. وكان جبريل قال لأمه (ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع)[٢] كما فى إنجيل لوقا، ولم يدع عيسى عليه السلام فى حين من الأحيان أيضًا أن اسمه عمانوئيل.

الثالث: القصة التى وقع فيها هذا القول تأبى أن يكون مصداق هذا القول عيسى عليه السلام؛ لأنها هكذا:ـ إن "راصين" ملك "آرام" و"فاقاح" ملك إسرائيل جاءا إلى أورشليم لمحاربة (آحاز بن يوثان) ملك يهوذا، فخاف خوفًا شديدًا من اتفاقهما، فأوحى الله إلى إشعياء أن يقول لتسلية آحاز: لا تخف، فإنهما لا يقدران عليك، وستزول سلطتهما، وبين علامة خراب ملكهما أن امرأة شابة تحبل وتلد ابنا، وتصير أرض هذين المِلْكَيْنْ خربة قبل أن يميز هذا الابن الخير عن الشر.

وقد ثبت أن أرض (فاقاح) قد خربت فى مدة إحدى وعشرين سنة من هذا الخبر فلابد أن يولد هذا الابن قبل هذه المدة وتخرب الأرض قبل تمييزه[٣]، وعيسى عليه السلام ولد بعد سبعمائة وإحدى وعشرين سنة من خرابها.

---

(١) متى ١ : ٢٢.

(٢) لوقا ١ : ٣١.

(٣) القصة كاملة فى الإصحاح السابع من سفر إشعياء.

وقد اختلف أهل الكتاب فى مصداق هذا الخبر، فاختار البعض أن إشعياء يريد بالامرأة زوجته، ويقول: إنها ستحبل وتلد ابنا، وتصير أرض المَلِكَيْنِ اللذين تخاف منهما خربة قبل أن يميز هذا الابن الخير عن الشر كما صرح (دكتور بنسن).

أقول هذا هو الحرى بالقبول وقريب من القياس[١].

فالاستشهاد بهذا الاسم من العهد القديم خطأ من ناحية أن اللفظ الذى ترجمه (متى) الإنجيلى ومترجم إشعياء بالعذراء (عَلَمَهْ) ومعناه بالعبرية عند علماء اليهود المرأة الشابة سواء كانت عذراء أم غير عذراء، وفسر هذا اللفظ بالمرأة الشابة فى التراجم اليونانية الثلاث، وعلى تفسير هذه التراجم القديمة، وتفسير علماء اليهود يكون ما جاء فى إنجيل متى ظاهر الفساد.

ومن ناحية أخرى أن المسيح ما دعاه أحد بهذا الاسم، ولم يقل المسيح عن نفسه أنه سمى بهذا الاسم، على أن القصة التى وقع فيها هذا الكلام تأبى أن يكون مصداق هذا القول هو المسيح عليه السلام.

يقول الأستاذ/ عبد الكريم الخطيب.. إن أمر هذه الواقعة لا يحتاج إلى نظر طويل للوقوف على ما فيها، ذلك أن مجرد عرض الواقعة كما وردت فى سفر "إشعياء" يعطى دلالة قاطعة على أن المولود والوالدة (العذراء) قد كانا فى زمن إشعياء، وأن النبوءة قد تحققت فى عهده على الوجه الذى تنبأت به.

إن كلمة العذراء هى التى أغرت بدس هذا النص وحمله على المسيح، لأن أظهر ما فى حياة المسيح أنه ولد من عذراء، وإذ وضح من هذا أن هذه المقولة التى وردت فى إنجيل متى نقلاً عن سفر إشعياء لا صلة بينهما وبين ميلاد المسيح من عذراء كان وجودها فى هذا الإنجيل باعثًا على النظر والتساؤل[٢].

---

(١) إظهار الحق ص١٥٤، ١٥٥ راجع أيضًا الفارق بين المخلوق والخالق ص٢٧، ٢٨.

(٢) المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ص٩٤ ـ ٩٦.

على أننا إذا سلمنا جدلاً أنها تدل على المسيح فإننا نقول إنها لا تدل بالضرورة على أن المسيح هو الله وهذا هو المعنى الذى يقصده النصارى من إطلاق هذا اللقب على المسيح.

يقول ابن تيمية: قال إشعياء (ها هى العذراء..) وعمانوئيل كلمة عبرانية، تفسيرها بالعربى (إلهنا معنا) فقد شهد النبى أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت كلاهما[١].

فيقال: ليس فى هذا الكلام ما يدل على أن العذراء ولدت رب العالمين وخالق السموات والأرض، بل هذا الكلام يدل على أن المولود ليس هو خالق السموات والأرض، فإنه قال (تلد ابنا) وهذا نكرة فى الإثبات، كما يقال فى سائر النساء:

إن فلانة ولدت ابنا، وهذا دليل على أنه ابن من البنين ليس هو خالق السموات والأرض، ثم قال يدعى اسمه "عمانوئيل" فدل بذلك على أن هذا اسم يوضع له ويسمى به كما يسمى الناس أبناءهم بأسماء الأعلام أو الصفات التى يسمونهم بها، ومن تلك الأسماء ما يكون مرتجلاً ارتجلوه، ومها ما يكون جملة يحكونها، ولهذا كثير من أهل الكتاب يسمى ابنه عمانوئيل. ثم منهم من يقول العذراء المراد بها غير مريم ويذكرون فى ذلك قصة جرت[٢].

ومنهم من يقول بل المراد بها مريم، وعلى هذا التقدير فيكون المراد أحد معنيين: إما أن يريد أن إلهنا معنا بالنصر والإعانة، فإن بنى إسرائيل كانوا قد خذلوا بسبب تبديلهم فلما بعث المسيح بالحق كان الله مع من اتبع المسيح، والمسيح نفسه لم يبق معهم بل رفع إلى السماء ولكن الله كان مع من اتبعه بالنصر والإعانة، كما قال تعالى ﴿ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾ سورة الصف ١٤ وقال

(١) سنتحدث عن هذا الموضوع فى الفصل الخاص بالتجسد.
(٢) والقصة ذكرناها سابقًا وهى فى الإصحاح السابع من سفر إشعياء.

تعالى ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ سورة آل عمران ٥٥ وهذا أظهر.

وأما أن يريد يسمى المسيح[1] إلها كما يقولون: إنه يسمى موسى إله فرعون أى هو الآمر الناهى له المسلط عليه.

---

(١) إن إطلاق لقب الإله على المسيح وغيره إنما هو من قبيل المجاز المطلق. يقول الأستاذ/ محمد مرجان: وإطلاق لفظ إله على الأناس ورد كثيرًا فى التوراة، فقد أطلق على موسى عليه السلام، كما أطلق على حكام وقضاة بنى إسرائيل، وعلى غيرهم من الناس، وكان يعنى فى نظرهم تكريم الشخص الموصوف به باعتباره قريبًا من الله عاملا بوصاياه. نرى فى الإصحاح السابع من سفر الخروج محادثة بين الله ونبيه موسى يعلن فيها سبحانه لنبيه أنه جعله إلها لفرعون، يقول سفر الخروج "فقال الرب لموسى انظر أنا جعلتك إلها لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك" خروج ٧: ١ ويعود سفر الخروج فيقرر أن الله قد جعل موسى إلها لشقيقه هارون أيضًا، يورد السفر فى الإصحاح الرابع منه حديثًا على لسان الله موجهًا إلى موسى عن شقيقه هارون فيقول (هو يكلم الشعب عنك ويكون لك فما وتكون له إلها) خروج ٤: ١٦. هنا نجد أن موسى قد صار إلها لفرعون وإلها أيضًا لشقيقه هارون، وهذا يعنى تفوقه وتسلطه على فرعون وهارون، فالله أعطى لموسى القدرة على التسلط والتفوق على فرعون كما جعله أيضًا سيدًا لأخيه هارون يأمره فيأتمر وينهاه فينتهى وكأنه إله وسيد لفرعون وهارون.

ليس هذا فقط بل إن لفظ إله أطلق على البشر العاديين من القضاة والحكام الإسرائيليين، فداود عليه السلام يسمى القضاة آلهة. يقول داود "الله قائم فى مجمع الله: فى وسط الإله يقضى" مزمور ٨٢: ١، وهذا يعنى أن الله موجود وحاضر فى محكمة العدل ووسط مجلس الحكم، وأن ما ينطق به القضاة من أحكام إنما هو كلام الله وحكمه وكأن القضاة أنفسهم آلهة ينطقون بحكم الله وينفذون مشيئته. ومما يؤكد أن إطلاق لفظ الآلهة على الناس كان من قبيل المجاز المطلق كإطلاق الألقاب الفخرية والأسماء الشرفية على المبرزين بسبب صفاتهم الكريمة وأعمالهم الهامة. بحيث إذا تغيرت صفاتهم وانحطت أعمالهم سحب اللقب وسقط الشرف، يؤيد هذا ما حدث عند انحراف بعض هؤلاء الآلهة ـ قضاة إسرائيل ـ إذ أنهم بعد أن كانوا يقضون بين الناس بالحق وينفذون ـ تعاليم الله انحرفوا عن جادة الصواب ومالوا مع الأحساب والأنساب وقبلوا الرشوة والعطايا من الناس مما أغضب داود النبى فأخبرهم بحكم الله بخلع هذه الألقاب الشرفية عنهم وبأنهم لا يستحقون أن يتصفوا بصفات الآلهة أو أبناء الله، بل يستحقون السقوط والخزى جزاء انحرافهم وسوء أعمالهم يقول لهم داود (أنا قلت أنكم آلهة وبنو العلى كلكم لكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون). مزمور ٨٢: ٦، ٧ وهذه الفقرة الأخيرة (أنا قلت أنكم آلهة) اقتبسها عيسى من التوراة عند قيامه بالرد على اليهود عندما أمسكوا حجارة ليرجموه لادعائه بنوة الله، وقال اليهود لعيسى (لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف فإنك وأنت الإنسان تجعل نفسك إلها) يوحنا ١٠: ٣١ ـ ٣٣ ويرد عيسى على اليهود وموضحًا لهم المجاز مؤكدًا أنه فى هذا يشبه نفسه بحكامهم وقضاتهم الآلهة الذين ينطقون بحكم الله فهو أيضًا إنسان حامل كلمة الله منفذ لتعاليمه كأحد أبنائه. يقول يوحنا عن هذه الحادثة (أجابهم يسوع أليس مكتوبًا فى ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة. إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله. ولا يمكن أن ينقض المكتوب. فالذى قدسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف لأنى قلت إنى ابن الله). هـ يوحنا ١٠: ٣٤ ـ ٣٦. راجع المسيح إنسان أم إله ص١٩١ ـ ١٩٣.

وليس المسيح مخصوصًا بهذا الاسم بل عمانوئيل اسم يسمى به النصارى واليهود من قبل النصارى.... وهذا موجود فى عصرنا[١] هذا فى أهل الكتاب من سماه أبوه (عمانوئيل) بمعنى (شريف القدر).

قال أحد علمائهم: وكذلك السريان أكثرهم يسمون أولادهم عمانوئيل قلت: ومعلوم أن الله مع المتقين والمحسنين والمقسطين بالهداية والنصر والإعانة، ويقال للرجل فى الدعاء: الله معك فإذا سمى الرجل بقوله (الله معك) كان هذا تبركًا بمعنى هذا الاسم، وإذ قيل إن المسيح سمى الله معنا أو إلهنا معنا ونحو ذلك كان ذلك دليلاً على أن الله مع من اتبع المسيح وآمن به فيكون الله هاديه وناصره ومعينه[٢].

ونخلص من هذا:

أن الاستشهاد بهذا الاسم لإطلاقه على المسيح المخلص لا يخلو من أخطاء واضحة. على أننا إذا سلمنا بهذا الاستشهاد فإن الفقرات لا تدل على المعنى الإلهى الذى يقصده النصارى من إطلاقه على المسيح، بل يدل بالأحرى على أنه يعنى أنه شريف القدر ـ لا أكثر ولا أقل ـ.

هذا بالإضافة إلى أنه أطلق على المسيح وعلى غيره فلا ميزة له فى ذلك.

٢ ـ ابن داود

من الألقاب التى أطلقها النصارى والأناجيل على المسيح والمرتبطة بالاستشهاد من العهد القديم (ابن داود أى من نسل داود والوارث الشرعى لعرشه)[٣]. لذلك نجد اهتمام النصارى بداود وذلك، لأن المسيح سيجلس على كرسيه كما يدعون.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: وهناك نبوات تشير بطريقة غير مباشرة إلى المسيح وبطريقة مباشرة إلى الملك العتيد ـ أى داود ـ والذى من صلبه سيخرج المسيا المنتظر كقول بلعام "أراه ولكن ليس الآن. أبصره ولكن ليس قريبًا. يبرز كوكب من

---

(١) الكلام لازال لابن تيمية.

(٢) الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح حـ١، ص٢١٢، ٢١٣، راجع أيضًا هداية الحيارى ص٢٩٣.

(٣) تفسير إنجيل متى ص١٦.

يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل فيحطم طرفى موآب ويهلك كل بنى الوغى. ويكون أدوم ميراثًا ويكون سعير أعداؤه ميراثًا. ويصنع إسرائيل ببأس. ويتسلط الذى من يعقوب ويهلك الشارد من مدينة"[١].

وفى سفر صموئيل الثانى حيث يقول الله للملك ناثان: هكذا تقول لعبدى داود هكذا قال رب الجنود أنا أخذتك من المريض من وراء الغنم لتكون رئيسًا على شعبى إسرائيل. وكنت معك حيثما توجهت وقرضت جميع أعدائك من أمامك وعملت لك اسمًا عظيمًا كاسم العظماء الذين فى الأرض. وعينت مكانًا لشعبى إسرائيل وغرسته فسكن فى مكانه ولا يضطرب بعد ولا يعود بنو الإثم يذللونه كما فى الأول، ومنذ يوم أقمت فيه قضاة على شعبى إسرائيل. وقد أرحتك من جميع أعدائك. والرب يخبرك أن الرب يصنع لك بيتًا. متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من أحشائك وأثبت مملكته. هو يبنى بيتًا لاسمى وأنا أثبت كرسى مملكته إلى الأبد. أنا أكون له أبا وهو يكون لى ابنا إن تعوج أؤدبه بقضيب الناس وبضربات بنى آدم. ولكن رحمتى لا تنزع منه كما نزعتها من شاول الذى أزلته من أمامك. ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيك يكون ثابتًا إلى الأبد. فحسب هذا الكلام وحسب كل هذه الرؤيا كذلك كلم ناثان داود[٢].

ويمكننا[٣] أن نعتبر كل هذه النصوص وحدة واحدة إذ أنها تعبر عن الملك داود الذى سيخرج من صلبه المسيح، وجدير بالذكر أن نبؤة بلعام هذه ـ السابقة الذكر ـ قد تحققت فى داود الذى جاء بعد بلعام.. فقد ظهر داود كملك عظيم انتصر على موآب وأدوم وعلى كثيرين من أعدائه[٤] وأسس مملكته العظيمة التى صارت فيما بعد المثال الذى يتغنى به كل إسرائيلى، والنموذج الذى يحلم به كل الملوك الذين جاءوا من بعده.

---

(١) عدد ٢٤: ١٧ ـ ١٩.

(٢) ٢ صموئيل ٧: ٨ ـ ١٧.

(٣) الكلام لازال د/ حنا جرجس الخضرى.

(٤) راجع٢ صموئيل ٨: ٢ ـ ١٤.

وفى العهد القديم نبوات كثيرة جدًا تشير إلى داود باعتباره الشخص الذى منه سيخرج المسيا المنتظر الذى سيعطى سلامًا وراحة لشعبه[١].

فداود هو الملك العظيم والمسيح كما يعتقد المسيحيون ابن داود الذى سيجلس على كرسى مملكته إلى الأبد، ويستشهدون بما جاء فى النبوءات التى وردت فى العهد القديم، والتى أشرنا إلى بعض منها، ومن هذه ما جاء فى المزامير (أقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك. إن حفظ بنوك عهدى وشهاداتى التى أعلمهم إياها فبنوهم أيضًا إلى الأبد يجلسون على كرسيك)[٢] ومنها قول داود (إنى أخبر من جهة قضاء الرب. قال لى أنت ابنى. أنا اليوم ولدتك. اسألني فأعطيك الأمم ميراثًا لك وأقاصى الأرض ملكًا لك. تحطمهم بقضيب من حديد)[٣] ويقولون إن المقصود من هذه النبوءات هو المسيح ابن داود.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: عندما ندرس العهد الجديد بتدقيق نلاحظ أن كتابه أكدوا بشدة أن يسوع هو ابن داود، فالمسيا الموعود به والذى يجب أن ينقذ الشعب من خطاياه وعبوديته يجب أن يكون من نسل داود، وهذا الأمر ـ أى نسب المسيح لداود ـ مهم جدًا ليس فقط بالنسبة للعهد القديم، بل بالنسبة للعهد الجديد أيضًا، ففى المسيح ابن داود تتحقق للكنيسة المسيحية الوعود الروحية التى كان ينتظرها شعبه فى العهد القديم[٤] أى يتحقق فى المسيح بنسبته إلى داود الخلاص الذى كان ينتظره الشعب، وهذا يعنى أن نسب المسيح إلى داود مهم للعهد القديم الذى تحدث عن النبوءات عن ابن داود المخلص، ومهم بالنسبة للعهد الجديد الذى ذكر أن المسيح هو ابن داود فى شواهد كثيرة من العهد الجديد.

فلقب (ابن داود) يعنى بالنسبة للمسيحيين أنه المخلص، ولقد ذكرت الأناجيل ذلك وأكدته. يقول د/ فهيم عزيز (أيضًا فى الأناجيل لقب آخر للمسيح يرتبط

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٣٠ ، ٣١.

(٢) مزمور ١٣٢ : ١١ ، ١٢.

(٣) مزمور ٢ : ٧ ـ ٩.

(٤) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص١٧٣.

بملكوت الله [١] وهو ابن داود. وتختلف الأناجيل فى عدد مرات إيراد هذا اللقب للمسيح فهو يرد فى إنجيل مرقس ثلاث مرات، مرتين على لسان بارتيماوس ـ الأعمى[٢] حينما حاول الأعمى أن ينال الشفاء على يدى المسيح بكونه ابن داود أى المسيا والملك الذى يأتى من نسل داود، أما المرة الثالثة فهى جاءت فى الإصحاح الثانى عشر[٣] حيث يلقى السيد على الكتبة سؤالاً عن موقف المسيح من داود: هل هو ابنه أم ربه؟ وكلام السيد مقتبس من مزمور ١١٠ : ١.

ولعلنا نجد الجواب على هذا السؤال الذى عجز اليهود عن الرد عليه فى قصة البشارة للعذراء المذكورة فى لوقا[٤]، حيث يقول الملاك للعذراء: (ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه) فالمسيح هو ابن داود بحسب الجسد، لكى يكون الوارث الشرعى للملك كما يقول بولس (الذى صار من نسل داود حسب الجسد ولكنه فى مجده وتمجيده هو ابن الله وهو رب داود نفسه)[٥].

ويلاحظ أن إنجيل لوقا يتبع إنجيل مرقس فى ذلك ـ أى فى إطلاق اللقب ـ ولا يزيد عليه إلا ما ذكره فى قصة الميلاد. وأما إنجيل متى فإنه يختلف عن ذلك فهو يضع تنبيرا خاصًا، على هذا اللقب، فقد أكد على نسب المسيح من داود توكيدًا خاصًا وذلك لكى يبرهن لليهود أنه هو أيضًا المسيا الذى يقوم بأعمال الفداء والشفاء[٦].فلقد ذكرت الأناجيل أن المسيح هو ابن داود وأكدت على ذلك لإبراز أنه المنقذ الذى يخلص البشرية.

---

(١) تفيد هذه العبارة عدة معان، والمعنى الذى يقصده النصارى من هذه العبارة هو النظام التى أتى المسيح لينظمه (متى ٤ : ١٧، ١٣ : ١١، أعمال الرسل ١ : ٣) وتفضل شعب الله ـ ويقصدون أنفسهم ـ حسب اختيار الرب (متى ٢١ : ٤٣) ومجد المسيح وتسلطه (١٦ : ٢٨). فالمسيح أعطى ملكوتًا ـ كما يقولون ـ أو سلطانًا والناس الذين يؤمنون به يرثون ملكوته وسلطانه الذى أقامه الله ـ المسيح ـ على الأرض تميزًا لهم عن ممالك البشر) راجع علم اللاهوت النظامى ص٨٨٤، قاموس الكتاب المقدس ص٩١٩.

(٢) مرقس ١٠ : ٤٧ ـ ٤٩.

(٣) مرقس ١٢ : ٣٥.

(٤) لوقا ١ : ٢٦ ـ ٣٨.

(٥) رومية ١ : ٤.

(٦) المدخل إلى العهد الجديد ص١٩٧، ١٩٨.

والناظر فى الاستشهادات السابقة لم يجد قولاً للمسيح ينسب فيه نفسه إلى ابن داود، ولكن نجد أن الأناجيل تذكر[١] أن سؤالاً وجهه المسيح إلى الفريسيين ماذا تظنون فى المسيح ـ أى المخلص ـ؟ فقال الفريسيون: إنه من نسل داود فقال لهم لن يكون من نسل داود (لأن داود قال عنه إنه سيده فلو كان من نسل داود ما كان يقول عنه أنه سيده) وهذا يعنى:

أولاً: أن المسيح لو كان ابن داود فليس هو المخلص الذى تنبأت به الكتب المقدسة، لأن المسيح عيسى بن مريم قال ذلك واستشهد بأقوال داود.

ثانيًا: أنه لو كان المسيح بن مريم هو المخلص الذى يخلص البشرية فليس هو ابن داود، هذا هو ما تشير إليه كتبهم (ذلك أن داود نفسه يدعوه ربا فكيف يكون هو ابنه؟) فلقد دعاه داود ربا. يقول داود فى المزمور العاشر بعد المائة "قال الرب **لربى** اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك" ١١٠ : ١.

فلقد دعا داود هذا المسيح المنتظر بأنه رب فكيف يكون ابنه؟

ولقد أكد علماء المسيحية أن المسيح بن مريم إنما هو (ابن داود)، وعليه فإنه ليس هو المسيح المخلص.

على أننا لو سلمنا أن (ابن داود) هو المخلص، فإن فى نسبة المسيح إلى داود ـ أى جعله من نسل داود ـ كلام كثير من ناحية النسب.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: والاعتراض الذى يقدمه الذين يرفضون الميلاد العذارى سلسلتا النسب فى إنجيل متى (١ : ٢ ـ ١٦) وفى إنجيل لوقا ٣ : ٢٣ ـ ٣٨) "فمتى" يذكر شجرة نسب يوسف وليس شجرة نسب مريم.

فمتى يصل (متى) إلى هدفه، أى لكى يبين أن المسيح هو من نسل داود يعطى لنا سلسلة طويلة من الأسماء التى تنتهى بالقول (ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح)[٢].

---

(١) متى ٢٢ : ٤١ ـ ٤٦، مرقس ١٢ : ٣٥ ـ ٣٧، لوقا ٢٠ : ٤١ ـ ٤٤.
(٢) متى ١ : ١٦.

وأما (لوقا) فلكى يصل إلى نفس الهدف أى بأن يسوع هو ابن يوسف وابن داود فيقول: ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف ابن هالى.... ابن داود..... ابن آدم[١].

وبناء على ذلك فإن يوسف لم يكن هو الأب الشرعى ليسوع فلا يمكن أن يكون يسوع هو ابن داود، فإن الهدف الذى من أجله سجلت هاتان السلسلتان هو إثبات بنوة يسوع لداود، فإذا كان يسوع قد ولد بطريقة معجزية دون أى اتصال جنسى بين مريم ويوسف فإن يسوع يفقد نسبته لداود الأمر الذى يتمسك به عدد كبير من كتاب العهد الجديد[٢].

فكتبة الأناجيل يحملون الأشياء فوق طاقتها لإثبات نسب المسيح إلى داود فلقد قرر كتاب الأناجيل أن عيسى من سلالة داود ـ، وذلك ليلقوا فى روع الناس أن عيسى هو المسيح المنتظر وأنه هو المقصود بالكلمات والروايات والنبوءات التى تتحدث عن المسيح المنتظر، ولما كانت أكثر النبوءات شيوعا عن المخلص الذى سيرسله الله لتحرير إسرائيل أنه سيكون من سلالة داود ملك العصر الذهبى لليهود قرر كتاب الأناجيل أن عيسى من سلالة داود، وأجبروا مريم فى صحفهم على أن تترك بلدتها الناصرة وتذهب إلى مدينة بيت لحم التى كانت منبت داود لتلد فيها عيسى، ولكن هؤلاء الكتاب قد وقعوا فى مأزق عجيب، بل وفى تناقض صارخ، فبينما يقررون أن عيسى ولد من مريم دون أن يمسها رجل، يعودون فيقررون ـ جريا وراء أسطورة المسيح المخلص ـ أن عيسى من نسل داود، ولو كان عيسى ينتسب إلى داود من جهة أمه مريم لكان أمرًا من الممكن قبوله، أى لو كانت مريم من ذرية داود لكانت نسبة عيسى إلى داود أمرًا مفهومًا، ولكن الدهشة تعلو وجوهنا عندما نراهم يربطون بين عيسى وداود عن طريق يوسف النجار[٣]. (والواقع أنهم بجريهم وراء أسطورة المسيح المخلص، ومحاولتهم خلع لباس المسيح على عيسى، قد جردوا عيسى ابن العذراء من ميزته الكبرى ومعجزته العظمى، جردوه من حيث لا

---

(١) لوقا ٣: ٢٣ ـ ٣٨.

(٢) تاريخ الفكر المسيحى ١٧٣، ١٧٤.

(٣) المسيح إنسان أم إله ص٣٠ ـ ٣١.

يشعرون من معجزة ميلاده دون زرع رجل، بل وصموه وأمه دون أن يشعروا بأشنع الأوصاف، وأحط الاتهامات، فسايروا بذلك افتراءات أعدائه عن دنس مولده وفحش أمه.

هكذا فضلوا الأسطورة على الحقيقة. فضلوا أسطورة المسيح ابن داود على حقيقة عيسى ابن العذراء، جعلوا عيسى المسيح بن يوسف ابن داود ورفضوا أن يكون عيسى المبارك صاحب الميلاد المعجز الفريد)[١].

ويتبين أنهم فى نسبتهم المسيح إلى داود جعلوا المسيح ابنا ليوسف وفى هذا القول ما يشبه القدح فى طهارة السيدة مريم وعفتها، حيث إنه فى نسبة المسيح إلى يوسف نفى لميلاد المسيح المعجز الذى اختص الله به مريم.

لقد نسى هؤلاء تلك المعجزة جريًا وراء كون المسيح هو المقصود بنبوءات العهد القديم، لقد أصبح اسم يوسف النجار مرتبطًا باسم المسيح على أنه ابنه ومن نسله حتى إن الكثيرين من تلاميذ عيسى اللصيقين به لا يعرفونه إلا بأنه ابن يوسف.

يروى يوحنا محاورة جرت بين اثنين من التلاميذ كانا يتحدثان عن عيسى. يقول يوحنا إن (فيلبس وجد نثنائيل وقال له: وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس والأنبياء يسوع ابن يوسف الذى من الناصرة)[٢] وعرف الجميع عيسى على أنه ابن يوسف شقيقًا لإخوته الآخرين أبناء النجار ومريم. يقول متى (ولما جاء إلى وطنه كان يعلمهم فى مجمعهم حتى بهتوا وقالوا: من أين لهذا هذه الحكمة والقوات؟ أليس هذا ابن النجار؟ أليست أمه تدعى مريم؟ وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا؟ أو ليست أخواته جميعهن عندنا؟)[٣]، [٤].

ويتبين من هذا أن لقب ابن يوسف أصبح مرتبطًا باسم المسيح... وإذا كان المسيح ابنا ليوسف فإن معنى ذلك أنه ليس مولودًا بطريق المعجزة.. ولكنهم أغفلوا ذلك فنسبوه ليوسف لكى يكون (ابن داود).

---

(١) المرجع السابق ص٣٢.
(٢) يوحنا ١ : ٤٥.
(٣) متى ١٣ : ٥٤ ـ ٥٦.
(٤) المسيح إنسان أم إله ص٣٤.

❖ على أن المتأمل فى سلسلة النسب التى ذكرتها الأناجيل من أجل نسبة المسيح إلى داود يجد اختلافًا كبيرًا لا يمكن أن يقع مثله فى كتاب من تأليف بشر فضلاً عن أن يكون كما يدعى أصحابه أنه من عند الله، ذلك أننا نجد اختلافًا بين إنجيل متى وإنجيل لوقا فى نسب المسيح، فإن من يقابل بين نسب المسيح الذى فى إنجيل متى بالبيان الذى فى إنجيل لوقا يجد ستة اختلافات وهى كما يلى:

١ ـ يعلم من متى أن يوسف ابن يعقوب ومن لوقا أنه ابن هالى.

٢ ـ يعلم من متى أن عيسى من أولاد سليمان بن داود عليه السلام ومن لوقا أنه من أولاد ناثان[١] بن داود.

٣ ـ يعلم من متى أن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورون. ومن لوقا أنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان.

٤ ـ يعلم من متى أن شألتئيل بن يكنيا ويعلم من لوقا أنه ابن نيرى.

٥ ـ يعلم من متى أن اسم ابن زر بابل أبيهود. ومن لوقا أن اسمه: ريسا. والعجب أن أسماء بنى زر بابل مكتوبة فى الإصحاح الثالث من السفر الأول من أخبار الأيام وليس فيها أبيهود ولا ريسا، فالحق أن كلاً منهما غلط.

٦ ـ من داود إلى المسيح عليهما السلام ستة وعشرون جيلاً على ما بين (متى)، وواحد وأربعون جيلاً على ما بين لوقا.

ولما كان ما بين داود والمسيح مدة ألف سنة، فعلى الأول يكون فى مقابلة كل جيل أربعون سنة وعلى الثانى خمسة وعشرون.

ولما كان الاختلاف بين البيانين ظاهرًا بأدنى التأمل تحير فيه علماء المسيحية من زمان اشتهار هذين الإنجيلين إلى اليوم[٢] ولعل سبب كل هذه الاختلافات، هو محاولة جعل المسيح من نسل داود، وهنا يقف الباحث أمام هذه الاختلافات الواضحة فى سلسلة النسب متحيرًا! ومتسائلا! هل يقع مثل هذا فى كتاب أوحى به من عند الله؟ وأى الإنجيلين أصدق وأيهما أصح؟ بمعنى: هل سلسلة النسب الواردة

---

(١) يذكر د/ محمود وصفى: أن البروتستانت يقولون إن من أخرج سليمان من نسب المسيح فقد أخرج المسيح عن كونه مسيحًا أ.هـ (المسيح والتثليث) ص٤.

(٢) إظهار الحق ص١١٤.

فى إنجيل متى هى الصحيحة، أم السلسة الواردة فى إنجيل لوقا؟ ولما كانت السلسلة الصادقة الصحيحة غير متعينة فالشك يرد على الاثنين حتى تثبت السلسلة الصحيحة.

❖ وحتى لو سلمنا بصحة السلسلة التى ذكرت فى الإنجيلين فإننا لو نظرنا فيها نظرة فاحصة لوجدنا أن المسيح بهذه السلسلة لا يجلس على كرسى داود، والذى من أجل هذه الوظيفة ومن أجل هذا الكرسى غيّر كتبة الأناجيل نسبه إلى يوسف حتى يكون هو المقصود بهذا الجلوس على كرسى داود ـ

يقول الاستاذ/ عبد الرحمن الجزيرى: على أن الذى يتأمل فى التوراة يجد فيها ما يدل صريحًا على أن عيسى ليس برسول فضلاً عن كونه إلها مخلصا، ومن أراد أن يعرف ذلك فليقرأ الإصحاح السادس والثلاثين من كتاب إرميا وملخصه أن إرميا النبى استدعى شخصًا اسمه باروخ، وكلفه أن يكتب زواجر شديدة أوحى الله إليه بها ليقرأها على الشعب، وعلى الملك أياقيم ملك يهوذا، فقرأها على الشعب وأخذها بعضهم ليقرأها على الملك فلما سمع بعضًا منها أخذها وألقاها فى النار التى كان يستدفئ بها فأحرقها، فغضب الله عليه غضبًا شديدًا، **وقال إنه لا يكون من نسله أحد يجلس على كرسى داود**[1] **وعيسى من نسله. فإذا صدقت التوراة** فإن عيسى لا يكون رسولاً فى نظر التوراة، لأنه لابد أن يكون جالسًا على كرسى داود عندهم، فقد صرح لوقا فى الإصحاح الأول من إنجيله أن جبريل بشر مريم بأن الرب سيعطى عيسى كرسى داود. ونص عبارته (ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد)[2] فلوقا قد نص على أن جبريل قال لمريم أن يسوع سيملك كرسى أبيه داود، وأنت ترى فى نسب المسيح المذكور فى أناجيلهم أن (أياقيم) من أجداده، والتوراة تقول إنه لا يملك أبدًا، والإنجيل يقول إنه يملك يدًا، فبأيهما نأخذ؟ وعلى أيهما نعتمد؟)[3].

---

(١) والنص كما جاء فى سفر إرميا (لذلك هكذا قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا. لا يكون له جالس على كرسى داود. وتكون جثته مطروحة للحر نهارًا وللبرد ليلاً. وأعاقبه ونسله وعبيده على إثمهم وأجلب عليهم وعلى سكان أورشليم وعلى رجال يهوذا كل الشر الذى كلمتهم به ولم يسمعوا) إرميا ٣٦: ٣٠ ـ ٣١.

(٢) لوقا ١: ٣٢ ـ ٣٣.

(٣) عبد الرحمن الجزيرى: أدلة اليقين ص ١٤٢.

فالاعتراض القائم: أن الأناجيل ذكرت فى سلسلة نسب المسيح (ألياقيم[١]) على أنه من أجداده[٢]، وألياقيم هذا قال عنه الرب إنه لا يملك كرسى داود، بل يجلب عليهم الشر والإثم، وعليه فالمسيح لا يجلس على كرسى داود لأنه من نسله، بينما تذكر الأناجيل أن عيسى سيجلس على كرسى داود، فبأى الروايتين نأخذ؟ وعلى أيهما نعتمد؟.

❖ على أننا لو أخذنا بظاهر نصوص الكتاب المقدس فإننا نقول إن داود لا يدخل فى جماعة الرب، ومادام لا يدخل فى جماعة الرب فنسله أيضًا لا يدخل فى جماعة الرب.

يقول عبد الرحمن الجزيرى (ورد فى سفر التثنية الإصحاح الثالث والعشرين) ما نصه: (لا يدخل ابن زنى فى جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد فى جماعة الرب)[٣].

وورد فى الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين (أن فارص بن يهوذا ابن يعقوب ابن زنا) ومحصل ما ورد فى ذلك الإصحاح أن يهوذا ابن يعقوب زنا بامرأة ابنه المتوفى لأنها تنكرت له وأوهمته أنها زانية فمال إليها وفسق بها فحملت منه باثنين وهما فارص وزارح... إلى آخره.

وورد فى الإصحاح الأول من إنجيل متى نسب المسيح، وقد نص فيه على أن ـ (فارص) الجد العاشر لداود فهل يا ترى لا يدخل داود فى جماعة الرب لأن جده العاشر ابن زنا أو يدخل؟ إنه لا يدخل بلا نزاع، لأن الجيل معناه الصنف من الناس فيقال للعربى جيل وللتركى جيل فاستعمال الجيل هنا لابد أن يكون الغرض منه الطبقة المغايرة للطبقة التى قبلها (ففارص) طبقة، وابنه (حضروم) طبقة ثانية، وهكذا إلى داود، وداود هو العاشر، والتوراة صريحة فى أن الجيل العاشر لا يدخل

---

(١) ويدعى أيضا "يوياقيم:"، "يوقيم"، واسمه الأصلى "ألياقيم" بمعنى الله يقيم وقد غير فرعون نخو اسمه وسماه "يهوياقيم" عندما أجلسه على عرش يهوذا (٢ ملوك ٢٣: ٣٤). راجع قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٩٨.

(٢) متى ١: ١٣، لوقا ٣: ٣٠.

(٣) تثنة ٢٣: ٢.

منه أحد فى جماعة الرب، وكيف يصح ذلك وداود مقدس عندهم ويفتخرون بانتساب المسيح إليه؟[١].

وعلى هذا فداود الذى جعله كتبة الأناجيل رأس سلسلة نسب المسيح لأنه يجلس على كرسى عرشى ليس من جماعة الرب، كيف يكون ذلك ويخرج من نسله المسيح؟ ولقد أوردنا ذلك لإلزام القوم لا غير، ذلك لأننا نؤمن بأن داود رسول من رسل الله وكذلك عيسى أيضًا.

وعموم القول: إن انتساب المسيح إلى داود لم يسلم من النقد من جميع الوجوه مما يجعله مشكوكا فى صحته.

وبعد

فهذه بعض من ألقاب المسيح والتى تبرز مهمته كمخلص البشرية، ولقد تبين من خلال مناقشتنا لها أنها لا تدل على ألوهية المسيح ولا تدل على الخلاص.

وتبين لنا أيضًا أن النصارى حملوا هذه الألقاب مالا تحتمله حتى يصدق على المسيح القول بالألوهية، وحتى يتسنى لهم القول بأن المسيح هو المخلص، لأن من شروط الخلاص ـ عندهم ـ أن يكون المخلص مشتركًا فى اللاهوت والناسوت. أى إلهًا متجسدًا وهو موضوع الفصل الثانى.

(١) أدلة اليقين ص١٧٤ ـ ١٧٥.

الفصل الثانى

دعوى التجسد الإلهى وأهميتها للخلاص المسيحى

معنى التجسد

التجسد فى علم اللاهوت المسيحى يعنى أن المسيح ابن الله قد صار جسدا ـ أو كما قال يوحنا: قد صار جسدًا وحل بيننا ورأينا مجده كما لوحيد من الآب مملوءًا نعمة وحقًا[١].

يقول كلايد تارنر: نعنى بالتجسد أخذ جسد بشرى، أى أن ابن الله الأزلى جاء إلى العالم وأخذ جسدا بشرًا والكلمة صار جسدًا[٢].

ويقول القس إنسطاسى شفيق: إن الأقنوم الثانى أخذ جسدًا فكان هو الكلمة قبل أن يتجسد، ولم يزل هكذا بعد ذلك، فقد ولد من عذراء وأخذ جسدا بشريًا مثلنا تمامًا ما خلا الخطية[٣].

فالتجسد المسيحى يعنى أن المسيح الذى هو الكلمة صار جسدًا.

ما يحتويه معنى التجسد

يتبين من معنى التجسد السابق أنه يحتوى ـ فى اعتقادهم ـ على حقيقتين :ـ

حقيقة جسدية وهى تعنى أن المسيح إنسان حق.

وحقيقة إلهية وهى تعنى أن المسيح إله حق.

يقول كلايد تارنر: هناك حقيقتان يحويهما تجسد المسيح إنسان حق، وإله حق[٤].

أولاً الحقيقة الإنسانية:ـ

ويقول تحت قوله (المسيح إنسان حق) إن الاسم الذى أطلقه المسيح على ذاته أكثر من غيره من الأسماء هو "ابن الإنسان"، وكل ما وراه لنا عنه الإنجيل يقدمه كإنسان عاش، واتصف بكل صفات الإنسان، كبر، ونما جسديًا (وأما يسوع فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس)[٥].

---

(١) يوحنا ١ : ١٤.

(٢) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٨٢.

(٣) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص٤١.

(٤) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٨٢.

(٥) لوقا ٢ : ٥٢.

لقد تعب المسيح وجاع (فإذ كان يسوع تعب من السفر جلس هكذا على البئر)[١] "فبعدما صام أربعين نهارًا أو أربعين ليلة جاع أخيرًا"[٢] كما تألم آلامًا جسدية: بكى، ونام، ومات، كل هذه الاختبارات تشهد بكون يسوع إنسانًا[٣].

وهذه الطبيعة الجسدية تظهر فى كونه حملت به امرأة وولدته ثم بعد ذلك اتصف بكل صفات الإنسان.

يقول القس إنسطاسى شفيق: لابد فى الكلام عن تجسد المسيح من ذكر ما سيأتى:

أولاً: من جهة نفس التجسد: ينبغى أن نلاحظ أمرين على الخصوص.

أحدهما: الحبل به الذى كان فى مستودع واحدة من الجنس البشرى، وقد صار به ابن الإنسان حقًا كما دعى مرارًا كثيرة، وكان من نسل آدم ابنا لإبراهيم وابن داود حسب وعد الله، غير أن هذا الحبل لم يكن كمألوف العادة بل بقوة الروح القدس.

والثانى: ولادته: ومع أن الحبل به كان فائق الطبيعة كانت طبيعته البشرية بعد الحبل تنمو شيئًا فشيئًا فى مستودع العذراء حسب مجرى الطبيعة إلى أن كملت، وهكذا كانت ولادته كجارى العادة فى غيره، ولكن بما أن الحبل به كان فائق الطبيعة بقوة الروح القدس حبل به وولد من دون خطية[٤].

إن الطبيعة البشرية التى أخذها يسوع لم تكن طبيعة مختلفة عن كل الطبائع البشرية، بل هى نفس طبيعة كل إنسان، وهى طبيعة آدم قبل السقوط بل بعده[٥].

لذلك جاء فى علم اللاهوت النظامى:

إن المسيح إنسان حقيقى، أى ذو طبيعة بشرية كاملة، ولذلك كل ما ينسب إلى الإنسان باعتبار ناسوته ما خلا الحظية يمكن أن ينسب إلى المسيح[٦].

---

(١) يوحنا ٤: ٦.

(٢) متى ٤: ٢.

(٣) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٨٣.

(٤) الفداء فى إنجيل لوقا ص١٤٩.

(٥) تاريخ الفكر المسيحى ص٣٨٩.

(٦) علم اللاهوت النظامى ص٧٧٣.

أهمية كون المسيح جسدًا بالنسبة للخلاص المسيحى

أما عن أهمية هذه الحقيقة بالنسبة للخلاص فتتلخص فى أن المسيح اتخذ جسدًا من جنس جسد الخطية، حتى يستطيع أن يتغلب عليها.

فالمسيح اتخذ طبيعة جسدية مثل الطبيعة الجسدية التى أخطأ بها آدم.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: "فالمسيح قد جاء(فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية فى الجسد)[١] أى أنه هجم على الخطية وهزمها فى معقلها، فلو جاء المسيح فى جسد يختلف عن أجسادنا فى طبيعة تختلف عن طبيعتنا، لأصبح غريبًا عن جنسنا، ولكنه على العكس من ذلك كان مجربًا فى كل شىء مثلنا، والاختلاف بيننا وبينه بالرغم من اشتراكه فى نفس الطبيعة أنه لم يسلك فى نفس الطريق الذى نسلك فيه[٢].

فالمسيح اتخذ جسدا وذلك لأجل أن ينتصر ويتغلب على الخطية بثوب الخطية، لأن من شروط المخلص أن يتخذ جسدًا، وهذا الجسد لابد وأن يكون من جنس جسد الخطية لا من جنس آخر.

يقول أنسلموس اللاهوتى: من أين يتخذ الله الطبيعة البشرية؟ وكيف يتخذها؟ لأنه إما أن يتخذها من آدم، أو يصنع إنسانًا آخر كما صنع آدم من غير، فإن كان الثانى: أى لو صنع إنسانًا جديدًا من غير جنس آدم لما كان هذا منتسبًا إلى الجنس البشرى المتناسل من آدم، فليس عليه إذاً أن يوفى عنه لكونه ليس منه، لأنه إن جاز أن يوفى إنسان عن خطية إنسان كان من الواجب أن يكون القائم بالوفاء من جنسه الخاطىء إذا لم يكن هو نفسه، وإلا لا آدم ولا نسله يقومون حقيقة بالوفاء.

وبما أنه من آدم وحواء قد سرت الخطية إلى العالم فلا يقتضى أن يكفر عن خطايا العالم إلا هما بالذات، أو واحد من نسلهما، ولما كانا هما غير قادرين على ذلك وجب أن يعمله واحد من ذريتهما، أضف إلى ذلك كما أنه لو لم يسقط آدم وكل نسله فى الخطية لبقوا قائمين بدون معاونة خليقة أخرى، كذلك إذا كان هذا الجنس الساقط يقوم فيلزم أن يقوم وينهض بنفسه، يعنى بدون عون خارجى، لأن أى من

---

(١) رومية ٨: ٣.

(٢) تاريخ الفكر المسيحى ص٣٩١.

رفعه وأعاده إلى مركزه الأصلى يبقى قائمًا فى الذى رفعه. ثم لما خلق الله فى البدء البشرية فى آدم الأول لم يشأ أن يصنع المرأة التى هى أحد الجنسين اللذين تناسل منهما الناس إلا منه أيضًا، فأظهر بذلك جليًا أن من آدم وحده يقصد أن يحقق غايته فى الخليقة البشرية، لذلك إذا كان الجنس الآدمى ينهض بإنسان من غير ذات جسمه فلا يعاد إلى المقام الذى كان مزمعًا أن يناله لولا خطية آدم، فيحبط إذ ذاك قصد الله. على أن كلا من الأمرين غير لائقين.

إذاً من الواجب إذ ذاك الإنسان الذى يتجدد به بنو آدم يتخذ الطبيعة الآدمية[١] فلابد للمخلص فى العقيدة المسيحية من أن يتخذ جسدًا، ولابد أن يكون جسد هذا المخلص من طبيعة جسد آدم، حتى يستطيع أن يقوم فساد الإنسان نتيجة الخطية، وأن يعيد الجنس البشرى إلى المقام الأسمى الذى كان فيه الإنسان قبل الخطية.

ذلك أنه لو اتخذ جسدًا من جنس آخر لما كان منتسبًا إلى الجنس البشرى المتناسل من آدم، ولما استطاع أن يكفر عن خطيئة آدم، لأنه لابد وأن يكون المكفر عن الخطية هو آدم أو ـ كما يقولون ـ أحد أفراد جنسه، ولما كان آدم غير قادر على هذا التكفير كان الواجب أن يكون واحدًا من جنسه، فكان الواجب أن يتخذ المخلص جسدا من طبيعة آدم.

ولكن لنا تعليق بسيط: إذا كان كل أفراد الجنس البشرى متصفين بالسقوط فى الخطية نتيجة لخطية آدم فكيف يكون المسيح بجسد بشرى وهو غير خاطىء؟

ذلك أن المسيح قد ولد من مريم، وهى واحدة من أفراد الجنس البشرى الساقط الذى ورث الخطية من آدم، فكيف يكون مبرأ من الخطية وهو قد ولد من جسد خاطىء ولبس جسدًا خاطئًا؟ خاصة وأن المبدأ الأصيل عندكم "كل شجرة جيدة تصنع أثمارًا جيدة وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارًا ردية لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارًا ردية ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارًا جيدة"[٢].

والجواب عندهم: أن هذا المسيح الذى اتخذ جسدًا مبرأ من الخطية، لأنه ابن الله المتجسد!

---

(١) أنسلموس اللاهوتى: لماذا تجسد الكلمة ص٥٥.

(٢) متى ٧: ١٧، ١٨. لوقا ٦: ٤٣.

وهنا نقول: إنه على ذلك ليس من نسل آدم!! فكيف يكون من نسل آدم وهو ابن الله ـ كما تقولون ـ المتصف بالأزلية؟

ثانيًا: الحقيقة الثانية فى المسيح المتجسد: كونه إلهًا:

إن الاعتقاد السائد بين النصارى أن الذى اتخذ طبيعة بشرية وجسدًا من أجسادنا ليخلص البشرية إنما هو ابن الله نزل من السماء وتجسد فى صورة بشرية.

يقول القديس إثناسيوس الرسولى: لماذا لم يكن ممكنًا لأحد آخر سوى الله (الكلمة) نفسه أن يتجسد؟ (لأنه لاق بذاك الذى من أجله الكل وبه الكل، وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام) [١] وهو بهذه الكلمات يقصد أن يبين أنه لم يكن مستطاعًا لأحد آخر أن يرد البشر عن الفساد الذى بدأ، غير كلمة الله الذى خلقهم أيضًا من البدء[٢].

ويقول كلايد تارنر (لم يكن يسوع ابن الإنسان فحسب ولكنه كان ابن الله)[٣].

فالذى تجسد فى الاعتقاد المسيحى إنما هو ابن الله، لأنه هو وحده الذى يستطيع أن يخلص البشرية. وقبل أن نفصل القول فى أقوال النصارى فى ألوهية المسيح علينا أن ننظر متى بدأ القول بألوهية المسيح؟

إن الناظر فى العهد الجديد لم يجد كلمة للمسيح يشير فيها إلى ألوهيته.

يقول المسيح عن نفسه كما يروى إنجيل يوحنا (أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله)[٤].

ويقول أيضًا فى الدلالة على أنه رسول من عند الله (الكلام الذى يسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى)[٥] ففيه تصريح بالرسالة وبأن الكلام الذى تسمعونه هو من الله الذى أرسله.

---

(١) عبرانين ٢ : ١٠.
(٢) تجسد الكلمة ص٤٢.
(٣) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٨٣.
(٤) يوحنا ٨ : ٤٠.
(٥) يوحنا ١٤ : ٢٤.

ويقول أيضًا (هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته)[١].

فعيسى بن مريم لم يدع أنه إله أو ابن إله، وهذا هو الثابت فى العهد الجديد، وهو الثابت أيضًا لدى الباحثين من النصارى.

ففى عام سنة ١٩٢١م اجتمع عدد كبير من رجال الدين فى إكسفورد، ورأس الاجتماع د/ راشدل "أسقف كارليل الذى أذهل خطابه العالم المسيحى، لأنه ذكر أن قراءته للكتاب المقدس لا تجعله يعتقد أن عيسى إله، وأنه إنسان بكل ما يحتمله هذا اللفظ من معان. وأهم أقواله فى هذه المؤتمر ما يلى:-

قال: يوجد ضغط متزايد يذهب إلى أنه يجب على رجال الدين المتحررين أن يحددوا أقوالهم، وماذا يعنون على وجه الحقيقة حينما يستخدمون النصوص الموروثة عن ألوهية المسيح، وها هى ذى بعض الأشياء التى لا تعنى ولا يمكن أن تعنى نسبة الألوهية إلى عيسى:

أ ـ لم ينسب عيسى إلى نفسه الألوهية، ومن الجائز أنه سمح لنفسه أن ينادى بالمسيح، ولكنه لا يوجد مطلقًا فى أقواله الثابتة إلا ما يشير إلى أن صلته الشعورية بالله هى صلة إنسان بربه، أما أقوال الإنجيل الرابع التى تذهب إلى أبعد ما تذهب إليه أقوال الأناجيل الثلاثة فلا يمكن النظر إليها على أنها تاريخية.

ب ـ يستتبع الاعتراف بأن عيسى إنسان بكل ما يدل عليه اللفظ وأنه ما هو إلا جسد بشرى أنه روح بشرية عقلاً وإرادة[٢].

وفى هذا المؤتمر افتتح هـ. د. أ. ميجر المناقشة بقوله: يجب أن يكون معروفا بوضوح أن عيسى لم يدع فى الأناجيل أنه ابن الله بالمعنى الجسدى، كما يوحى بذلك القصص عن مولده من عذراء، كما أنه لم يدع أنه ابن الله بالمعنى الميتافيزيقى كما تذهب إلى ذلك عقيدة مجمع نيقية.

---

(١) يوحنا ١٧ : ٣.

(٢) وقال أيضًا: إن ألوهية المسيح لا تستنتج بالضرورة من مولده من عذراء، أو من آية معجزة أخرى، فالمولد من عذراء لا يدل على ألوهية المسيح كما أن عدم إثباته لا يثير الشك فى النظرية. راجع د/ محمد جابر عبد العال: فى العقائد والأديان ص٢٤٩.

وورد فى دائرة المعارف البريطانية ما نصه: (ولم يدع عيسى قط أنه من عنصر فوق الطبيعة ولا أن له طبيعة أسمى من طبيعة البشر، وكان قانعًا بنسبه العادى ابنا لمريم منسوبًا من جهة الأب إلى يوسف النجار)[١].

ويقول ولز (لا يبرز المسيح دعواه أنه المسيح ولا يضفى على اشتراكه مع الله فى الربوبية أى ثوب بارز، ربما أحسسنا أنه لم يكن ليفوته أن يضيفه لو أنه كان يراه أمرًا فى الدرجة الأولى من الأهمية)[٢].

فالمسيح لم يدع أنه إله، ولو كان المسيح إلهًا كان ولابد أن يبرز ذلك، بل يكون أول وصاياه، لا أن يخفى حقيقة ألوهيته إذا كان إلهًا.

وهناك بعض الأسباب التى أوردها كتاب النصارى لإخفاء المسيح لألوهيته.

أهمها أنه لا يستطيع أحد فهمها إلا بعد قيامة المسيح[٣]، وحتى لا يعرف اليهود ألوهيته حتى يتم الصلب فتتم الكفارة والخلاص.

قال (بفندر) فى كتابه المسمى بـ "مفتاح الأسرار":

إن قلت لِمَ لم يبين المسيح ألوهيته ببيان أوضح مما ذكر؟ ولم لم يقل واضحًا ومختصرًا أنى أنا الله لا غير؟.

فأجاب بقوله: إنه ما كان أحد يقدر على فهم هذه العلاقة والواحدانية قبل قيامه من الأموات وعروجه، فلو قال صراحة لفهموا أنه إله بحسب الجسم الإنسانى وهذا الأمر كان باطلاً جزمًا، فدرك هذا المطلب أيضًا من المطالب التى قال فى حقها لتلاميذه (إن لى أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم عن نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية)[٤].

ثم قال: إن كبار ملة اليهود أرادوا مرارًا أن يأخذوه يرجموه، والحال أنه ما كان بيّن ألوهيته بين أيديهم إلا على طريق الألغاز[٥].

---

(١) راجع محمد عزت الطهطاوى: النصرانية والإسلام ص٤٢.

(٢) معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثالث ص٦٩٣.

(٣) ولقد علقنا على ذلك فى الفصل السابق.

(٤) يوحنا ١٦: ١٢، ١٣.

(٥) نقلاً عن إظهار الحق ص٣٣٣.

يقول رحمت الله الهندى فى تعليقه على هذا: علم من كلامه عذران:

الأول: عدم قدرة فهم أحد لألوهية المسيح قبل العروج ـ أى قبل قيامة المسيح.

الثانى: الخوف من اليهود

وكلاهما ضعيفان فى غاية الضعف.

أما الأول: فإنه كان هذا القدر يكفى لرفع الشبهه وهو: أن علاقة الاتحاد التى بين جسمى وبين أقنوم الابن فهمها خارج عن وسعكم فاتركوا تفتيشها واعتقدوا بأنى لست إلهًا باعتبار الجسم بل بعلاقة الاتحاد المذكور.

وأما نفس عدم القدرة على فهمها فباقية بعد العروج أيضًا حتى لم يعلم عالم من علمائهم إلى هذا الحين كيفية هذه العلاقة والوحدانية! ومن قال ما قال فقوله رجم بالغيب لا يخلو من مفسده عظيمة.

أما الثانى: فلان المسيح عليه السلام ما جاء عندهم إلا لأجل أن يكون كفارة لذنوب الخلق، ويصلبه اليهود، وكان يعلم يقينا أنهم يصلبونه ومتى يصلبونه فأى محل للخوف من اليهود فى بيان العقيدة؟

والعجب أن خالق الأرض والسموات والقادر على ما يشاء يخاف من عباده الذين هم من أذل أقوام الدنيا، ولا يبين لأجل خوفهم العقيدة التى هى مدار النجاة وعباده من الأنبياء مثل إرميا وإشعياء ويحيى لا يخافون منهم فى بيان الحق ويؤذون إيذاء شديدًا ويقتل بعضهم[1].

فالأسباب التى ذكرها القس تعليلاً لإخفاء المسيح لألوهيته غير مسلم بها.

وهناك سبب آخر ذكره الأنبا ساويرس وهو: أن المسيح أخفى لاهوته، لأنه أراد أن يحتال على إبليس كما احتال إبليس على آدم فى الحية، فلم يظهر لاهوته حتى لا يعرف ذلك إبليس.

يقول (وكما أخفى إبليس روحه عنهم فى حية واحتال عليهم حتى أخذهم بغير قهر، كذلك أخفى ابن الله لاهوته عن إبليس فى جسد إنسان، وفعل كل ما يفعل الإنسان خلا الخطية حتى ظن إبليس أنه إنسان بالحقيقة، ولم يكن قط يفعل قوة

---

(١) إظهار الحق ص٣٣٤.

ليحقق بها لاهوته للناس إلا وفعل لوقته ضعفًا ليخفى لاهوته عن إبليس، إنه فى الوقت الذى يقول فيها كلمة يحقق بها أنه إله يسارع ليقول كلمة بضعف ليخفى لاهوته عن الشيطان، وللوقت الذى يفعل فعلاً يدل على لاهوته يفعل بسرعة فعلاً ليخفى ذلك عن الشيطان، حتى يتيقن الشيطان أنه إنسان ضعيف، وذلك لأنهم لو عرفوا لاهوته لم يصلبوه)[١].

معنى ذلك أن ظهور الابن فى صورة جسدية كان حيلة يحتال بها على إبليس لكى يتم الخلاص بحيلة بمعنى أن هذا الظهور كان حيلة وليس حقيقة هذه واحدة.

وأخرى: هل يجوز على الله الاحتيال؟ على أننا نقول إن معرفة إبليس بأنه ابن الله لا يمنعه من الكيد والتآمر فهذه هى طبيعته ويمكن لإبليس عندئذ أن يشكك الناس فى كونه إلهًا أو ابن إله، وأسباب الشك أقوى من أسباب الإيمان فى تلك الحال. وهى أى أسباب الشك فى كونه إلهًا أو ابن إله واردة سواء اضطلع بها إبليس أو استقل بها العقل البشرى ذاته، إنه مهما يعلن الإله عن نفسه فى جسد، فإن الكثيرين سوف ينكرونه عقلاً أو أبلسة، فمم يخاف ابن الله من الإعلان عن نفسه؟ وإذا أصر على إخفاء حقيقته أو التمويه فيها فيكف يكون البشر بعد ذلك مسئولين عن إدراكها، وكل محاولة لهذا الإدراك سواء عن طريق القيامة أو الروح القدس ـ محوطة بنفس الغموض والتمويه أو أشد؟

فالمسيح لم يقل إنه إله أو ابن إله. وكذلك أيضًا لم يقل الحواريون عنه إنه إله. يقول متى الحوارى فى إنجيله (هو يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل)[٢].

ويقول عنه يوحنا (إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم)[٣].

وغير ذلك من الأدلة التى تدل على أن المسيح بشر مرسل من الله.

---

(١) الأنبا ساويرس: الدر الثمين فى إيضاح الدين ص٣٧ ـ ٤٣.

(٢) متى ٢١: ١١.

(٣) يوحنا ٦: ١٤.

وإذا لم يقل المسيح أنه إله أو ابن إله فمعنى ذلك أن القول بألوهيته ظهر بعد عصره، ذلك أنه لم يتلفظ بألفاظ تدل على ألوهيته، بل نفى ذلك وقال لهم (إنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى).

ولقد أشار د/ محمد أبو الغيط الفرت إلى أنه بالرغم من أن المسيح لم يقل عن نفسه أنه إله إلا أن الاتجاه إلى تأليهه بذرت بذوره فى عصره.

يقول: لعل القول بألوهية المسيح قد وجدت بذوره الأولى فى حياة المسيح نفسه، فإن المسيحين بل عامة الناس كانوا يعتقدون ألوهية كل من أجرى الله معجزة على يديه. ولعل مما يرشح هذا الرأى أن المسيح فى زمن رسالته قد اعتراه شك فى أن مجتمع الأتباع من غير الحواريين قد شاع بينهم الاعتقاد فى كون المسيح أكثر من إنسان، فأراد أن يختبر إيمان أصحابه فى طبيعته فقال لهم يومًا:

(وأنتم من تقولون إنى أنا فأجاب بطرس وقال له أنت المسيح)[1] فلذلك وعندما اطمأن إلى رسوخ معرفة حقيقته الإنسانية لدى أصحابه رضى جواب بطرس وصيه ورئيس الحواريين وصدقه فى جوابه، وإذا كان فى الإنجيل ما يشعر بشطط بعض العقول فى حقيقته وافتنانهم به لما رأوا ما يجرى على يديه من المعجزات والقوى فقد جاء فى رسالة أعمال الرسل ما يؤكد تلك النزعة المغالية، وهى أن الناس كانوا يعتقدون ألوهية من تجرى على يديه خوارق العادات، فجاء فى هذه الرسالة (فالجموع لما رأوا ما فعل بولس رفعوا صوتهم بلغة ليكأونية قائلين إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا. فكانوا يدعون برنابا زفس وبولس هرمس إذ كان هو المتقدم فى الكلام. فأتى كاهن زفس الذى كان قدام المدينة بثيران وأكاليل عند الأبواب مع الجموع وكان يريد أن يذبح. فلما سمع الرسولان برنابا وبولس مزقا ثيابهما واندفعا إلى الجمع صارخين وقائلين أيها الرجال لماذا تفعلون هذا. نحن أيضًا بشر تحت آلام مثلكم نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى **الإله الحى** الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. الذى فى الأجيال الماضية **ترك** جميع الأمم يسلكون

(١) مرقس ٨: ٢٩.

فى طرقهم)[١] ثم شاعت فكرة تأليه المسيح بعد رفعه بين الفرق المسيحية التى أخذت كل منها تعطى المسيح من فكرها السقيم شكلاً يوائم تصوراتها المشوهة[٢].

ثم يقول (وهكذا نرى أنه قد بذرت البذور الأولى لهذه الفكرة فى حياة المسيح، ولكنه لم يشأ لها أن تخرج إلى الوجود، لأنه عليه السلام قد كبتها ولم يمدها بمقومات الحياة، فأخذت فى الانزواء تغذى جذورها وتترقب الفرص المواتية لها وتطل إلى البروز تبحث عن متعهد لها وينميها بعد المسيح وقد حظيت بالمريدين من بعده ونجحت محاولة ألوهيته التى بدأت فى حياته)[٣].

لقد بين د/ الفرت أن ألوهية المسيح بدأت فى حياته، وذلك لأن الناس كانوا يعتقدون ألوهية من تجرى على يديه المعجزات، واستدل على ذلك بما جاء فى سفر أعمال الرسل حيث أطلق الناس على برنابا وبولس أنهما إلهان وذلك بسبب المعجزات التى أجريت على أيديهم.

والقول بأن ألوهية المسيح بدأت فى حياته أو بذرت بذورها الأولى فى حياته فيه نظر، والاستدلال بخوارق العادات على أنها سبب لذلك التأليه فى عصر المسيح وبعده فيه أيضًا نظر.

ذلك أن المسيح رسول من عند الله، كان رسولاً لبنى إسرائيل.

ومعلوم لدى بنى إسرائيل من الأنبياء السابقين أن المعجزات تجرى على يد رسل الله، أى أن إجراء المعجزات على يد المسيح ليس بجديد على البيئة اليهودية حتى يظنوا أنه إله أو ابن إله، وإلا لظنوا الألوهية فى أنبيائهم ورسلهم السابقين الذين أجرى الله على أيديهم المعجزات الكثيرة وهو ما لم يحدث لأى نبى من أنبياء بنى إسرائيل. والدليل على ذلك أن المسيح عليه السلام حين قابل المرأة السامرية وأخبرها بما أخفته قالت له "يا سيد أرى أنك نبى[٤] فلم تقل له إنك إله، رغم أنه قام ببعض الخوارق، مما يدل على أن السائد بينهم أن الأنبياء تجرى على أيديهم المعجزات

---

(١) أعمال الرسل ١٤ : ١١ ـ ١٧.

(٢) د/ محمد أبو الغيط الفرت: عقيدتا الصلب والتثليث وموقف الإسلام منها، ص ٣٨ رسالة دكتوراة، مخطوطة بكلية أصول الدين بالقاهرة.

(٣) المرجع السابق ص٣٩.

(٤)يوحنا ٤ : ١٩ "راجع قصة المرأة السامرية فى يوحنا ٤ : ١ ـ ٤٢

والخوارق. ولكن يمكن القول بأن الفكرة التى كانت منتشرة بين المجتمعات اليهودية هو الاعتقاد بظهور مسيح مخلص. ولقد نشأ ذلك ـ كما بينا سابقًا ـ نتيجة لما جاء فى توراة موسى بالبشارة بنبى منتظر، وكان من أهم صفات النبى المنتظر أنه من أولاد إسماعيل ولكن اليهود لحقدهم على أبناء إسماعيل، ونتيجة لضياع التوراة خلال السبى البابلى غير اليهود هذا النبى المنتظر وجعلوه مسيحًا مخلصًا، وجعلوه من أبناء إسحاق، وكان كلما ضاقت بهم السبل وكلما وقع عليهم ألوان التعذيب من الأسر والقتل والتشريد يعاودهم الأمل فى أن يرسل الله هذا المسيح المخلص، ليخلصهم مما هم فيه ويعيدهم إلى حالتهم التى يتمنونها كشعب الله ويعيد إليهم مجدهم وملكهم.

هذه هى الفكرة التى كانت منتشرة بين المجتمعات اليهودية، ولعل المحاورة التى جرت بين المسيح وبطرس والتى جاءت فى كلام د/ الفرت أقرب إلى هذه الفكرة من القول بأن الناس كانوا يعتقدون ألوهية من تجرى على يديه المعجزة، ذلك لأن بطرس أجاب على المسيح وقال له (أنت المسيح) معنى ذلك أنهم كانوا يعتقدون أنه المسيح ـ أى المخلص ـ الذى كانوا ينتظرونه ويأملونه. أو أنهم ـ على الأقل ـ كانوا يتمنون أن يكون هو المخلص. ولكن عيسى بن مريم كما تقول الأناجيل (انتهرهم كى لا يقولوا لأحد عنه)[١] بل "وانتهر بطرس وقال اذهب عنى يا شيطان لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس"[٢].

انتهر عيسى بن مريم تلاميذه كى لا يقولوا لأحد ولا يعلموا أحدًا أنه المسيح المنتظر ،بل انتهر بطرس أيضًا وقال له اذهب عنى يا شيطان، وعلل ذلك بأنه لا يهتم بما لله أى بما يقوله الله وهو أنه ليس هو المسيح بل يأتى بعده، وإنما يهتم بما للناس من اعتقادهم بأن المسيح من سلالتهم وأن عيسى بن مريم هو المقصود.

فهذه المحاورة تدل على هذا الاعتقاد أكثر من القول بأن الناس كانوا يعتقدون ألوهية من تجرى على يديه خوارق العادات، ويدل على ذلك ما جاء فى إنجيل

---

(١) مرقس ٨ : ٢٠.

(٢) مرقس ٨ : ٣٣.

يوحنا عن يوحنا المعمدان، فحين وجده الناس كان أول سؤال له هل أنت المسيح؟ فقال لهم لست أنا المسيح، وبين لهم أن المسيح يأتى بعده[١] وعيسى بن مريم ليس بعد يوحنا وإنما هو معاصر له فتبين أيضًا أنه ليس عيسى بن مريم.

وأما استدلال د/ الفرت بما وقع لبولس وبرنابا حين أطلق الناس عليها أنهما إلهان نتيجة لأنهما قاما بعمل بعض الخوارق.

فإننا نقول فى هذا الاستدلال: إن هذه الحادثة حدثت بعد عصر المسيح وفى بيئة غير يهودية. لأنه حدث فى إيقونية[٢] وهى إحدى مدن آسيا الصغرى التى كان أهلها من اليونانيين الأصليين الذين يؤمنون بألوهية البشر، واليهود اليونانيين أى اليهود الذين بقوا فى بلاد اليونان بعد فترة السبى وتأثروا بفترة السبى وبأفكار اليونانيين.

يقول شارل جنيبير (لقد قارن العهد الأول لقيام المسيحية قيام عدد معين من الآلهة التى كانت تحتل مكان الصدارة فى الحياة الدينية فى الشرق الآسيوى من بحر إيجة إلى ما بين النهرين)[٣].

وإذا كان الأمر كذلك فليس غريبًا أن يحدث ما حدث لبولس وبرنابا من ادعاء الناس أنهما إلهان نتيجة لإجراء بعض الخوارق، ذلك لأنه حدث فى بيئة تؤمن بألوهية البشر، ولأنه حدث بعد أن بدأ القول بألوهية المسيح.

وعلى ذلك فإن القول بأن ألوهية المسيح بدأت فى حياته أو بذرت بذورها الأولى فى حياته قول غير مسلم به لدينا.

ولكن القول الصحيح أن ألوهية المسيح بدأت بعد حياة المسيح، وتدرجت ونمت بعد ذلك حتى أصبحت ـ العقيدة الأولى فى المسيحية.

ولقد كانت الأحداث التى تعرضت لها المسيحية فى عصورها الأولى بعد المسيح بداية للقول بالألوهية.

---

(١) راجع يوحنا ١: ٢٠ ـ ٢٧.

(٢) إيقونية مدينة فى جنوبى الجزء الأوسط من آسيا الصغرى، وكانت أصلاً مدينة فى فريجية، ولكن ضمها الرومان إلى ليكأونية، وكانت على الطريق التجارى بين أفسس وسوريا. وقد نادى بولس وبرنابا بالإنجيل فى إيقونية فى رحلتهما التبشيرية الأولى وقد آمن كثيرون من اليهود اليونانيين أ. هـ قاموس الكتاب المقدس ص١٤٢.

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها ص٧٠، ٧١.

ذلك أن البيئة اليهودية ـ كما قلنا سابقًا ـ تأمل فى عيسى بن مريم أن يكون هو المسيح المنتظر، الذى يعيد إليهم ملك آبائهم وأجدادهم، ويعيد لهم السيطرة على الأمم والبلاد المجاورة، ولكنهم أصيبوا بخيبة أمل حين وجدوا هذا الذى أملوا فيه أن يكون هو المنقذ حين وجدوه يصلب ـ على حسب اعتقادهم ـ ويعذب، ولم يفعل لهم شيئًا ولم يعد لهم ملكًا ولا سلطانًا، وهنا بدأ القوم يفكرون هل تنتهى حياة المسيح عند هذا الحد وهو لم يفعل لهم شيئًا. هذه واحدة.

والأخرى أن بعض الأشخاص بدأوا يدخلون المسيحية بأفكارهم الوثنية، وبدأوا يدعون الناس إلى الإيمان بالديانة المسيحية بعد أن خلطوا أفكارهم الوثنية بها، وادعوا أن المسيح عيسى بن مريم إنما وقع له ما وقع من الصلب والتعذيب لأنه هو الإله المخلص الذى نزل وتجسد من أجل البشر.

وكان أول هؤلاء الأشخاص هو (بولس) ـ وكما قلنا سابقًا ـ كان من أشد أعداء المسيحية، وفجأة وبدون مقدمات انقلب فجأة إلى المسيحية، وكان أول تعليم له كما جاء فى سفر أعمال الرسل أن المسيح ابن الله، حيث إنه بينما كان يسير فى الطريق إلى دمشق ومعه فئة من المسيحيين ليسلمهم إلى رؤساء الكهنة حدث أنه وقع له بعض الأحداث التى جعلته يدخل إلى دمشق يكرز ويبشر ويدعو المسيح ابن الله. يقول سفر الأعمال (وللوقت جعل يكرز فى الجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله. فبهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا أليس هذا هو الذى أهلك فى أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم وقد جاء إلى هنا ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة. وأما شاول ـ بولس ـ فكان يزداد قوة ويحير اليهود الساكنين فى دمشق محققًا أن هذا هو المسيح)[1].

فكان أول تعليم له أن المسيح ابن الله، وكان يركز فى بداية دعوته بين اليهود على القول بأن عيسى بن مريم هو المسيح المنتظر، أى أنه هو المنقذ الذى كانوا ينتظرونه، ولما كانت الأحداث التى وقعت للمسيح ـ على حد قولهم ـ من الصلب والتعذيب تجعل قبول هذه الفكرة غير لائق كان لابد من تدعيم لهذه الفكرة. فكان القول بأن هذا الشخص جاء ليخلصهم لا من الخضوع للسلطان الأجنبى وإنما

(١) أعمال الرسل ٩: ٢ ـ ٢٢.

لخلاصهم من الخطايا هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنهم لما كانوا يؤملون فى هذا المخلص أن يحييهم حياة الرفاهية والسعادة فإن بولس بين لهم أن السعادة والرفاهية إنما هى فى الحياة الأبدية التى جاء المسيح من أجلها، فكان القول بأن المسيح عيسى بن مريم شخص غير عادى، لأنه ابن الله الذى جاء ليخلصهم وينالوا الحياة الأبدية التى فيها السعادة الأبدية.

يقول بولس (دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس)[١].

ويقول "المسيح مات من أجل خطايانا"[٢].

ويقول (متبررين مجانًا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة)[٣].

ويقول (وأما هبة الله فهى حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا[٤] ويقول (هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا)[٥].

ما أن خرج بولس بهذه الأفكار ـ فى بداية الأمر ـ حتى وجد صدودًا من جانب اليهود، بل امتد الأمر أن تشاوروا على قتله، لماذا؟ لأنهم وجدوا أن هذه المعتقدات ليست هى معتقدات السيد المسيح ولا معتقدات التوراة التى بأيديهم. يقول سفر الأعمال (ولما تمت أيام كثيرة تشاور اليهود ليقتلوه فعلم شاول بمكيدتهم وكانوا يراقبون الأبواب أيضًا نهارًا وليلاً ليقتلوه)[٦].

بل إن التلاميذ خافوا منه فى أول الأمر.

يقول سفر الأعمال (ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب فى الطريق وأنه كلمه وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع)[٧].

---

(١) رومية ٥ : ١٢.
(٢) ١ـ كورنثوس ١٥ : ٣.
(٣) رومية ٣ : ٢٤.
(٤) رومية ٦ : ٢٣.
(٥) رومية ٥ : ٢١.
(٦) أعمال الرسل ٩ : ٢٣.
(٧) أعمال ٩ : ٢٦ ، ٢٧.

وهنا نقول: هل كان مصدر خوف التلاميذ منه أنهم غير مصدقين أنه تلميذ أم أنه كان هناك شيء آخر وهو المعتقدات الجديدة التى بدأ يقول بها ويدعو إليها؟

فى نظرنا كان التلاميذ يخافونه ويخافون من معتقداته الجديدة لذلك كان الجواب لهم (أنه أبصر الرب وكلمه) وكأن هذا الجواب يقول لهم: لا تخافوا منه ومن معتقداته فالرب كلمه ومادام الرب كلمه فإنه راض عنه وعن معتقداته.

يقول د/ أحمد السقا: وبعد رفع عيسى نادى بولس بأن عيسى هو المسيح المنتظر وزعم أنه ينادى لا من تلقاء نفسه بل إن المسيح ظهر له فى الرؤيا وأمره بأن ينادى فى الناس بأن عيسى كان هو المسيح[١].

يقول د/ سعد الدين صالح "خرج بولس بصورة جديدة عن المسيح، حاول أن يعرضها على يهود أورشليم ولكنهم رفضوها، لأنهم وجدوا فيها انحرافا عن دعوة عيسى عليه السلام، أما عن هذه الصورة الجديدة فهى تتمثل فى إظهار عيسى عليه السلام فى صورة المخلص للعالم أجمع من الخطايا والذنوب بدلاً من أن يكون مخلصًا لليهود من الأسر والتشريد، كما صوره فى صورة الإله الذى انزل من السماء وتجسد وأكل وشرب ومات على الصليب من أجل خطايا البشر لكى تروق الفكرة فى أذهان أصحاب الثقافات الرومانية واليونانية وأمم الشرق الآسيوى القديمة التى كانت تعتقد اعتقادات قريبة من ذلك.

وقد نتج عن هذه الصورة الجديدة انحراف تام عن العقيدة التى جاء بها عيسى بن مريم"[٢].

ولما لم يجد بولس لمعتقداته أرضا خصبة خرج إلى مجتمعات أخرى والتى كان أصحابها من اليهود الذين تشتتوا فى بلاد اليونان فى فترات السبى وبقوا فى هذه البلاد بعد رجوع اليهود إلى بلادهم وهؤلاء كان تعصبهم ليهوديتهم أقل من اليهود الآخرين.

وخرج أيضًا إلى المجتمعات اليونانية والرومانية التى ليس لها رصيد فى الأديان سوى ما شاع عن الآلهة الوثنيين المنقذين، وكانت معتقدات بولس بين هؤلاء أكثر

---

(١) من مقدمة د/ أحمد السقا لكتاب الإعلام للقرطبى ص٣٦.

(٢) د/ سعد الدين صالح: مشكلات العقيدة النصرانية ص٥٦.

قبولاً، لأن معتقداتهم ـ كما سنبين فى الحكم على عقيدة الخلاص ـ كانت قريبة إلى حد بعيد من هذه المعتقدات.

أما عن موقف الحواريين من هذه المعتقدات فإنهم رفضوها.

يقول شارل جنيبير (لا غرابة أن نرى الحواريين الاثنى عشر وهم الذين أشربوا بتعاليم عيسى وظلوا على يهوديتهم يستنكفون كثيرًا من مثل هذه النتائج التى توصل إليها بولس ويبدون أمامها ترددًا قويًا)[١].

"إن معظم الحواريين الذين شاهدوا عيسى وسمعوا منه العقيدة الصحيحة قد رفضوا أفكار بولس وحدث بينه وبينهم خلاف لدرجة أن بولس حكم عليهم بالكفر، وهذا ما يتبين لنا من خلال رسالته إلى أهل غلاطية والتى يحذر فيها أتباعه من قبول أى تعاليم وآراء مخالفة لتعاليمه حتى لو أتى بهذه التعاليم ملاك من السماء، وكل من يبشر بما يخالف تعاليم بولس فهو كافر محروم من الجنة يقول بولس (إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما)[٢] أى محروم من الجنة[٣].

ولكن لأن هؤلاء قلة بينما كان أتباع بولس هم الكثرة الكثيرة كتب لآراء بولس أن تكون هى عقائد الديانة المسيحية والتى أهمها القول بألوهية المسيح.

ولقد حمل أتباع بولس هذه المعتقدات وأضافوا إليها ما وجدوه مطابقًا لهذه المعتقدات والتى اعتبرت فيما بعد أسس المسيحية الحالية.

يقول د/ أحمد شلبى: إن صراعًا ضخمًا قام بين بولس وأنصاره وبين المسيحيين الحقيقيين.

وقد طال مدى هذا الصراع وامتد قرونًا بعد وفاة بولس ونتائج هذا الصراع كانت مطابقة للعقل والمنطق، ففى جانب بولس كانت قلة محدودة جدًا من المثقفين المسيحيين وكثرة ساحقة من الجماهير، وكان جانب المسيحيين الحقيقيين بالعكس كان معهم جماهير المثقفين وقلة قليلة من العامة.

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص١٠٤.

(٢) غلاطية ١ : ٨.

(٣) مشكلات العقيدة النصرانية ص٥٧.

أما الطبقة الحاكمة فقد كانت ميولها فى جانب بولس وأتباعه، وابتداء من القرن الرابع برزت هذه الميول وأصبحت تأييدًا صريحًا لاتجاهات بولس وإلزامًا للناس باتباعها[١].

على أن هناك سببًا آخر لبقاء معتقدات بولس هو بقاء كتابات بولس دون كتابات الحواريين وأسبقيتها على الأناجيل الحالية.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى (إن بولس الرسول هو أول من دون رسائل)[٢].

يقول الأستاذ/ محمد الطهطاوى إن الكاتب الكبير (كالتوف) أبان بأن الاعتقاد بألوهية المسيح سبق كتابة الأناجيل، فالاعتماد على الأناجيل لإثبات ألوهية المسيح عمل بعيد عن الصواب، لذلك نراه يقول (إن صورة المسيح بكل معالمها وملامحها أعدت قبل أن يكتب سطر واحد من الأناجيل)[٣].

لقد ظل الصراع بين المسيحيين الحقيقيين وأتباع بولس زمنًا طويلاً، ولكن فى النهاية كانت الغلبة لآراء بولس، لأنها تتمتع بالأغلبية الغالبة بجانب أن اعتقادات وآراء بولس سبقت كتابة الأناجيل الحالية.

بينما آراء المسيحيين الحقيقيين قد طواها النسيان، لأنها لم تدون، أو دونت وضاعت وفقدت. وفى النهاية نجد الطبقة الحاكمة الوثنية ـ بطبيعة الحال ـ تميل لآراء بولس لذلك كان لها دخل كبير فى تقرير ألوهية المسيح فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م.

وهكذا ننتهى إلى القول بأن ألوهية المسيح بدأ بعد حياة المسيح وكان على يد بولس الذى كان من ألد أعداء المسيحية.

وكان تقرير ألوهية المسيح فى القرن الرابع الميلادى فى مجمع نيقية تقريرًا لأفكار ومعتقدات بولس.

لا تقريرًا للعقيدة التى جاء بها عيسى بن مريم عليه السلام.

---

(١) د/ أحمد شلبى: المسيحية ص١١٣.

(٢) تاريخ الفكر المسيحى ص٣٨٤.

(٣) محمد عزت الطهطاوى: النصرانية والإسلام ص٣٩.

دعائم النصارى فى دعوى ألوهية المسيح

لقد كان التبشير بالمسيحية فى بيئة غير يهودية ـ على يد بولس ـ أكبر الأثر فى تحوير أفعال المسيح وتحويلها من معجزات وأفعال تدل على أنه رسول من عند الله إلى خوارق تخرجه عن إنسانيته وبشريته إلى ألوهيته وجعلوا هذه الخوارق أدلة وبراهين على ألوهيته:

أولاً: الميلاد العذراوى:

إن الأناجيل تروى لنا أن مريم كانت مخطوبة ليوسف النجار وقبل أن يتصل بها حملت بعيسى بن مريم. يقول متى (أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا، لما كانت مريم مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس)[١] ولقد كان ميلاد المسيح من عذراء منفذًا للقول بتأليهه، فمادام أنه قد ولد دون أب فلابد أن الله أبوه وأنه ليس من جنس الناس[٢].

يقول لوقا على لسان جبريل عندما بشر مريم بغلامها: (الروح القدس تحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك المولود منك يدعى ابن الله)[٣].

ويقول يسى منصور "لو لم يولد المسيح (عيسى) من عذراء لكان مجرد إنسان..... فابن الله الأزلى يليق به فى حالة تأنسه أن يولد ميلاد عذراويًا)[٤] فولادة المسيح من عذراء تدل على كونه ابن الله الأزلى.

ويقول إبراهيم لوقا: ولقد اتخذت المسيحية منذ بداءتها ذلك الميلاد العجيب برهانًا على لاهوت المسيح وهى فى هذا لم تنحرف عن جادة الصواب. فالشخص الذى يولد على غير الطبيعة والمألوف لا يمكن أن يكون إلا شخصًا خرج عن دائرة البشر[٥].

ويقول جون ستوت: إن الحمل والقيامة المعجزين كانا مما يتلائم ونسبة اللاهوت إلى المسيح[٦].

---

(١) متى ١ : ١٨.
(٢) المسيح إنسان أم إله ص١٨٤.
(٣) لوقا ١ : ٣٥.
(٤) يسى منصور: بيان الحق جـ٢ ص١٢٤.
(٥) المسيحية فى الإسلام ص١٢٩.
(٦) جون ستوت: المسيحية فى جوهرها، ترجمة: نجيب غالى ص٦٧.

فالاعتقاد السائد بين المسيحيين أن ولادة المسيح من عذراء برهان على ألوهيته بل ويقولون إن هذا الميلاد هو الواجب فى تجسد المسيح.

يقول أنسلموس اللاهوتى: فلننظر الآن فيما إذا كان من الواجب أن يتخذ الله الطبيعة البشرية من أب وأم نظير جميع الناس، أو يتخذها من رجل بدون امرأة، أو من امرأة من غير رجل لأنه أية حالة أخذها من هذه الحالات الثلاث يكون بها من آدم وحواء اللذين منهما كل البشر من الجنسين، وليس حالة من هذه الثلاث أسهل على الله من الآخرين ليفضلها ويتخذ منها ناسوته.

ولكن لا حاجة إلى جهد كبير لبيان أن ولادة ذاك الإنسان الفادى من رجل وحده أو من امرأة وحدها أطهر وأزكى من ولادته من كليهما باقتران الجنسين كما هو شأن بنى البشر كافة.

إن الله قادر أن يصنع الإنسان على أربعة أنواع، من رجل وامرأة كما هو الشأن الجارى، أو من غير رجل ولا امرأة كما صنع آدم، أو من رجل بلا امرأة كما صنع حواء، أو من امرأة من غير رجل الأمر الذى لم يكن قد صنعه إلى ذلك الحين، فلكى يتحقق أن هذا الوجه الأخير هو تحت سلطانه تعالى وأنه جدير بهذا العمل لاق أن يتخذ هذا الإنسان الذى هو موضوع بحثنا من امرأة وحدها، وأما من حيث مناسبة مجيئه من عذراء أو من ثيب فليس من لزوم للجدال فيه إذ أنه يتسير لنا أن نثبت إثباتًا لا ريب فيه أنه يقتضى ألا يولد الإله المتأنس إلا من عذراء[1].

فولادة المسيح من عذراء تتفق فى نظرهم مع كونه إلها متجسدًا، فالإله المتجسد يجب أن يولد من عذراء. وسنترك التعليق على الاستدلال بالميلاد على ألوهية المسيح إلى نهاية هذا الفصل إن شاء الله.

ثانيًا: معجزات المسيح:

لقد أجرى الله على يد المسيح بعض المعجزات التى تثبت دعواه للنبوة والرسالة والتى هى بمثابة قول الله صدق عبدى فيما يبلغ عنى.

تلك سنة الله فى خلقه، إنه سبحانه إذا أرسل رسولاً أيده بالمعجزات والخوارق التى تؤيده فى دعواه.

---

(١) لماذا تجسد الكلمة ص٥٦.

ومعجزات المسيح كما وردت فى الأناجيل تتلخص فى: إحياء الموتى ـ شفاء المرضى ـ إخراج الشياطين ـ تسكين العاصفة ـ وغير ذلك من المشى على الماء، وإشباع الجياع.

واستكمالاً للفائدة العلمية نورد لكل معجزة فقرة من الأناجيل توضحها.

❖ **أما بالنسبة لإحياء الموتى:** فلقد ورد فى إنجيل يوحنا أنه أقام لعازر من قبره بعد موته بأربعة أيام.

ولعازر رجل من بيت عنيا، كان يسكن مع أختيه مرثا ومريم، وكان موضع محبة أختيه، وبعد أن مات لعازر بأربعة أيام جاء يسوع وأقامه.

يقول يوحنا "فلما أتى يسوع وجد أنه قد صار له أربعة أيام فى القبر وكانت بيت عنيا قريبة من أورشليم نحو خمس عشرة غلوة. وكان كثيرون من اليهود قد جاءوا إلى مرثا ومريم ليعزوهما عن أخيهما. فلما سمعت مرثا أن يسوع آت لاقته. وأما مريم فاستمرت جالسة فى البيت. فقالت مرثا ليسوع يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخى. لكنى الآن أيضًا أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه. فقال لها يسوع سيقوم أخوك"[1].....

ثم مضت ودعت أختها مريم سرًا قائلة المعلم قد حضر وهو يدعوك، أما تلك فلما سمعت قامت سريعًا وجاءت إليه. ولم يكن يسوع قد جاء إلى القرية بل كان فى المكان الذى لاقته فيه مرثا. ثم إن اليهود الذين كانوا معها فى البيت يعزونها لما رأوا مريم قامت عاجلاً وخرجت تبعوها قائلين إنها تذهب إلى القبر لتبكى هناك فمريم لما أتت إلى حيث كان يسوع ورأته خرّت عند رجليه قائلة له يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخى. فلما رآها يسوع تبكى واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج بالروح واضطرب. وقال أين وضعتموه. قالوا له يا سيد تعال وانظر. بكى يسوع. فقال اليهود انظروا كيف كان يحبه. وقال بعض منهم ألم يقدر هذا الذى فتح عينى الأعمى أن يجعل هذا أيضًا لا يموت، فانزعج يسوع أيضًا فى نفسه وجاء إلى القبر وكان مغارة وقد وضع عليه حجر. قال يسوع ارفعوا الحجر. قالت له مرثا أخت الميت يا سيد قد

---

(١) يوحنا ١١: ١٧ ـ ٢٣.

أنتن لأن له أربعة أيام. قال لها يسوع ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله. فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعًا **ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الأب أشكرك لأنك سمعت** لى وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى. ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى. ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجًا. فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل. فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب[١].

فالمسيح أحيى الميت لعازر وأقامه من موته بعد أربعة أيام من موته.

ويلاحظ أن المسيح قبل أن يحيى لعازر رفع نظره إلى السماء ودعا الله أن يؤيده بالمعجزة.

❖ **أما بالنسبة لشفاء المسيح للمرضى** فإنه يتمثل فى إبراء الأكمه والأبرص وشفاء الأخرس والمجانين وفتح أعين العميان.

وإبراء الأكمه يتضح مما روى فى الأناجيل عن المفلوج الذى أبرأه المسيح، ذلك أنه بينما المسيح يتجه إلى بلدة كفر ناحوم (وإذا مفلوج يقدمونه إليه مطروحًا على فراش. فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج ثق يا بنى. مغفورة لك خطاياك. وإذا قوم من الكتبه قد قالوا فى أنفسهم هذا يجدف. فعلم يسوع أفكارهم فقال لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم. أيما أيسر أن يقال مغفورة لك خطاياك. أم أن يقال قم وامش. ولكن لكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطانًا على الأرض أن يغفر الخطايا حينئذ قال للمفلوج. قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك. فقام ومضى إلى بيته. فلما رأى الجموع تعجبوا ومجدوا الله الذى أعطى الناس سلطانًا مثل هذا)[٢].

فالمسيح قد شفى هذا المفلوج من مرضه وقال له قم واحمل فراشك واذهب الى بيتك.

ويلاحظ أن الجموع نتيجة لقيام المسيح بهذه المعجزة تعجبوا ومجدوا الله الذى أعطى الناس سلطانًا مثل هذا، أى لم ينسبوا للمسيح عمل هذه المعجزة بل لله سبحانه وتعالى.

---

(١) يوحنا ١١ : ٢٨ ـ ٤٤.

(٢) متى ٩ : ٢ ـ ٨، ومرقس ٢ : ١ ـ ١٢، لوقا ٥ : ١٧ ـ ١٦ والرواية هنا (لمتى).

وإبراء الأبرص فإنه يتضح مما ورد فى روايات الأناجيل عن المسيح حين نزل من الجبل وتبعه جموع كثيرة (وإذا أبرص قد جاء وسجد له قائلاً يا سيد إن أردت تقدر أن تطهرنى. فمد يسوع يده ولمسه قائلاً أريد فاطهر وللوقت طهر برصه)[١].

فالرواية تبرز أن المسيح طهر المريض بالبرص من مرضه وشفاه.

أما بالنسبة لشفاء المسيح لمن أصيب بالعمى فإن الأناجيل تروى أيضًا روايات كثيرة منها: ما روى فى إنجيل متى عن الأعميين اللذين تقدما إلى المسيح وقالا له: "ارحمنا يا ابن داود. ولما جاء إلى البيت تقدم إليه الأعميان. فقال لهما يسوع أتؤمنان أنى أقدر أن أفعل هذا. قالا له نعم يا سيد. حينئذ لمس أعينهما قائلاً بحسب إيمانكما ليكن لكما. فانفتحت أعينهما. فانتهرهما يسوع قائلاً انظرا لا يعلم أحد. ولكنهما خرجا وأشاعاه فى تلك الأرض كلها"[٢].

وعن شفاء الخرس والمجانين جاء فى إنجيل متى بعد الفقرة السابقة:

(وفيما هما ـ الأعميان ـ خارجان إذا إنسان أخرس مجنون قدموه إليه. فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس)[٣].

وكذلك ما روى عن شفاء المسيح للمجنون الأعمى الأخرس (أحضر إلى المسيح مجنون أعمى وأخرس. فشفاه حتى إن الأعمى الأخرس تكلم وأبصر)[٤] وغير ذلك مما روى فى الأناجيل والتى يظهر فيها قدرة المسيح على عمل المعجزات من شفاء الأخرس والأعمى وإبراء الأكمه والأبرص.

ولقد قلنا سابقًا فى الباب الأول ـ إن روايات الأناجيل تظهر أن مثل هذه الأمراض تكون بسبب أن الشياطين قد دخلت فى الإنسان فسببت هذه الأمراض، وعلى هذا فإن الاستشهادات السابقة تدل أيضًا على معجزة إخراج الشياطين من الناس، لأن المريض يذهب مرضه بمجرد خروج الشياطين من جسده، ويدل عليه ما جاء عقب كل معجزة للمسيح من شفاء نوع من أنواع المرضى على لسان اليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيح.

---

(١) متى ٨: ١ ـ ٤، مرقس ١ ـ ٤٠ ـ ٤٥، لوقا ٥: ١٢ ـ ١٦ والرواية هنا (لمتى).

(٢) متى: ٩: ٢٧ ـ ٣١.

(٣) متى: ٩: ٣٢، ٣٣.

(٤) متى ١٢: ٢٢.

(أما الفريسيون[١] فقالوا برئيس الشياطين يخرج الشياطين) متى ٩ : ٣٤، ١٢ : ٢٤.

وأيضًا ما جاء من أن المسيح حينما ذهب إلى بيت بطرس أحضر إليه الناس كثيرين من المسكونين بالشياطين فكان يطرد الشياطين بكلمة منه وشفى المرضى جميعًا[٢] فطرد المسيح الشياطين من أجساد المرضى فشفوا جميعًا.

ومن الأمثلة على معجزة إخراج الشياطين من المجانين ما روى من أن المسيح لما رأى أن الناس فى كفر ناحوم احتشدوا حوله حين رأوه يشفى المرضى من أسقامهم أمر تلاميذه أن يعبروا إلى الضفة المقابلة. ولما وصل إلى الضفة المقابلة فى بلدة الجدريين[٣] استقبله مجنونان خارجان من القبور هائجان جدًا حتى لم يكن أحد يقدر أن يجتاز من تلك الطريق وإذا هما قد صرخا قائلين مالنا ولك يا يسوع ابن الله. أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا؟ وكان بعيدًا منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى.

---

(١) الفريسيون أو الربانيون: هى أكبر الفرق اليهودية وأكثرها عددًا كما أنها من أقدم الفرق وجودًا، وقد أطلق عليها اسم (الفريسيون) وهو لفظ عبرى يعطى معنى التميز والفرز كما يعطى معنى الانفصال والبعد عن الغير ويذهب جمهور الكاتبين إلى أنهم إنما سموا بهذا الاسم نظرًا لأنهم كانوا مفروزين من الشعب متميزين عنه وذلك بسبب القداسة التى كانت صفة بارزة لهم والتى كان الشعب يصفهم بها ويحترمونهم من أجلها. وهناك من يرى أنهم سموا بهذا الاسم لأنهم انشقوا عن الشعب وابتعدوا عنه واعتزلوه، فأطلق عليهم الأعداء هذا الاسم استنكارًا لعملهم وكراهية له. ولكن هذه الفرقة لا ترضى عن هذه التسمية ولا تحبها فلا يحبون اسم الفريسيين ويطلقون على أنفسهم اسم "الربانيين" أو "الأحبار"، وأصحاب هذه الفرقة يرون أنهم على الحق وأن من عداهم على الباطل، وهم يتصفون بالكبر والتعالى على الغير لذلك كانوا يزدرون الشعب ويتعالون عليه، ومع ذلك فإن العامة من الشعب تقدسهم وتحترمهم وترى لهم المنزلة العالية حتى أنهم قالوا: لو ذهب إلى السماء شخصان فقط لابد أن يكون أحدهما فريسيًا.

ويرى الفريسيون: أن التوراة قديمة وأن الأسفار الخمسة كانت موجودة منذ الأزل، وأنها كانت مدونة فى ألواح مقدسة، وأن الشريعة اليهودية لا تقتصر على هذه الأسفار الخمسة التى نزلت على موسى عليه السلام، وإنما هناك مصادر أخرى للشريعة اليهودية وهى الشروح والمواعظ التى قام بها علماؤهم جيلاً بعد جيل، ومن هذه الشروح تكون ما يسمى (بالتلمود)... إلى غير ذلك من آرائهم. راجع د/ عوض الله حجازى: مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص١٢٣ ـ ١٢٤.

(٢) متى ٨ : ١٦ ـ ١٧. مرقس ١ : ٣٢ ـ ٣٤. لوقا ٤ : ٤٠ ـ ٤١.

(٣) الجدريون: هم أهل جدرة المعروفة الآن باسم أم قيس الواقعة جنوب شرقى بحر طبرية. ويصفها يوسابيوس بأنها واقعة شرق الأردن مقابل طبرية. أ. هـ راجع قاموس الكتاب المقدس ص٢٥٢ وهم المذكورون فى إنجيل متى بـ "الجرجسيين".

فالشياطين طلبوا إليه قائلين إن كنت تخرجنا فأذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير فقال لهم امضوا. فخرجوا ومضوا إلى قطيع الخنازير، وإذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف إلى البحر ومات فى المياه. أما الرعاة فهربوا ومضوا إلى المدينة وأخبروا عن كل شىء وعن أمر المجنوني.ن فإذا كل المدينة قد خرجت لملاقاة يسوع ولما أبصروه طلبوا أن ينصرف عن تخومهم[١].

❖ **أما معجزة تسكين العاصفة** فقد جاء عنها أن المسيح حين خرج من كفر ناحوم ورأى الجموع التفت حوله ركب هو وتلاميذه السفينة ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه. وإذا اضطراب عظيم قد حدث فى البحر حتى غطت الأمواج السفينة. وكان هو نائمًا. فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين يا سيد نجنا فإننا نهلك. فقال لهم ما بالكم خائفين يا قليلى الإيمان، ثم قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم. فتعجب الناس قائلين أى إنسان هذا. فإن الرياح والبحر جميعا تطيعه[٢].

❖ ومن معجزات المسيح التى وردت فى الأناجيل ما روى عنه أنه أشبع الجموع الكثيرة بطعام قليل وذلك حين سمع بأن هيردوس ألقى القبض على يوحنا المعمدان وقطع رأسه وقدمها هدية إلى هيروديا زوجة فيلبس: ما أن سمع المسيح ذلك حتى ركب قاربًا ورحل على انفراد إلى موضع خلاء إلى مكان مقفر "فلما خرج يسوع أبصر جمعا كثيرًا فتحنن عليهم وشفى مرضاهم. ولما صار المساء تقدم إليه تلاميذه قائلين الموضع خلاء والوقت قد مضى. اصرف الجموع لكى يمضوا إلى القرى ويبتاعوا لهم طعاما. فقال لهم يسوع لا حاجة لهم أن يمضوا. أعطوهم أنتم ليأكلوا. فقالوا له ليس عندنا هنا سوى خمسة أرغفة وسمكتان. فقال ائتونى بها إلى هنا. فأمر الجموع أن يتكئوا على العشب. ثم أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارك وكسر وأعطى الأرغفة للتلاميذ، والتلاميذ للجموع فأكل الجميع وشبعوا. ثم رفعوا ما فضل من الكسر اثنتى عشرة قفة مملوءة. والآكلون كانوا نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد"[٣].

---

(١) راجع متى ٨: ٢٨ ـ ٣٤. مرقس ٥: ١ ـ ٢٠. لوقا ٨: ٢٦ ـ ٣٩.

(٢) راجع متى ٨: ٢٣ ـ ٢٧. مرقس ٤: ٣٥ ـ ٤١. لوقا ٨: ٢٢ ـ ٢٥.

(٣) متى ١٤: ١٣ ـ ٢١. مرقس ٦: ٣٠ ـ ٤٤. لوقا ٩: ١٠ ـ ١٧، يوحنا ٦: ١ ـ ١٤.

فالمسيح أشبع الخمسة آلاف من الرجال وغيرهم من النساء والأولاد بخمسة أرغفة وسمكتين بل وبقى منهم ما ملأ اثنتى عشرة قفة.

❖ **أما معجزة مشى المسيح على الماء** فإنها على حسب ترتيب الأناجيل لحياة المسيح جاءت بعد معجزة إشباعه للجموع الكثيرة، فبعد أن أطعم المسيح الجموع الكثيرة ألزم تلاميذه أن يدخلوا السفينة، ويسبقوه إلى الضفة المقابلة من البحيرة، حتى يصرف الجموع، وبعد ما صرف الجموع صعد إلى الجبل منفردًا ليصلى، ولما حل المساء كان هناك وحده.

وأما سفينة التلاميذ فكانت قد صارت فى وسط البحر معذبة من الأمواج. لأن الريح كانت مضادة. وفى الربع الأخير من الليل جاء إليهم يسوع ماشيًا على البحر. فلما أبصره التلاميذ ماشيًا على البحر اضطربوا قائلين إنه خيال. ومن الخوف صرخوا. فللوقت كلمهم يسوع قائلاً تشجعوا. أنا هو. لا تخافوا. فأجابه بطرس وقال يا سيد إن كنت أنت هو فمرنى أن آتى إليك على الماء. فقال تعال فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتى إلى يسوع. ولكن لما رأى الريح شديدة خاف وإذ ابتدأ يغرق صرخ قائلاً يا رب نجنى. ففى الحال مد يسوع يده وأمسك به وقال له يا قليل الإيمان لماذا شككت، ولما دخلا السفينة سكنت الريح. والذين فى السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله[١].

هذه بعض المعجزات التى وردت فى الأناجيل والتى أجريت على يد المسيح.

ولقد كانت معجزات المسيح بابا آخر نفذت منه دعوى القول بتأليهه. فمادام يشفى المرضى والأوجاع، ويرد البصر والحياة، ويأتى بالخوارق التى يعجز عنها سائر البشر، فلاشك أنه ليس إنسانًا عاديًا، وإنما هو إله أو ابن الله نزل من السماء وأتى إلى الأرض يعرض على الناس ملكات الآلهة وقدرتها على البشر[٢].

فلقد اعتقد النصارى أن معجزات المسيح تدل على ألوهيته.

يقول إستفانوس: والمعجزة هى التى أظهرت مجد المسيح فوق كل آلهة البشر[٣].

---

(١) متى ١٤: ٢٢ ـ ٣٣. مرقس ٦: ٤٥ ـ ٥٢. يوحنا ٦: ١٥ ـ ٢١.

(٢) المسيح إنسان أم إله ص١٨٧.

(٣) من أقوال إستفانوس فى كتيب خاص عنه فى عيد استشهاده ص٥٠.

ويقول القس جورج خورى: ثم استمر المسيح فى إعلان قوته الإلهية وسلطانه السماوى فى شفاء المرضى وفى فتح أعين العمى وفى إعانة من كانوا فى محن قاسية وإنقاذهم منها[١].

ويقول جون ستوت: إن معجزات المسيح لم يقصد منها بتاتًا أن ينبهر بها الناس، ولم تستخدم كوسيلة للتأثير على الناس... أو لتكون أسلوبًا من أساليب إخضاع الناس، كما لم تكن مطلقًا مظهرًا لقوة بدنية خارقة أو لقدرة ذهنية ساحقة.. وإنما كانت القيم الحقيقية للمعجزات فى دلالتها على السلطان الروحى الذى لصانع المعجزة وهو الرب المخلص يسوع[٢].

فالنصارى يعتقدون أن المعجزات تدل على قوة المسيح الإلهية، ومادامت تدل على ألوهيته فهى تدل على أنه هو المسيا المخلص.

يقول د/ فهيم عزيز: إن معجزات المسيح هى علامة على أن ملكوت الله قد أقبل... ومعجزات المسيح علامة على مجىء العصر الجديد وظهور الملكوت الذى ظل العهد القديم كله يستعد له[٣].

ويقول: "ما المعجزات سوى علامة على أن يسوع هو المسيا الملك"[٤].

أى أن معجزات المسيح تدل على أن عصر المسيح هو عصر الملكوت، أى أن المسيح هو المخلص الذى بشرت به الكتب.

ويعتقد النصارى أن معجزات المسيح تختلف كل الاختلاف عن معجزات الأنبياء السابقين، لأن المسيح كان يفعل المعجزات بقوته وسلطانه ولاهوته، بينما كان الأنبياء السابقون يفعلونها بقوة الله لا بقوتهم الشخصية.

يقول القس إنسطاسى شفيق: وقد فعل جميع هذه العجائب بقوته وسلطانه بخلاف الأنبياء الذين كانوا يعملون جميع عجائبهم باسم الرب، وأما هو فكان يعملها باسمه[٥].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٨٦٨.
(٢) المسيحية فى جوهرها ص٤٥.
(٣) د/ فهيم عزيز: ملكوت الله ص١٨٤.
(٤) نفس المرجع ص١٨٥.
(٥) الفداء فى إنجيل لوقا ص١٦٠.

وجاء فى كتاب (ما معنى المسيح ابن الله؟): ومعروف أن كل نبى أرسله الله إلى هذه الأرض أجرى المعجزات، لكنه لم يفعلها بقوته الشخصية بل بقوة الله، أما المسيح فقد أجرى هذه المعجزات بقوة لاهوته[١].

وجاء أيضًا "أن المسيح بوصفه الله أقام الموتى بسلطانه الذاتى، وليس كالأنبياء فى العهد القديم أو الرسل فى العهد الجديد، فإن هؤلاء وأولئك أقاموا الموتى بإذن الله، وأيضًا نتيجة استجابة الله لطلباتهم بقصد أن يتمجد الله وحده، أما المسيح فبكلمة قدرته قال لابنة يايرس "يا صبية لك أقول قومى. وللوقت قامت الصبية ومشت"[٢] كما قال لابن أرملة نايين "أيها الشاب لك أقول قم. فجلس الميت وابتدأ يتكلم"[٣].

أيضًا قال للعازر "لعازر هلم خارجًا فخرج الميت من قبره"[٤].

كما يؤكد الرب يسوع المسيح سلطانه على إحياء الناس فى قوله (لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيى كذلك الابن أيضا يحيى من يشاء)[٥] إن الرب يسوع له السلطان المطلق كالله أن يحيى من يشاء بحسب مشيئته الشخصية مبرهنًا بذلك أن الله صاحب السلطان المطلق والمشيئة الذاتية المطلقة.

فضلاً عما تقدم فقد أعطى المسيح تلاميذه الاثنى عشر سلطانًا على إقامة الموتى، لكننا لم نسمع من قبل عن نبى من الأنبياء استطاع أن يعطى سلطانه المعطى له من الله لإنسان آخر (دعا يسوع تلاميذه الاثنى عشر وقال لهم اشفوا المرضى، طهروا برصًا. أقيموا موتى. أخرجوا شياطين. مجانًا أخذتم مجانًا أعطوا)[٦] وبناء عليه أقام بطرس طابيثا وبولس أيضًا أقام شابًا سقط من الطابق العلوى[٧].

---

(١) ما معنى المسيح ابن الله؟ ص٢٨ ، ٢٩.
(٢) مرقس ٥ : ٤١ ، ٤٢.
(٣) لوقا ٧: ١٤ ، ١٥.
(٤) يوحنا ١١ : ٤٣ ، ٤٤.
(٥) يوحنا ٥ : ٢١.
(٦) متى ١٠ : ٨.
(٧) أعمال الرسل ٩ : ٤٠ ، ٢٠ : ٩ ـ ١١.

هذه المعجزات ما كانت إلا دليلاً على الجانب الإلهى فيه[١].

فمعجزات المسيح ـ كما يقولون ـ ليست كمعجزات الأنبياء السابقين. لأن المسيح كان يقوم بها بقدرته وبقوة لاهوته، وذلك بخلاف الأنبياء السابقين فإنهم كانوا يفعلونها بإذن الله. هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى: فإن المسيح أعطى سلطانه لتلاميذه، بينما لم يعط أحد من السابقين سلطانه لتلاميذه، فأقام بطرس وبولس الأموات، لأن المسيح أعطاهم سلطانه على إجراء المعجزات.

وهل بولس من التلاميذ الاثنى عشر الذين أعطوا سلطانًا على إجراء الخوارق؟

الحق لا، فإن المسيح حدد الاثنى عشر تلميذًا الذين لهم سلطان ففى إنجيل متى: "ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطانًا على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف. وأما أسماء الاثنى عشر رسولا فهى هذه. الأول سمعان الذى يقال له بطرس وأندراوس أخوه، يعقوب بن زبدى ويوحنا أخوه، فيلبس وبرثولماوس، توما، ومتى العشار. يعقوب بن حلفى، ولباوس الملقب تدّاوس، سمعان القانونى، ويهوذا الأسخريوطى الذى أسلمه"[٢].

وإذا لم يكن بولس من تلاميذ المسيح الذين أعطوا سلطانًا على إجراء المعجزات فكيف أجراها؟

وهل أعطى المسيح سلطان إجراء المعجزات لرسله باعتباره رسولاً معلمًا أم باعتباره إلهًا؟ الحق أن الأناجيل تبين أن المسيح طلب من تلاميذه أن يلتجأوا إلى الله ويطلبوا منه أن يعطيهم القدرة على إجراء المعجزات لأن القوم كثيرين. يقول متى (وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلم فى مجامعها. ويكرز ببشارة الملكوت. ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب. ولما رأى الجموع تحنن عليهم إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها. حينئذ قال لتلاميذه الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون. فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده"[٣] بعد أن طلب

---

(١) ما معنى المسيح ابن الله ص٤١ ـ ٤٣.

(٢) متى ١٠: ١ ـ ٤ راجع أيضًا. مرقس ٣: ١٣ ـ ١٩، لوقا ٦: ١٢ ـ ١٦.

(٣) متى ٩: ٣٥ ـ ٣٨.

المسيح من تلاميذه أن يدعوا الله ويطلبوا منه المعونة بعدها أرسل المسيح تلاميذه وأعطاهم سلطان الله، وهذا يدل على أن المسيح أعطاهم سلطان إجراء المعجزات باعتباره رسولاً من الله لا باعتبار أنه هو الله وإلا ما فائدة قول المسيح (اطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده).

والخلاصة: أن النصارى يعتقدون أن معجزات المسيح تدل على سلطانه الروحى وقوته الإلهية وأنه قادر ـ بهذه القدرة الإلهية ـ أن يفعل المعجزات وذلك بخلاف الأنبياء السابقين الذين كانوا ينسبون القدرة إلى الله سبحانه وتعالى.

وسنناقش هذه الأقوال فى نهاية الفصل إن شاء الله.

أهمية كون المسيح إلهًا بالنسبة للخلاص المسيحى

إن الخلاص المسيحى يقوم على أساس أن المخلص لابد أن يكون إلهًا، ذلك أنه لا يستطيع أحد ـ فى نظرهم ـ أن يقوم بالخلاص سوى الله عز وجل، ذلك أن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بالفداء عن الخطية من نفسه لأنه خاطىء بطبيعته، ولا يستطيع غير الإنسان ـ من المخلوقات ـ أن يقوم بهذه الفداء، لأن الواجب أن يكون المخلص له سلطان على الخطية وذلك لا يتوافر إلا فى الله عز وجل، كما أن قيام الله عز وجل بالخلاص هو منتهى الرحمة ـ كما يقولون ـ وعدم الظلم لأحد.

يقول عوض سمعان: لا يستطيع فداءنا إلا الله وبما أنه ليس من المعقول أن يخلق الله شخصًا نظيره لأن المخلوق يكون محدثًا والمحدث لا يكون مثل الأزلى إذ ليس هناك كائن غير الله يستطيع القيام بفدائنا والتكفير عنا، كما أننا لو فرضنا جدلاً أن الله خلق شخصًا نظيره ليقوم بهذه المهمة يكون قد ظلم هذا الشخص وعاقبه بأفظع عقوبة دون ذنب جناه، أما إذا قام تعالى بفدائنا بنفسه لا يكون قد ظلم أحدًا أو قسا عليه، بل يكون قد أظهر منتهى الرحمة والمحبة لنا الأمر الذى هو خليق به[1].

ويسأل أنسلموس اللاهوتى سؤالاً ويجيب عليه فيقول:

لو قيل إن كان من الممكن أن يكون ذلك الخلاص بواسطة شخص غير الله من ملاك أو إنسان بأية طريقة وجدت لكان العقل يقبل ذلك بأكثر سرعة وأسهل فهم إذ

---

(١) عوض سمعان: طريق الخلاص ص١٩.

أنه تعالى كان يستطيع أن يخلق إنسانًا بدون خطية من غير الجبلة البشرية الخاطئة كما خلق آدم أو على كيفية أخرى وكان بذاك الإنسان يتم عمل الفداء؟

ويقول فى الجواب: ألا تعلم أن ذاك الذى يفدى الإنسان من الموت الأبدى يكون من حقه السيادة عليه فيصبح الإنسان ملكًا له شرعيًا، فلو كان الإنسان افتدى بمخلوق لما تيسر للإنسان إذ ذاك أن يسترد المقام الجليل الذى أضاعه بسقوطه فى الخطية، إذ أنه عوضًا عن أن يكون عبدًا للخالق وحده ومساويًا فى كل شىء للملائكة المقربين يغدو عبدًا للشخص الذى افتداه أى لمن هو ليس بإله[1].

فأهمية كون المسيح إلهًا بالنسبة للخلاص المسيحى أنه لا يستطيع أن يقوم بالخلاص سوى الله عز وجل الذى يستطيع أن يقوم بالفداء على أكمل وجهه.

ولا يستطيع آخر أن يقوم بهذه المهمة.

يقول القديس إثناسيوس الرسولى: لم يكن مستطاعًا لأحد آخر أن يرد البشر عن الفساد الذى بدأ غير كلمة الله الذى خلقهم أيضًا من البدء[2].

وهكذا تظهر أهمية كون المسيح إلهًا بالنسبة للخلاص المسيحى.

كيفية التجسد

لقد تبين مما سبق أن تجسد المسيح يعنى أن الله تجسد، أى أخذ جسدًا بشريًا، وهذا يدعونا إلى بحث كيفية هذا التجسد، أى كيف اتصل اللاهوت بالناسوت فأصبح هذا المتجسد إلهًا حقًا، وإنسانًا حقًا.

وبداية نقول: إن تقرير ألوهية المسيح فى مجمع نيقية فى القرن الرابع الميلادى بين النصارى الذين يؤمنون بهذه العقيدة سبب كثيرًا من الاختلافات والاضطرابات فى العقيدة النصرانية حتى الآن.

حيث إن تقرير ألوهية المسيح لم يكن عملاً سهلاً بل عملاً معقدًا سبب كثيرًا من الاختلافات والاتجاهات لا بين من قالوا به وبين من أنكروه فحسب بل بين الجماعات التى اتفقت على المبدأ واعتنقته ثم عادت تفكر فيه، وعلى هذا أوجدت هذه المشكلة مجالاً للتفريق بينهم.

---

(١) لماذا تجسد الكلمة؟ ص٧.

(٢) تجسد الكلمة ص٤٢.

وكان مصدر هذه الاختلافات بين هؤلاء هو التفكير فى طبيعة المسيح، للتوفيق بين الألوهية التى صدر بها قرار وأصبحت بموجبه اعتقادًا ملزمًا، وبين الواقع وهو أن عيسى بن مريم كان يمشى على الأرض وكان يأكل كما يأكل الناس ويتحدث كما يتحدثون، وكان على العموم إنسانًا فى مظهره على الأقل[١].

فكان تقرير ألوهية المسيح مثار اختلاف كبير حيث لم يتفقوا على كنه هذا التأليه، وعلى طبيعة هذا الإنسان المؤله... هل هو من طبيعة إلهية خالصة؟ أم من طبيعة إحداهما إلهية والأخرى إنسانية؟ وهل امتزجت هاتان الطبيعتان فى عيسى أم احتفظت كل منها بخواصها ومزاياها؟ وما نتيجة هذا الامتزاج على فرض حدوثه؟ هل تمخض عن طبيعة نصفها إلهى ونصفها إنسانى أم تولدت عنه طبيعة مغايرة تمامًا عن كلا الطبيعيتين الإلهية والإنسانية.

أسئلة كثيرة حول عيسى جرها القول بتأليهه، أسئلة اختلفت فى الإجابة عليها دعاة التأليه أنفسهم وانقسموا بينهم شيعًا وأحزابًا وتناثروا مذاهب وطوائف[٢].

ويرجع هذه الاختلافات إلى القرون الأولى لتقرير ألوهية المسيح.

ومبدؤها حين أنكر (نسطور) بطريرك القسطنطينية أن السيدة العذراء والدة الإله. لقد رأى نسطور أن هناك أقنوما وطبيعة، فأقنوم الألوهية من الآب وتنسب إليه وطبيعة الإنسان وقد ولدت من مريم، فمريم أم الإنسان وليست أم الإله.

ويقول فى المسيح الذى ظهر بين الناس وخاطبهم كما نقله عنه ابن البطريق:

(إن هذا الإنسان الذى يقال إنه المسيح بالمحبة متحد مع الآب، ويقال إنه الله وابن الله ليس بالحقيقة ولكن بالموهبة).

ويظهر من هذا أن المسيح الذى ظهر بين الناس لم يكن إلهًا بحال من الأحوال ولكنه مبارك بما وهبه من آيات وتقديس، ولذا جاء فى تاريخ الأمة القبطية عن نحلته ما نصه: أما هرطقة نسطور فلم تكن كغيرها نشأت عن اختلاف فى عقائد وضعها الآباء والأحبار، بل هى جوهرية تختص بأعظم موضوعات الإيمان والأركان فى الدين المسيحى، ذلك أن نسطور ذهب إلى أن ربنا يسوع المسيح لم يكن إلهًا فى حد

---

(١) د/ أحمد شلبى: المسيحية ص١٨٩.

(٢) المسيح إنسان أم إله ص١٨١.

ذاته، بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة، أو هو ملهم من الله، فلم يرتكب خطيئة وما أتى أمرًا إدًا.

على هذا التخريج يكون نسطور لا يعتقد بألوهية المسيح وإن كان يعتقد أنه فوق الناس وليس مثلهم[١].

يقول منسى يوحنا عن عقيدة نسطور: ما أن جلس على الكرسى القسطنطينى حتى أخذ يعلم أنه لما كان الجزء اللاهوتى من طبيعة المسيح لم يولد من العذراء فلا يحق أن تسمى أم الله بل والدة المسيح الإنسان، وقصد بذلك أن يمهد السبيل إلى إنكار ألوهية المسيح الذى قسمه إلى شخصين معلمًا أن اللاهوت لم يتحد بالناسوت بل ساعده فقط.

وصرح مرة فى خطبة قائلاً (كيف أسجد لطفل ابن ثلاثة شهور قد سجد له المجوس) وقال أيضًا (كيف يكون لله أم؟ فإذاً يستحق المعذرة الحنفاء الذين كانوا يأتون بأمهات آلهتهم فى ملاعبهم وقد كتب الرسول عن لاهوت المسيح أنه بلا أب ولا أم ولا ميلاد، إن مريم لم تلدا إلهًا بل ما يولد من الجسد ليس إلا جسدا أو ما يولد من الروح فهو روح، إن الخليقة لم تلد الخالق بل ولدت إنسانًا آلة للاهوت)[٢].

ويقول (ومؤدى هرطقة نسطور إنكار ألوهية السيد المسيح، وابتدأ فيها بإنكار كون السيدة العذراء والدة الإله)[٣].

ولقد نادى نسطور بهذه الآراء وجهر بها، وكان مؤدى أفكار نسطور إنكار ألوهية المسيح من ناحية أنه بين أن العذراء مريم أم المسيح.

ولا يصح أن نطلق على مريم أم الله، وأن المسيح لم يكن إلهًا فى حد ذاته بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة.

"وهو بذلك يرى أن الأقنوم الثانى وهو الابن لم يتجسد وتلده مريم كما يرى غيره من المثلثين، بل كان يرى أن مريم ولدت الإنسان فقط ثم اتحد ذلك الإنسان

---

(١) راجع: محاضرات فى النصرانية ص١٦٢.

(٢) القس/ منسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية ص٢٥٧.

(٣) المرجع السابق ص٢١٦.

بعد ولادته بالأقنوم الثانى، وليس ذلك الاتحاد بالمزج وجعلهما شيئًا واحدًا أو ذلك الاتحاد ليس اتحاد حقيقيًا بل كان اتحادًا مجازيًا، لأن الإله منحه المحبة ووهبه النعمة فصار بمنزله الابن، وهذا التخريج لاشك يؤدى إلى أن المسيح الذى خاطبهم وكلمهم وحوكم وعوقب فى زعمهم لم يكن فيه عنصر إلهى قط فلم يكن إلهًا ولا ابن إله"[١].

هذا مؤدى أفكار نسطور والتى قال النصارى عنها إنها تعنى إنكار ألوهية المسيح[٢] لذلك عندما جهر نسطور بهذه الأفكار خالفه غيره من البطاركة.

وكان نتيجة لذلك أن عقد مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م والذى قرر كما يقول ابن البطريق:

أن مريم العذراء والدة الإله، وأن المسيح إله حق وإنسان معروف بطبيعتين متوحد فى الأقنوم، وحكم باللعن على نسطور[٣].

ولكن قرارات هذا المجمع لم ترق فى أعين أساقفة الإسكندرية فعقدوا مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩م تحت لواء ديسقورس بطريرك الإسكندرية فى تلك الفترة وقرر فيه أن المسيح ذو طبيعة واحدة ومشيئة واحدة وأن العذراء ولدت الإله ولذلك تدعى أم الإله.

يقول منسى يوحنا عن أهم قرارات هذا المجمع "كل من يقول بطبيعتين بعد التجسد فليكن محرومًا"[٤].

وبسبب قرارات هذا المجمع سعى أسقف روما إلى عقد مجمع يناهض قرارات مجمع أفسس الثانى، فانعقد المجمع أولاً فى مدينة القسطنطينية. وقد حضر البابا (ديسقورس) بطريرك الإسكندرية ومعه أساقفته. وذلك للنظر فى قضية هل للمسيح طبيعتان لاهوتية وناسوتية أو طبيعة واحدة.

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص١٨٨.

(٢) وإنكار ألوهية المسيح يعنى رفض تعاليم الخلاص المسيحية القائمة على كون المخلص إلهًا. علم اللاهوت النظامى ص٣٥٣.

(٣) راجع محاضرات فى النصرانية ص١٦٣.

(٤) تاريخ الكنيسة القبطية ص٢٢٩.

يقول بطريرك الإسكندرية: هما طبيعتان فى طبيعة واحدة إنهما اللاهوت والناسوت التقيا فى المسيح ويسمى هذا المذهب بمذهب الطبيعة الواحدة.

بينما تقول كنيسة روما بالطبيعتين فهو إله من طبيعة أبيه، وهو بشر من طبيعة أمه[١].

وبسبب حدة الاختلافات وشدتها أمر الإمبراطور (مركيانوس وزوجة الإمبراطور بوليخريا) بانتقال المجمع من مدينة القسطنطينية إلى مدينة خليقيدونية واجتمع فى سنة ٤٥١م.

وكان أهم نتائج هذا المجمع: للمسيح طبيعتان منفصلتان لا طبيعة واحدة وأن الألوهية طبيعة وحدها والناسوت طبيعة وحدها التقيا فى المسيح.

لعن ديسقورس وكل من يشايعه فى مقالته ونفيه إلى فلسطين.

إبطال قرارات مجمع أفسس الثانى المنعقد بتاريخ سنة ٤٤٩م[٢].

وقد قال ابن البطريق فى بيان قرار المجمع "قالوا: إن مريم العذراء ولدت إلهنا ربنا يسوع المسيح الذى هو مع أبيه فى الطبيعة الإلهية ومع الناس فى الطبيعة الإنسانية وشهدوا أن المسيح له طبيعتان وأقنوم واحد ووجه واحد، ولعنوا نسطور، ولعنوا ديسقورس ومن يقول بمقالته ونفوه، ولعنوا المجمع الثانى الذى كان بأفسس وقد نفى ديسقورس إلى فلسطين"[٣].

(وهكذا نرى انشقاقاً بين المسيحية المثلثة واختلافًا يكون بعيد المدى فى الأجيال المقبلة وهو أساس اختلاف الكنائس إلى يومنا الحاضر، فهذا المجمع يرى أن المسيح له طبيعتان إحداهما إنسانية يشارك فيها الناس والأخرى لاهوتية، وأقنوم الابن مكون من الطبيعتين. وهو بذلك يخالف النسطوريين لأنهم يقولون: إن أقنوم الابن لم يكن من العنصرين بل من العنصر الإنسانى وحده، ويخالف قرار أفسس الثانى الذى يقول إن المسيح طبيعة واحدة تجسد فيها العنصر اللاهوتى من الروح القدس ومن مريم العذراء مصيرًا هذا الجسد معه واحدًا وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط

(١) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص٢٣٥.
(٢) المرجع السابق ص٢٣٦.
(٣) محاضرات فى النصرانية ص١٦٥ ـ ١٦٦.

والاستحاله بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة)[١].

وبسبب القرارات التى أصدرها هذا المجمع ظلت الكنيسة القبطية (المصرية) إلى الآن لا تعترف بقراراته، ولا تعترف بالمجامع التى عقدت بالقسطنطينية بعد ذلك[٢].

وقد وافقت الكنيسة القبطية[٣] فى القول بالطبيعة الواحدة كنائس الشرق، وأطلق عليها عامة الكنيسة الشرقية أو الأرثوذكسية.

---

(١) المصدر السابق ص١٦٦.

(٢) تاريخ الأقباط جـ١ ص١٧٦ ـ ١٧٧.

(٣) ويقصد بالكنيسة القبطية الكنيسة المصرية التى انفصلت عن كنيسة روما بسبب مجمع خليقدونية المنعقد سنة ٤٥١م. وقد برز من دعاتها لمذاهبها فى الطبيعة الواحدة (يعقوب البرادعى) وفد على مصر فى أيام البابا بطرس الرابع كان كثير العبادة والزهد ولا يلبس سوى خرق البرادع فسمى "البرادعى" ويلقب بالزنولى ولد فى بلدة تيلا على مسافة ٥٥ ميلا من الرها بمقاطعة إيطاليا فى أواخر القرن الخامس الميلادى ونشأ أولا فى دير بالقرب من الرها يدعى دير الشقوق. وبعد وفاة أسقف هذه المدينة رسم أسقفا عليها سنة ٥٤١م، وأخذ يجول فى البلاد الرومانية ليدافع عن الطبيعة الواحدة وقد رفع عن كاهل من يؤمنون بالطبيعة الواحدة كثيرًا مما يتعرضون له. راجع تاريخ الكنيسة القبطية ص٢٧٣ ويكره القبطيون إطلاق لفظ اليعقوبية عليهم نسبة إلى يعقوب البرادعى.

لذلك يقول منسى يوحنا: ويدعى المؤرخون اللاتين والأروام أن أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة قد أكرموا "يعقوب" المذكور بتسميتهم يعاقبة باسمه ولذلك دعا الخليكيدونيوس ـ أى الذين يؤمنون بمعتقد مجمع خلكيدونية أى أصحاب مذهب الطبيعتين ـ الكنيسة القبطية بالكنيسة اليعقوبية وهو قول ملقى على عواهنه ويدل على جهل قائله إذ لا توجد علاقة بالمرة بين الكنيسة القبطية ويعقوب، كما أن يعقوب لم يكرز فى مصر بل كرز فى الولايات الأخرى

ويظهر أن الخلكيدونين قصدوا بإطلاق لقب (اليعقوبية) على الكنيسة القبطية أن ينتقموا لأنفسهم منها لأنها أطلقت عليهم لقب (الملكيين) ولكن لسنا ـ القول لازال لمنسى يوحنا ـ بمخطئين فى تسمية الرومانية بالكنيسة الملكية لأنها انحازت إلى الملك الإمبراطور الرومانى مذهبًا وسياسة، وأول من أطلق اسم اليعاقبة هو أفتيخوس بطريرك الملكيين فى القرن العاشر ولكنه أطلقه على السريان الذين كانوا خاضعين رسميًا ليعقوب البرادعى، ولما نشرت كتابات أفتيخوس بين الإفرنج ورأى بعض مؤرخيهم أن تعاليم الأقباط لا تختلف عن تعاليم السريان فخرج هؤلاء المؤرخون من هذا الرأى إلى تسمية باليعاقبة. ١. هـ

تاريخ الكنيسة القبطية ص٢٧٤.

ويقول: (كل أقوال المؤرخين فى هذا الشأن ـ أى فى تسمية الكنيسة القبطية باليعاقبة ـ مردودة إذ قد التبس عليهم وجه الصواب لاسيما وأن البابا ديسقورس لم يعرف باسم يعقوب ولم يكن له تلميذ بهذا الاسم ولم يبشر يعقوب الرسول بمصر ولا كرز يعقوب البرادعى بمصر رادًا الأقباط إلى مذهب الطبيعة الواحدة بل كانوا هم المتمسكين به دون غيرهم ولم يعرف الأقباط منذ أول عهدهم بالمسيحية إلى اليوم إلا بالأقباط الأرثوذكس وكنيستهم الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. المرجع السابق ص٢٧٥.

وعلى ذلك فمن الخلط إطلاق لفظ يعقوبيين على الكنيسة القبطية المصرية، لأن مذهبها نشأ قبله وهو تبعه إذ لا علاقة لها بيعقوب (راجع محاضرات فى النصرانية ص١٦٨).

أما القول بالطبيعتين فهو اعتقاد كنسية روما، وتبعتها فى ذلك كنائس الغرب.

وسميت كنيستهم بالكنيسة الغربية أو الكاثوليكية[١].

وهذا الاختلاف يعنى أن المسيح المتجسد إما أنه ذو طبيعة واحدة اتحد فيها اللاهوت والناسوت، أو أنه ذو طبيعتين وأن بين الطبيعتين اتحادًا لا يقبل الانفكاك. وهذا يعنى أن كيفية التجسد تختلف من كنيسة لأخرى.

فتجسد المسيح على القول بالطبيعة الواحدة يعنى أن اللاهوت اتحد بالناسوت فصارا طبيعة واحدة ونتج عنه أن فى المسيح طبيعة واحدة مؤلفة من الطبيعتين ـ اللاهوت والناسوت.

يقول أسبيرو جبور: تلاقت الطبيعتان فى أقنوم ابن الله السرمدى[٢].

بمعنى "أن يسوع اتخذ طبيعة بشرية وجعل أقنومه الإلهى أقنومًا. لقد صار الإله إنسانًا والإنسان إلهًا، الكلمة صار جسدا والجسد صار كلمة بفضل الاتحاد الأقنومى، الذى يعنى أن أقنوم الابن اقتنى الناسوت ملكًا خاصًا به يؤلف معه أقنومًا معه"[٣] فاللاهوت اتحد بالناسوت فى الطبيعة الواحدة.

يقول أفلاطون مطران موسكو: إن هاتين الطبيعين قد اتحدتا فى مسيح واحد[٤].

---

(١) لقد انقسمت الكنيسة بالفعل حين ثار الاختلاف حول طبيعة المسيح هل هى واحدة أم طبيعتان؟ ولكن إتمام الانقسام النهائى والإدارى إلى كنيسة شرقية وغربية كان بسبب الاختلاف حول (انبثاق الروح القدس هل هو من الآب أو من الابن) قال بطريرك القسطنطينية: إن الروح القدس انبثق من الآب وحده.
بينما قال بطريرك روما: إن الروح القدس انبثق من الآب والابن.
وبسبب هذا كان الانقسام النهائى والإدارى للكنيسة إلى شرقية أرثوذكسية وغربية كاثوليكية، والسمة الأولى للكنيسة الأرثوذكسية ـ الطبيعة الواحدة، وللكاثوليكية القول بالطبيعتين. يقول القس صموئيل مشرقى (وقد بدأ الخلاف بالأكثر فى مجمع خليكدونية المنعقد سنة ٤٥١م بالجدل الذى ثار حول موضوع الطبيعتين والمشيئتين فى السيد المسيح وكان لإضافة لفظ انبثاق الروح القدس من الابن (وليس من الآب فقط) بعدئذ إلى قانون الإيمان الأثر الحاسم فى إتمام الانفصال بين الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية) أ. هـ راجع المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد ص٧.

(٢) سر التدبير الإلهى من المنشورات الأرثوذكسية ص١٣٣.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٤) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص٩٠.

ويقول حبيب جرجس: إن فادينا العظيم قد تنازل من سماء مجده وقبل أن يتحد بالإنسان باتخاذه جسدًا حقيقيًا بنفس عاقلة ناطقة فحُمل به بقوة الروح القدس فى بطن القديسة الطاهرة مريم آخذا كل مالنا ماعدا الخطيئة[١] وهذا يعنى أن مريم ولدت يسوع الإله المتجسد.

"فالذى ولدته لا إلهًا بالإطلاق ولا إنسانًا بالإطلاق ولا إلهًا وإنسانًا بل إلهًا متأنسًا"[٢].

أما عن نوعية هذا الاتحاد: فيقول أسبيروجبور: "لم يمتزجا وإنما اتخذ الابن طبيعة أخرى لم تكن له من قبل، هى طبيعتنا البشرية بدون أن يطرأ عليه أى تغيير أو تحوير فضمها إلى أقنومه، كان قبل التجسد كلمة إلهيا بلا جسد، بعد التجسد صار كلمة متجسدًا. طبعًا بقى اللاهوت كما هو بدون تغيير"[٣].

"فاتحد اللاهوت بالناسوت وباتحادهما معًا بدون اختلاط ولا امتزاج صار المسيح ذاتا واحدة جوهرًا واحدًا طبيعة واحدة"[٤].

وهذه الأقوال توحى بالتناقض الغريب؛ إذ كيف يتحد اللاهوت بالناسوت ويصيرا طبيعة واحدة بدون امتزاج ولا اختلاط!!

إنهم يقولون إن مريم ولدت الإله المتجسد بطبيعة واحدة بعد أن اتحد فيه اللاهوت والناسوت، فكيف يصح القول بأن هذه الطبيعة اتحدا فيها اللاهوت والناسوت بدون امتزاج ولا اختلاط؟ وكيف هى طبيعة واحدة بدون هذا الامتزاج.؟

وإذا لم يكن هذا الاتحاد بالامتزاج والاختلاط فما كيفيته؟

أما عن كيفية هذا الاتحاد: فيقول أسبيروجبور: ليست كيفية الاتحاد خلطًا للطبيعتين كما نخلط الحبوب ونثرات المعادن، وليست مزجًا كما نمزج الحليب بالماء، وليست تجاورًا كما يتجاور الزيت والماء فى إناء واحد دون تفاعل بين المادتين.

---

(١) حبيب جرجس: خلاصة الأصول والإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص٢٨.

(٢) تاريخ الكنيسة القبطية ص٢٥٩.

(٣) سر التدبير الإلهى ص١٣٤.

(٤) خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص٣٠.

لقد شبهه أوريجنيس وسواه باتحاد النار بالفحم أو الحديد.

فالنار لا تتحول إلى فحم أو حديد، ولا هذان يتحولان. ولكن الفحم والحديد ـ يكتسبان من النار حرارتها وتألقها وتغلغل النار إلى أجزائها كافة. وهذا تشبيه ناقص.

وشبهه كثيرون (ومنهم كيرللس الإسكندرى) باتحاد النفس والجسد فى الإنسان وهذا أيضًا تشبيه ناقص.

لا شىء فى الكون يصلح لإعطاء صورة تامة عن كيفية اتحاد الطبيعتين نستطيع أن نقول إنهما لم تختلطا لم تتحولا.. لم.. لم.. لم.

كل هذا تعريف بالسلب لا بالإيجاب. يسوع علمنا أنه وحده يعرف[1] الآب لا نعرف عنه إلا ما يجود به على عقلنا القاصر ويبقى إيماننا أقوى من عقلنا على اليقين الراسخ والاعتقاد الثابت بما كشفه لنا يسوع[2].

وهذا يعنى أن العقول لا تستطيع أن تفهم كيفية هذا الاتحاد ولم يجدوا مناصًا لكى يخرجوا من هذا المأزق أن يقولوا إنه بطريقة سرية لذلك يقول أحدهم: (اتحدت طبيعته الإنسانية بالطبيعة الإلهية بطريقة سرية لا تدرك، ومن اتحاد الطبيعتين صار شخص واحد هو المسيح الإله الإنسان معًا، فهو ليس مسيحين بل مسيحًا واحدًا)[3].

والخلاصة: أنهم يعتقدون أن المسيح اتحد فيه اللاهوت والناسوت بطريقة سرية لا تدرك، ولا يستطيع العقل فهمها. ولكن هذا الاتحاد بدون امتزاج ولا اختلاط، ونتج عن هذا الاتحاد طبيعة واحدة لها صفات اللاهوت والناسوت.

يقول أسبيروجبور: يقول أصحاب الطبيعة الواحدة (الأقباط والسريان والأرمن والأحباش) بوجود طبيعتين متحدتين بطبيعة واحدة تجتمع فيها جميع الصفات والخصائص الإنسانية أو الناسوتيه وجميع الصفات والخصائص اللاهوتية، بدون

---

(١) كان يمكن أن يقال إن يسوع وحده يعرف، لو أن يسوع هو الذى نطق بهذا الكلام، لكن الذى نطق به غيره ويسوع برئ منه.

(٢) سر التدبير الإلهى ص١٣٦.

(٣) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص٨٩.

امتزاج وبدون تغيير وبدون استحالة والأقنوم واحد وهو أقنوم كلمة الله المتجسد.

لا يؤمنون بطبعية واحدة إلهية صرفة كما يشاع عنهم، بل بطبيعة واحدة إلهية لها صفات اللاهوت والناسوت[١].

وهذا الاعتقاد كما ترى كلام لا يعقل لم يستطع أهله تفسيره، فكيف يؤمنون به ويدعون الناس إلى الإيمان به وهم لا يفهمونه؟

إذ كيف يعقل أن يتحد اللاهوت والناسوت؟ وكيف يعقل اتحاده بدون امتزاج وينتج عنه طبيعة واحد؟ وكيف يعقل أن ينتج عن هذا الاتحاد طبيعة واحدة دون أن يحدث أى تحول أو تغير؟

إذ كيف يجتمع فى هذه الطبيعة هذا النقيض الهائل من اللاهوت والناسوت؟

❖ ❖ ❖

أما كيفية التجسد عند القائلين بالطبيعتين:

فإنهم يقولون إن فى المسيح طبيعتين ـ وهما اللاهوت والناسوت ـ وهاتان الطبيعتان باقيتان فى المسيح عن طريق الاتحاد بالتجسد.

يقول إلياس مقار: إن المسيح ذو طبيعتين تامتين كاملتين إذ هو إله تام وإنسان تام اتحدا فى شخصه الواحد بالتجسد[٢].

فالمسيح ـ فى نظرهم ـ له جميع صفات الناسوت وجميع صفات اللاهوت معًا فى شخص واحد أى (أن الجوهرين المجموعين فى شخصه ـ الناسوت واللاهوت ـ طبيعتان ممتازتان وأنهما متحدتان اتحادًا لا يقبل الانفكاك)[٣].

أما كيفية هذا الاتحاد:

جاء فى علم اللاهوت النظامى (أن اتحاد طبيعتى المسيح لا يقوم بمزجهما وحدوث طبيعة ثالثة ليست هى ناسوتًا ولا لاهوتًا محضًا بل طبيعة مؤلفة منهما، لأن

---

(١) سر التدبير الإلهى ص١٠٢.
(٢) قضايا المسيحية الكبرى ص١١٥.
(٣) علم اللاهوت النظامى ص٧٧٨.

ذلك من المستحيل لسبب أن خواص الطبيعتين متباينة، وكما أنه لا يمكن أن يكون من مزج العقل والمادة جوهر جديد ليس هو عقلاً ولا مادة لأن ذلك من باب التناقض، هكذا لا يمكن الطبيعتين البشرية والإلهية أن يمتزجا وينتج منهما طبيعة ثالثة لأن الطبيعة الإلهية ممتازة عن الطبيعة البشرية ولا يمكن مزجها.

نعم إن المسيح هو إله وإنسان معًا، ولكن ذلك باعتبار شخصه لا باعتبار طبيعته، فإن الطبيعة الإلهية ـ باقية عن الطبيعة البشرية ولو اتحدتا فى شخص واحد، لأنه لا يمكن جعل المحدود غير محدود أو غير المحدود محدودًا، ولا يمكن جعل الله إنسانًا ولا جعل الإنسان إلهًا، وإنما يمكن وجود شخص واحد له طبيعة إلهية وبشرية معًا بشرط أن تكون الطبيعتان متحدتين لا ممتزجتين فيه[١].

وخلاصة ما تقدم: "أن كلا من طبيعتى المسيح باقية على حدة غير أنهما متحدتان فى شخصية واحدة، وكما أن الجسد البشرى يحفظ كل خواصه المادية والنفس تحفظ كل صفاتها الروحية فى اتحادهما فى شخص واحد، كذلك اللاهوت والناسوت يحفظ كل منهما خواصه فى اتحادهما فى شخص المسيح، فينتج من ذلك أن للمسيح مشيئة بشرية ومشيئة إلهية معًا، فله مشيئة محدودة ومشيئة غير محدودة، وقدرة محدودة وقدرة غير محدودة معًا، وحكمة بشرية قابلة للنمو وحكمة إلهية كاملة، **وكل ذلك سر بعيد عن الاستقصاء** ولكن ليس بأكثر خفاء من اتحاد العقل والمادة فى بنيتنا البشرية"[٢] فالطبيعتان متحدتان فى المسيح ـ وهذا الاتحاد ليس عن طريق الامتزاج ـ وكل طبيعة محافظة على خواصها وصفاتها حيث "إنه لم تنتقل صفات إحدى الطبيعتين للأخرى ذلك أن انتقال صفات الطبيعة الواحدة إلى الأخرى مردود، لأنه يسبب تغيرًا فى جوهر الطبيعتين المستقلة كل منهما عن الأخرى، فإذا انتقلت مثلاً الصفات الإلهية إلى الطبيعة البشرية لم تبق طبيعة بشرية وبالعكس، وهذا يعنى أن طبيعة المسيح البشرية بقيت على حالها بعد التجسد وأن الطبيعة الإلهية بقيت إلهية"[٣].

---

(١) المرجع السابق ص٧٧٩.

(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق ص ٧٧٩، ٧٨٠.

فكيفية التجسد عند القائلين بالطبيعتين تتلخص فى النقاط التالية :ـ

١ ـ أن فى المسيح طبيعتين ـ اللاهوت والناسوت ـ وأنهما متحدتان اتحادًا لا يقبل الانفكاك أو الانفصال.

٢ ـ أن هاتين الطبيعتين غير ممتزجتين امتزاجًا يتكون منه طبيعة ثالثة متميزة عن كل منهما، بل إن كل واحدة منهما حافظة لكل خواصها.

٣ ـ أنه لم تنتقل صفة من الطبيعة الإلهية إلى البشرية، وبالأولى لم تنتقل صفة من الطبيعة البشرية إلى الإلهية، أى الناسوت فى المسيح لم يصر إلهًا واللاهوت صار ناسوتًا.

٤ ـ أن اتحاد الطبيعتين ليس على سبيل حلول الطبيعة الإلهية فى بنية بشرية بل على سبيل اتحاد شخص نشأ منه أن المسيح شخص واحد بطبيعتين ممتازتين إلى الأبد، أى أنه هو إله وإنسان فى وقت واحد[١].

وهذه الأقوال كما ترى مليئة بالتناقض الغريب، إذ كيف يكون الشخص غير محدود ومحدودا فى الوقت نفسه؟ كيف يكون إلهًا وإنسانًا فى الوقت ذاته؟ كيف يكون قادرًا وغير قادر فى آن واحد؟

وسنناقش هذه الأقوال فى نهاية هذا الفصل إن شاء الله.

أسباب تجسد المسيح

كان تجسد المسيح فى المسيحية لسببين :

السبب الأول : وهو أن المسيح تجسد من أجل الخلاص.

(فإن الله لأجل فداء البشرية ـ كما يقولون ـ بذل ابنه الوحيد الذى أتى إلى العالم ليخلصنا من خطايانا، واشترك فى اللحم والدم لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت ـ أى إبليس ـ ويعتق أولئك الذين خوفًا من الموت كانوا جميعًا كل حياتهم تحت العبودية)[٢].

---

(١) المرجع السابق ص٧٨٠.

(٢) عبرانيين ٢ : ١٥. راجع علم اللاهوت النظامى ص٧٩١.

يقول أسبيروجبور: (فما هو سر التجسد؟ إنه سر الحبل بابن الله فى أحشاء العذراء وذلك أن الابن الأقنوم الثانى ضم إلى أقنومه الإلهى طبيعتنا البشرية من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا)[١].

ويقول القس صموئيل حبيب: (جاء يسوع فى جسد الخطية ليفتدى الخطاة)[٢].

ويقول أفلاطون مطران موسكو: (المسيح تأنس لكى يصير بين يدى الآب السماوى مخلص هو نفس الإنسان الذى خطىء والذى أخذ هو طبيعته ولولا التأنس لاستحال ذلك). قال بولس (لأنه جعل الذى لم يعرف خطية صار خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه)[٣،٤].

فالمسيحيون يعتقدون أن المسيح تجسد من أجل أن يقدم نفسه فداء ليخلص البشرية مما علق بها من خطية آدم.

يقول إثناسيوس الرسولى: إن المسيح تجسد لكى يبطل الناموس الذى كان يقضى بهلاك البشر إذ مات الكل فيه لأن سلطانه قد أكمل فى جسد الرب ولا يعود ينشب أظفاره فى البشر الذين ناب عنهم.

ولكى يعيد البشر إلى عدم الفساد بعد أن عادوا إلى الفساد ويحييهم من الموت بجسده وبنعمة القيامة وينقذهم من الموت كإنقاذ القش من النار[٥].

أى أن المسيح تجسد ليخلصهم من لعنة الناموس الذى يقضى بأن الذى يخطىء ملعون ويهلك، ولما كان البشر خاطئين باعتبارهم قد ورثوا معصية آدم فتجسد المسيح لكى يبطل هذه اللعنة ويرفع عنهم هذا الهلاك، أى يخلصهم من لعنة الناموس التى لصقت بهم نتيجة لمعصية آدم.

---

(١) سر التدبير الإلهى ص٩٧.
(٢) الخلاص فى مفهومه الكتابى والتطبيقى ص٣٩.
(٣) ٢ كورنثوس ٥ : ٢١.
(٤) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص٨٨.
(٥) تجسد الكلمة ص٣٨.

ولما كانت الخطيئة قد أحدثت فسادًا بالبشر فإن المسيح بتجسده أبطل هذا الفساد وأعاد البشر إلى الله سبحانه وتعالى.

أى أن المسيح تجسد من أجل أن يخلص البشر من الخطية وما أحدثته، أى من الخطية ومن آثارها ونتائجها.

يقول القس إنسطاسى شفيق: إن المسيح جاء إلى العالم لكى يخلص الخطاة وأن الله أرسله إلى العالم الأثيم الشقى الهالك لكى يفتديه ويخلصه، ولأجل إبراء الإنسان كان من الواجب أن ينزل إلى الإنسان فى مكان إقامته لكى يسكن معه كما قال يوحنا (الكلمة صار جسدًا وحل بيننا)[١].

فالمسيح تجسد من أجل الخلاص وهذا هو السبب الأول.

السبب الثانى للتجسد: وهو التجسد من أجل إعلان الله عن ذاته

يعتقد المسيحيون أن هناك سببا آخر للتجسد وهو إعلان الله عن ذاته، إذ أن الإنسان لا يستطيع أن يعرف الله معرفة حقيقة من نفسه ولكن بتجسد كلمة الله.

يقول القديس إثناسيوس الرسولى بعد أن يذكر السبب الأول: سبب آخر للتجسد: إذ عرف الله أن الإنسان بطبيعته لم يكن فى مقدوره معرفته وهبه معرفته، لكى يستطيع أن يجد فائدة من وجوده فى الحياة.

لقد خلقه على صورة (الكلمة)، حتى يستطيع بذلك أن يعرف (الكلمة)، وبه يعرف الآب[٢].

ويقول (وعندما خلق الله الضابط الكل الجنس البشرى بكلمته ورأى ضعف طبيعتهم وأنها لا تستطيع من نفسها أن تعرف خالقها، أو تكون أية فكرة عن الله على الإطلاق، لأنه بينما هو ـ أى الله ـ غير مخلوق فقد خلقت الكائنات من العدم، وبينما هو روح لا جسد له فقد خلق البشر بطريقة أدنى فى الجسد، ولأن المخلوقات لم تستطع بأى حال أن تدرك وتعرف خالقها.

---

(١) يوحنا ١ : ١٤ راجع الفداء فى إنجيل لوقا ص١٤٩.

(٢) تجسد الكلمة ص٣٧ ـ ٣٨.

لهذا تحنن الله على الجنس البشرى على قدر صلاحه ولم يتركهم خالين من معرفته، لئلا يروا أن لا منفعة على الإطلاق من وجودهم فى الحياة[١].

ويقول (لأنه أية منفعة للمخلوقات إن لم تعرف خالقها؟ أو كيف يمكن أن تكون عاقلة بدون معرفة "كلمة" و"فكر" الآب الذى أوجدهم فى الحياة؟ لأنه إن كانت كل معلوماتهم محصورة فى الأمور الماضية فلا شىء يميزهم عن البهائم العديمة النطق.

نعم ولماذا خلقهم الله لو كان لا يريدهم أن يعرفوه؟[٢].

فالإنسان لا يستطيع أن يعرف الله فإذا لم يستطع معرفة الله فلماذا خلق؟

يقول (وتفاديا لهذا أعطاهم الله بصلاحه نصيبًا من صورته ـ ربنا يسوع المسيح ـ وخلقهم على صورته ومثاله حتى إذا ما رأوا تلك الصورة أى كلمة الآب استطاعوا أن يكونوا فكرة عن الآب وإذا ما عرفوا خالقهم عاشوا الحياة الحقيقية السعيدة المباركة)[٣].

من أجل هذا تجسد المسيح لكى يستطيع الإنسان أن يعرف الله إذ بالمعرفة يحيا الإنسان الحياة الحقيقية السعيدة.

فالإنسان بطبيعته لا يستطيع أن يعرف الله ولا يستطيع أن يكون فكرة عن الله، لأن الله غير مخلوق بينما الإنسان قد خلق من العدم.

ولما كان الإنسان لا يستطيع بطبيعته أن يعرف الله، فإن الله برحمته أرسل ابنه ليعلن للناس عن ذاته (ولكى يستطيع ابنه المخلص نفسه بحضوره المنظور أن يجذب الناس إليه ويبلغهم من فمه الأقدس إرادة الآب السماوى ويهديهم إلى سواء السبيل[٤].

ولكن هل هذا الإعلان لا يستطيع الأنبياء والرسل أن يقوموا به؟

---

(١) المرجع السابق ص٤٤.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق ص٤٥.

(٤) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص٨٨.

الجواب كما يقول إبراهيم لوقا: كان القصد الجوهرى من رسالة المسيح هو إعلان الله للعالم إعلانًا تامًا حقيقيًا عجز الرسل والأنبياء عن إبلاغه للبشر بصورته التامة، ففى المسيح ـ الإله المتجسد ـ قد رأينا قداسة الله الكاملة وبغضه الذى لاحد له للخطية، وفيه قد رأينا عدله وحكمته ورحمته الفائقة للوصف ومحبته لخليقته فى صورتها اللانهائية، رأينا هذا كله فى حياة المسيح فيها قدم المثل الأعلى للحياة الأدبية ـ الكاملة[١].

ويقول: إن تجسد المسيح كان هو الطريق الوحيد لتأدية الرسالة لإعلان الله على الوجه الأكمل[٢] أى ليعلن الله العالم إعلانًا صحيحًا.

فالمسيحيون يعتقدون أن المسيح وحده هو الذى يستطيع أن يعلن الله إعلانًا تامًا وحقيقيًا وهذا الإعلان عجز عنه الأنبياء والرسل.

وهذا هو السبب الثانى لتجسد المسيح.

وسوف نناقش تلك الأسباب فى نهاية هذا الفصل إن شاء الله.

أهمية التجسد بالنسبة للخلاص المسيحى

إن التجسد من أهم العقائد المسيحية إذ هو أساس الإيمان بالمسيحية ففى المسيح المتجسد ـ كما يقولون ـ نرى مشيئة الله وقصده وندرك طبيعته وذاته وحقه ومحبته[٣]

والتجسد ـ كما يقولون ـ يظهر مجد الله، والتجسد يظهر للبشر الله الحق الكامل والخير المطلق، والتجسد يعطى الإنسان المثل الأعلى ويهيئه لنوال الحياة الأبدية.

يقول النصارى (فلنا بواسطة ابن الله المتجسد مثال فريد للحياة البشرية الكاملة وظهور اللاهوت بكمال صفاته على هيئة منظورة محسوسة مقتربًا منا الاقتراب العجيب الذى أمكنا به أن نخاطب الله وجهًا لوجه فى الصلاة والاتحاد الروحى.

---

(١) المسيحية فى الإسلام ص١٥٢.

(٢) المرجع السابق ص١٥٣.

(٣) حبيب سعيد: أديان العالم ص٢٥٧.

ولنا به أيضًا التكفير عن خطايانا وفتح باب الرجاء الأبدى لجنسنا الهالك وتعيين مرشد وملك يرشدنا أبدًا فى الحق ويحامى عنا إلى نهاية حياتنا ويضمنا أخيرًا إلى رعيته السموية لنتمتع به إلى أبد الدهور)[١].

والتجسد ـ كما يقولون ـ يعطى الاطمئنان النفسى للمؤمنين فى الحياة حيث إن الله معهم.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: فالمسيح مع كونه"الله" الذى ظهر فى الجسد فهو إنسان كامل بكل ما تحمله كلمة إنسان من معنى، وهذا الأمر الذى يعزى قلوب المؤمنين ويطمئنهم، ذلك أن المسيح يسير معهم فى تجاربهم وآلامهم وأحزانهم واضطراباتهم وخوفهم وانزعاجهم أمام مشاكل الحياة، لأنه هو نفسه مر فى هذه المراحل كإنسان، بل إنه تحمل الموت وقبله طوعًا لأجل البشرية كلها[٢].

والتجسد سبب لنوال بركات الحياة الروحية (فالتجسد هو الكيفية المختارة لإيصال بركات الحياة الروحية إلى بنى البشر)[٣].

وبذلك تظهر أهمية التجسد إنه هو أساس النجاة فى الدنيا والآخرة.

هذا عن أهمية التجسد عامة فى المسيحية.

أما أهميته بالنسبة للخلاص المسيحى خاصة فهو أيضًا أساس عقيدة الخلاص ذلك أن التجسد هو الوسيلة الوحيدة للتكفير عن الخطيئة.

لقد بينا فى الباب الأول أن المسيحيين يعتقدون أن خطيئة آدم أحدثت العداوة بين الناس والله، وذلك لأنها كانت بمثابة التمرد والعصيان لله سبحانه وتعالى، وبينا أنهم قالوا لكى يتم إعادة الاتصال بين الناس والله كان ولابد من طريق للخلاص يخلص الناس من خطيئتهم الموروثة التى أبعدتهم عن الله.

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص٧٧١.

(٢) تاريخ الفكر المسيحى ص٣٤٧.

(٣) علم اللاهوت النظامى ص٧٨٤.

والاعتقاد المسيحى أن الخلاص عن طريق التوبة الإنسانية والمغفرة الإلهية لا يعيدان الاتصال والقرب من الله، وذلك لأنه يتعارض ـ فى نظرهم ـ مع صفة العدل الإلهى[١] الذى بمقتضاها يثاب المحسن ويجازى المسىء.

وكذلك أيضًا فإن الأعمال والطقوس التى يقوم بها بنو البشر لا تسد فجوة الانفصال، لذلك كان لابد من طريق آخر للخلاص غير الطريق الأول والثانى.

والخلاص الحقيقى ـ فى نظرهم ـ الذى يعيد الإنسان إلى وضعه الطبيعى قبل خطيئة آدم لابد أن يأتى من غير الإنسان، لأنه لا يستطيع أن يكفر عن تلك الخطيئة لأن مخطىء بالوراثة الطبيعية.

وعلى ذلك كان لابد من أجل هذا الخلاص أن يتجسد كلمة الله أى لابد من التجسد الإلهى من أجل الخلاص، وكلمة الله هو وحده الذى يستطيع أن يكفر عن تلك الخطيئة.

يقول فهد حبيب: إن الحاجز الذى يفصل بين الله والإنسان هو الخطيئة. (آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع)[٢] والتوبة مع أهميتها لا تكفى للتكفير عن الخطيئة (لأن أجرة الخطية موت)[٣] ليست توبة بل موتًا وإدانة.

لا يوجد من البشر من هو كفؤ للتكفير عن الخطية باعتبارأن البشر جميعًا وبلا استثناء خطاة (كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه)[٤].

كان لزامًا على الله أن يموت عن الخطية نيابة عن الإنسان إن أراد التكفير وهو بلاشك مريد. وكيف يموت الله وهو المكتوب عنه (له وحده عدم الموت)[٥]؟ فجاء

---

(١) وهذا غير مسلم، إن عقيدة الخلاص ترتكز فى النهاية على مبدأ المغفرة بما يحتويه من تعارض مع العدل فى نظرهم، وإن الفداء الخلاصى ليس بديلا للمغفرة، ولكنه مجرد وسيلة، وهو بديل عن التوبة لا عن المغفرة، فكأنهم يقولون يغفر لا بالتوبة ولكن بالفداء، فلابد وأن ينتهوا إلى مبدأ المغفرة، وعندئذ يأتى ما يعترضون به من حيث العدل الإلهى. فالخلاص المسيحى لم يحل المشكلة التى ابتدعوها.

(٢) إشعياء ٥٩ : ٢.

(٣) رومية ٦ : ٢٣.

(٤) إشعياء ٥٣ : ٦.

(٥) ١ تيموثاوس ٦ : ١٦.

تجسد المسيح بابا وحيدًا يقوده لموته مخرجًا لا ثانى له يؤدى للتكفير عن الخطية فتم القول (ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة مولودًا تحت الناموس ليفتدى الذين هم تحت الناموس لننال التبنى)[١،٢].

فالتجسد هو الوسيلة الوحيدة للتكفير عن الخطية، وذلك لأن البشر جميعًا وبلا استثناء خطاة لا يستطيعون التكفير عن الخطية.

ولما كان أجرة الخطية الموت، ومن صفات الله أنه لا يموت كان لابد من التجسد حتى يستطيع أن يموت فى جسد الخطية ويفتدى الذين هم مخطئون بالوراثة الطبيعية. (لولا التجسد أى لولا أن ابن الله صارا إنسانًا ذا جسد مثلنا لما استطاع أن يتألم بآلام تنتهى بالموت الفدائى، فالكلمة صار جسدًا ليستطيع عمل الفداء)[٣].

ذلك أن الخلاص يستلزم أن يكون الفادى إلهًا وإنسانًا لكى يشترك فى طبيعة الذين أتى ليفديهم ولكى يكون له سلطان فائق ليغلب على الخطية وجلال إلهى ليعطى شأنًا رفيعًا لطاعته وآلامه الكفارية[٤] فالمسيح المتجسد بلاهوته وناسوته وحده هو الذى يستطيع أن يقوم بالخلاص (فالتجسد هو أساس عمل الفداء، وشرط ضرورى لإتمام المسيح وظيفته باعتبار كونه فاديًا مخلصًا للجنس، وهو الواسطة العظمى لإتمام قصد الله فى الفداء، والمحور الذى تدور عليه المقاصد الإلهية فى خلاص البشر)[٥] فأهمية التجسد بالنسبة للخلاص المسيحى أنه هو الوسيلة الوحيدة للتكفير عن خطيئة آدم ولا وسيلة أخرى سواه.

لذلك يقول غريغوريوس اللاهوتى:

كنا محتاجين إلى إله متجسد لكى نعود إلى الحياة[٦].

---

(١) غلاطية ٤: ٤، ٥.

(٢) فهد حبيب: يسوع المسيح إنسانيته ولاهوته ص٣٠

(٣) مع المسيح فى آلامه حتى الصليب ص٢٦١.

(٤) علم اللاهوت النظامى ص٣١٥.

(٥) المرجع السابق ص٧٧٠.

(٦) راجع سر التدبير الإلهى ص٥٥.

والتجسد هو الوسيلة الوحيدة للتكفير عن الخطية لأن الكفارة كما يعتقد المسيحيون تستلزم ذبيحة دموية حقيقية، وهذه الذبيحة تستلزم جسدًا حقيقيًا تامًا، وهذا الجسد هو جسد ابن البشر، لأن الكفارة كانت تستلزم أن يكون فى هذه الجسد المقدم فدية عنا جسدا فوق الطبيعة البشرية لتكون له القيمة التى توفى مطالب العدل الإلهى كاملة ولتجتمع فيه الرحمة والعدل معًا.

ولهذا شاءت محبته تعالى أن يحل اللاهوت فى جسد ابن الإنسان لتكون الكفارة كفارة إلهية يستوفى بها العدل الإلهى جميع حقوقه كاملة، وهكذا اجتمع المسيح الإله والإنسان[١].

مناقشة عقيدة التجسد المسيحية

أولاً: إبطال دعوى ألوهية المسيح:

إن ادعاء النصارى بأن المسيح إله مردود من وجوه عدة.

أولاً: إن أقوى الأدلة على إبطال دعوى ألوهية المسيح هو أن المسيح لم يقل عن نفسه إنه إله أو ابن إله، ولم يدع أحد من حواريه هذه الدعوى، ولكن الذى أطلق عليه الألوهية ـ كما بينا ـ بولس، وهو ليس من تلاميذ المسيح ولكنه كان من ألد أعداء المسيحية. وفجأة وبدون مقدمات دخل المسيحية وأخذ يدعو الناس إلى أن المسيح ابن الله.

وإذا لم يقل المسيح عن نفسه إنه إله فلا يجوز لغيره ادعاء الألوهية له!!

ثانيًا: إن الأناجيل الحالية مليئة بالنصوص التى تثبت عبودية المسيح ورسالته وسنذكر بعضها ـ بإيجاز ـ للاستدلال على ذلك.

من هذه النصوص ما حكاه متى عن المسيح قبل القبض عليه ـ فى نظرهم ـ وهو يقول لتلاميذه.

(نفسى حزينة جدًا حتى الموت. امكثوا هنا واسهروا معى. ثم تقدم قليلاً وخرّ على وجهه وكان يصلى قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس. ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت)[٢].

---

(١) المسيحية فى الإسلام ص١٥٦.

(٢) متى ٢٦: ٣٨، ٣٩.

يقول عبد الله الترجمان: فهذا إقرار من المسيح بأنه آدمى عاجز يخاف نزول الموت عليه، وأن له إلهًا ناداه "بإلهى" وتضرع إليه، وزادوا هم أنه مع آدميته كان من الشاكين فى قدرة الله تعالى؛ حيث قال (إن أمكن صرف كأس المنية فاصرفها عنى) لأن هذا عين الشك فى قدرة الله تعالى. ولا يخلو المسيح من أن يكون قد علم أن الله لا يعجزه شىء فما معنى قوله (إن أمكن ذلك)؟ وإن كان علم أن الله لا يمكنه ذلك. فما معنى سؤاله والتضرع إليه؟

وحاشا روح الله ورسوله أن يشك فى قدرة الله تعالى بل كان عالمًا فى درجات اليقين بأن الله لا يعجزه شىء[١].

ولقد أوردنا ذلك لبيان أن المسيح إنسان تضرع إلى الله بأن يجيز عنه كأس الموت واعترف بأن الله فعال لما يريد.

وهذا يدل على إنسانيته وعبوديته لا ألوهيته.

ومن ذلك قول يوحنا حكاية عن المسيح (أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئًا. كما أسمع أدين ودينونتى عادلة لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى)[٢].

وهذا القول واضح فى الدلالة على أن المسيح عبد الله ورسوله.

ومن هذه النصوص أيضًا ما جاء فى إنجيل متى من أن المسيح قال.

"أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض"[٣].

فهل من يحمد الله ويشكره يقال له إله.

ويقول المسيح (أقول لكم إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية)[٤] يعترف المسيح بأنه رسول من عند الله وأن الإيمان يجب أن يكون إيمانًا بالله وحده لا شريك له.

---

(١) عبد الله الترجمان: تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ص٦٨.

(٢) يوحنا ٥: ٣٠.

(٣) متى ١١: ٢٥.

(٤) يوحنا ٥: ٢٤.

يقول د/ إبراهيم سلامة: نقول لهؤلاء المؤلهين لعيسى عليه السلام: هل ما تضمنته أناجيلكم من أقوال المسيح حق أم باطل؟ فإن قالوا إنه باطل فقد كفروا بالمسيح وإن قالوا إنه حق فقد اعترفوا بنبوة المسيح وعبوديته[١].

ثالثًا: إن الكتب المقدسة ناطقة بإبطال إدعاء الألوهية لغير الله، فإن أسفار العهد القديم ناطقة بأن الله واحد أزلى أبدى لا يموت قادر على ما يشاء ليس كمثله شىء لا فى الذات ولا فى الصفات برئ عن الجسم والشكل[٢] وهذه الأدلة كثيرة وسنذكر بعضها.

منها ما جاء فى سفر التثنية ما نصه (الرب هو الإله ليس آخر سواه)[٣] ومنها قول موسى "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد)[٤].

وقول داود (يا رب لا إله غيرك)[٥].

وقول إشعياء (أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض)[٦].

وقول نحميا (أنت هو الرب وحدك)[٧].

وفى سفر الملوك الأول (ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله وليس آخر)[٨].

وجاء فى سفر إشعياء قول الله (أنا الأول أنا الآخر ولا إله غيرى)[٩].

(أنا الرب وليس آخر سواى)[١٠].

---

(١) القرآن وعقائد أهل الكتاب (رسالة دكتوراة) ص٢٥٨.
(٢) إظهار الحق ص٣١٧.
(٣) تثنية ٤ : ٣٥.
(٤) تثنية ٦ : ٤.
(٥) أخبار الأيام الأول ١٧ : ٢٠.
(٦) إشعياء ٣٧ : ١٦.
(٧) نحميا ٩ : ٦.
(٨) ملوك أول ٨ : ٦٠.
(٩) إشعياء ٤٤ : ٦.
(١٠) إشعياء ٤٥ : ٥.

فهذه الفقرات تدل على أن الله واحد لا شريك له.

وكذلك أيضًا ما ورد فى أسفار العهد القديم من أن الله ليس كمثله شىء[١]

فإنه كثير جدًا نذكر منه قول موسى (ليس مثل الله)[٢].

وقول سليمان (أيها الرب إله إسرائيل لا إله مثلك فى السماء والأرض)[٣].

وقول داود (قد عظمت أيها الرب الإله لأنه ليس مثلك وليس إله غيرك)[٤].

وقد جاء صريحًا فى العهد الجديد أنه ليس لله شبه وصورة فى مواضع عديدة وأن رؤية الله فى الدنيا غير واقعة.

ففى إنجيل يوحنا (الله لم يره أحد قط)[٥].

وفى الرسالة الأولى إلى تيموثاوس (لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه)[٦].

وفى رسالة يوحنا الأول (الله لم ينظره أحد قط)[٧].

فثبت من هذه الفقرات أن من كان مرئيًا لا يكون إلهًا قط[٨].

وكذلك أيضًا فإن الكتب المقدسة توضح أن عبادة غير الله حرام، وحرمتها مذكورة بصراحة فى مواضع شتى من التوراة مثل الإصحاح العشرين، والرابع والثلاثين من سفر الخروج.

وقد جاء فى سفر التثنية (أنه لو دعا نبى أو من يدعى الإلهام فى المنام إلى عبادة غير الله يقتل هذا الداعى وإن كان ذا معجزات عظيمة، وكذا لو أغرى أحد من الأقرباء أو الأصدقاء إليها يرجم هذا المغرى ولا يرحم عليه)[٩].

---

(١) راجع كتاب د/ أحمد السقا (الله وصفاته فى اليهودية والنصرانية والإسلام ص١٤ ـ ٢٥).

(٢) تثنية ٣٣ : ٢٦.

(٣) أخبار الأيام الثانى ٦ : ١٤.

(٤) صموئيل الثانى ٧ : ٢٢.

(٥) يوحنا ١ : ١٨.

(٦) ١ تيموثاوس ٦ : ١٦.

(٧) ١ يوحنا ٤ : ١٢.

(٨) راجع إظهار الحق ص٣١٩.

(٩) تثنية ١٣ : ١ ـ ١١ نقلنا النص هنا بمعناه لطوله.

وأيضًا جاء فى سفر التثنية ما يدل على أنه لو ثبت على أحد عبادة غير الله فجزاؤه الرجم (إذا وجد فى وسطك فى أحد أبوابك التى يعطيك الرب إلهك رجل أو امرأة يفعل شرًا فى عينى الرب إلهك بتجاوز عهده ويذهب ويعبد آلهة أخرى ويسجد لها أو الشمس أو للقمر أو لكل من جند السماء. الشىء الذى لم أوص به. وأخبرت وسمعت وفحصت جيدًا وإذا الأمر صحيح أكيد قد عمل ذلك الرجس فى إسرائيل فأخرج ذلك الرجل أو تلك المرأة الذى فعل ذلك الأمر الشرير إلى أبوابك الرجل أو المرأة وارجمه بالحجارة حتى يموت)[1].

وهذه الأدلة تتبين أن عبادة غير الله حرام وأن من فعل ذلك يرجم على رؤوس الأشهاد.

رابعًا: إن العقل يبطل ما يدعيه النصارى من ألوهية المسيح، ويتبين ذلك مما يأتى:

إن من صفات الإله وجوب الوجود لذاته وذلك يستلزم ألا يكون جسمًا ولا متحيزًا ولا عرضًا ويوجب له القدم والبقاء وسائر صفات الكمال، وعيسى عليه السلام لم يكن كذلك، بل كان عبارة عن شخص بشرى جسمانى وجد بعد أن لم يكن، وكان طفلاً ثم صار مترعرعًا ثم شابًا، يأكل ويشرب ويحدث وينام ويستيقظ فهو إذاً محدث محتاج، وقد تقرر فى بداهة العقول أن المحدث لا يكون قديمًا، والمحتاج لا يكون غنيًا، والممكن لا يكون واجبًا، والمتغير لا يكون دائمًا، فكيف يكون عيسى إلها[2].

فلقد ثبت أن عيسى ولد وصار طفلاً، وكان يأكل ويشرب، أى يحتاج إلى الطعام والشراب، فلو كان إلهًا لما كان محدثًا، ولو كان إلهًا لما احتاج إلى الطعام والشراب وغير ذلك من الأمور التى تدل على الحدوث والاحتياج!!

---

(١) تثنية ١٧ : ٢ ـ ٥.

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق ص٣٦٨.

وكذلك يبطل دعوى ألوهية المسيح "ما ثبت فى الأناجيل من أن عيسى عليه السلام كان عظيم الرغبة فى العبادة والطاعة لله تعالى، فلو كان إلهًا لاستحال ذلك، لأن الإله لا يعبد نفسه"(١).

ثم إن القول بألوهيته يستلزم أن يكون خالقًا لأمه مريم، وأن تكون مريم قد ولدت خالقها، وهو ما لا يقول به عاقل، لأنه يستلزم أن يكون المخلوق سابقًا لخالقه والخالق متأخر عن مخلوقه(٢).

وعلى ذلك فإن دعوى الألوهية باطل بالنقل والعقل.

ميلاد المسيح من عذراء لا يدل على الألوهية:

أما ما تمسك به النصارى للدلالة على ألوهية المسيح فهو استدلال فاسد، ذلك أن ميلاد المسيح من عذراء لا يدل على ألوهيته فإن حالات الخلق من امرأة ورجل، أو من رجل، أو من امرأة، إنما هى حالات خلق لله دالة على القدرة الإلهية لا أكثر ولا أقل (فهذا الميلاد العذراوى لعيسى رغم إعجازه وأهميته فلا يقاس بشىء من جانب القدرة الإلهية، ولا يرفع عيسى عن مرتبة الآدميين، ذلك أن خلق عيسى من أنثى دون ذكر إنما هو إتمام لدورة القدرة الإلهية فى خلق الإنسان، إن آدم عليه السلام خلق من العدم دون ذكر ولا أنثى ،وحواء ـ كما تقولون ـ خلقت من ذكر دون أنثى، والإنسان العادى خلق من ذكر وأنثى، ثم تمت دورة القدرة الإلهية بخلق عيسى الإنسان من أنثى دون ذكر، فهذه صور ميلاد البشر، وكل صورة منها تناظر الأخرى فى الدلالة على الخالق العظيم ليس منها ما هو هين وما هو صعب فى جانب الله)(٣).

وعليه فإن من استدل على ألوهية المسيح بأنه خلق من غير أب يلزمه أن يعترف لآدم بالألوهية(٤).

---

(١) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص٢٥٥.

(٢) المرجع السابق ،نفس الصفحة.

(٣) المسيح إنسان أم إله ص١٨٥.

(٤) وكذلك ملكى صادق الذى تقول عنه الكتب المقدسة (إنه بلا أب بلا أم بلا نسب لابداءة أيام له ولا نهاية حياة) عبرانيين ٧: ٣، وانظر تكوين ١٤: ١٨ ، ١٩ فملكى صادق الذى ولد بلا أب وبلا أم وبلا نسب وبلا بداءة أيام ولا نهاية حياة أولى بالألوهية من المسيح إذا كان مقياسها الولاده من أم بدون أب.

فإنه لم يخلق من نطفة أب، بل إنما خلق من تربة أرض ثم نفخ فيه من روحه، كما فعل بعيسى خلقه من نفخة الملك فعلقت بلحمة مريم فنشأ منها وفيها، فترابه بمنزلة لحمه ونفخه بمثابة نفخه وهذا ما لا مخلص منه ولا خروج عنه، بل لو أمكن لأحد أن يقول: إن بشرًا يتصور أن يكون إلهًا لكونه من غير أب لكان آدم أولى بذلك من حيث إنه لم تشتمل عليه أوضار الرحم، فقد شارك المسيح فى كونه من غير أب وزاد عليه من غير أم، لم يتكون فى ظلمة الرحم، ولم يتلطخ بدم الطمث، ولا خرج من مجرى البول.

هذا مع الاعتراف بأن ذلك كذلك ولم يختلف فى ذلك أحد، أعنى فى أن آدم مكون مخلوق من غير أبوين. وقد خالفتكم اليهود ـ لعنهم الله ـ فى كون إلهكم من غير أب وأطلقت على مريم البتول المبرأة من عند الله مما قالوا[1].

فإذا كانت ولادة عيسى من امرأة بدون رجل سببًا فى دعوى الألوهية فإن آدم وحواء أولى بذلك من عيسى بن مريم حيث إن خلقهما أبدع وأعظم حيث إنهما بدون رجل وامرأة وحيث إنهما لم تمسسهما أوساخ الرحم وأقذاره.

فولادة المسيح من عذراء لا تدل على ألوهيته بل تدل على قدرة الله سبحانه وتعالى، وإلا لكان آدم إلهًا، وهو ما لا يدعيه أحد.

الفهم الصحيح لمعجزات المسيح:

كذلك أيضًا فإن معجزات المسيح لا تدل على الألوهية، ذلك أن معجزات المسيح لا تختلف عن معجزات الأنبياء السابقين، حيث إنها تدل على صدق الرسالة.

ويهمنا أولاً وقبل كل شىء أن نتساءل: هل كان عيسى يعزو هذه المعجزات إلى نفسه أو إلى غيره؟ هل كان ينسب فضل الآيات إلى ذاته زاعمًا أنه صاحبها

---

(١) القرطبى: الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ص١٣٧ راجع فى ذلك أيضًا هداية الحيارى ص٢٧٨، رسالة الجاحظ فى الرد على النصرانية ص٢٥.

ومصدرها؟ أو أنه كان مجرد أداة سخرها آخر لإظهار هذه المعجزات!! ومن هو هذا الآخر الذى سخر عيسى وأيده بتلك المعجزات؟[١]

والجواب: **أولاً**: إن المسيح يعلن بلسانه عدم القدرة الذاتيةُ على فعل المعجزات فيقول (أنا لا أقدر أن أفعل من نفس شيئًا كما أسمع أدين ودينونتى عادلة لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى)[٢]، معنى ذلك أن المسيح لا ينسب إلى نفسه قدرة شخصية على فعل المعجزات، وإنما ينسبها إلى الله الذى أرسله، بل ويطلب مشيئة الله الذى أرسله وأجرى على يديه بعض المعجزات، وإذا كان الأمر كذلك فلا فرق بينه وبين الأنبياء الآخرين الذين كانوا يفعلون المعجزات بإذن الله.

ثانيًا: لم يكن المسيح يرى المعجزات إلا بالدعاء[٣]، حيث إننا نرى المسيح يتوجه إلى الله بالصلاة والدعاء قبل طلب المعجزة، والحمد والشكر بعد إعطائه المعجزة. ويدل على ذلك ما روى فى إنجيلى متى ولوقا من أن المسيح بعد أن أعطى تلاميذه سلطانًا ليدسوا الحيات والعقارب وليشفوا المرضى فى تلك الساعة (تهلل يسوع وقال أحمدك أيها الرب رب السماء والأرض)[٤]. **فالمسيح هنا يتجه بالحمد والشكر لله الذى ييسر له إعطاء النعمة، فلو كان المسيح هو الله فلمن يتجه بالحمد والشكر؟ وإذا كان المسيح إلهًا وأنه يفعل كل ما يفعله بقوته الإلهية، فلمن يشكر ويحمد إذا كانت هذه قوته؟.**

ولقد روت الأناجيل أن المسيح كان يصلى قبل طلب المعجزة، من ذلك ما روى فى إنجيل لوقا (وفيما هو يصلى على انفراد كان التلاميذ معه)[٥].

"أما هو فكان يعتزل فى البرارى ويصلى"[٦].

---

(١) المسيح إنسان أم إله ص ٦٨.
(٢) يوحنا ٥ : ٣٠.
(٣) البرهان الصحيح فى إبطال ألوهية المسيح ص٥٤.
(٤) متى ١١ : ٢٥، لوقا ١٠ : ٢١.
(٥) لوقا ٩ : ١٨.
(٦) لوقا ٥ : ١٦.

"وفى الصبح باكرًا جدًا قام وخرج ومضى إلى موضع خلاء وكان يصلى هناك"[١].

"وأخذ بطرس ويوحنا ويعقوب وصعد إلى الجبل ليصلى"[٢].

"وفى تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلى"[٣].

فلمن يصلى؟ ولماذا يصلى إذا كان هو متصف بالألوهية؟

هذا ما كان فى حياة المسيح العامة قبل المعجزة وبعدها الصلاة والدعاة والحمد والشكر لله سبحانه وتعالى.

وهذا يدل على أن معجزات المسيح لا تدل علي ألوهيته[٤] لأنه يفعلها بعد الصلاة والطلب من الله سبحانه...

ويدل أيضا على أن مصدر المعجزة هو الله سبحانه وتعالى الذى يتفضل على رسله بالخوارق الدالة على صدق رسالتهم.

ثالثًا: وهو مترتب على سابقه: أنه يظهر من إجراء عيسى بن مريم للمعجزات أنها ليست مقصودة لذاتها، بل يقصد منها اهتداء الناس إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

عرف عيسى أن هذه المعجزات التى سخرها الله لأدائها ليست مقصودة لذاتها بل لدفع الناس إلى الإيمان بالرسالة، فهى ليست غاية فى ذاتها وإنما وسيلة لحمل الناس على التصديق، ورغم ضرورتها فى بعض الظروف والأوقات فإنها ليست الوسيلة المثلى لإقناع الناس بصحة الرسالة، وليست الطريقة المستحبة لإرشاد الناس إلى طريق الله.

عرف عيسى هذه الحقائق وكان يأمل فى إرشاد الناس إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة دون إرهاب أو تخويف، لذلك لم يلجأ إلى تلك الوسائل إلا

---

(١) مرقس ١: ٣٥.

(٢) لوقا ٩: ٢٨.

(٣) لوقا ٦: ١٢.

(٤) راجع روايات الأناجيل لمعجزات المسيح والتى ذكرنا بعضها فيما سبق.

مضطرًا كارهًا وبعد إلحاح من الناس عليه وإصرارهم عليها، فهو يبدأ فى إلقاء العظات على الناس شارحًا لهم جمال الطاعة ومغبة المعصية مبينًا لهم طريق الحق والصدق، فإذا استمع الناس وتنبهت عقولهم فرح عيسى وانشرح وأما إذا وجد أمامه قومًا عميت أبصارهم ولا يؤمنون إلا بالخوارق والأعاجيب فلا مفر من الإتيان بمعجزة تنبه هؤلاء. يحدثنا يوحنا أن خادمًا للملك كان ابنه مريضًا فأتى إلى عيسى وطلب منه أن يذهب إلى بيته ويشفى ابنه، وتبرم عيسى من طلب الرجل وضاق بأن تكون كل مهمته فى الحياة تطبيب الناس وشفاء الأمراض (فقال لهم يسوع لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب) ولكن الرجل ازداد إلحاحًا ورجاء مما اضطر عيسى إلى الذهاب معه وشفاه ابنه، وهنا فقط آمن الرجل وأهل بيته برسالة عيسى[١،٢].

وهذا يدل على أن المعجزة ليست مقصودة لذاتها بل لدعوة الناس إلى الإيمان بالله، فإذا تم ذلك بالموعظة الحسنة فلا داعى للمعجزة، أما إذا وجد ضرورة للمعجزة حتى يؤمن القوم فإنه يفعلها رغبة فى إيمانهم، فالخوارق يقصد منها اهتداء الناس إلى الإيمان بالله عز وجل، وعليه فلا دلالة فى معجزات المسيح على الألوهية ولا فرق بينها وبين معجزات الأنبياء السابقين من حيث الغاية والهدف.

رابعًا: حرص المسيح على إخفاء المعجزات حتى لا تشغلهم عن الغاية منها.

قلنا إن عيسى بن مريم كان يضيق من الذين يطلبون منه المعجزة وذلك لأنها ليست مقصودة لذاتها. وهنا نقول إن المسيح حين كان يستجيب بعد إلحاح لإجراء بعض المعجزات فإنه كان يوصى دائمًا بإبقائها فى طىّ الكتمان، وذلك للتأكيد على أنها ليست مقصود لذاتها.

ففى الأناجيل أن رجلاً أبرص جاء إلى عيسى وطلب أن يشفيه بعد أن طهره المسيح قال له (انظر لا تقل لأحد شيئًا)[٣].

---

(١) يوحنا ٤: ٤٦ ـ ٥٣.

(٢) المسيح إنسان أم إله ص ٧٦ ـ ٧٨.

(٣) متى ٨: ٤، مرقس ١: ٤٤، لوقا ٥: ١٤.

وعندما شفى المسيح أعميين قابلهما فى الطريق أمرهما أيضًا ألا يقولا لأحد (فانتهرهما يسوع قائلاً انظرا لا يعلم أحد)[١].

ويقول لآخر بعد أن أبرأه (لا تدخل القرية ولا تقل لأحد فى القرية)[٢].

فى هذه الحوادث وأمثالها التى تتكرر فى الأناجيل نرى مدى حرص عيسى على أن تظل معجزاته فى طى الكتمان لا يعلمها أحد، ولا يدرى بها أحد.

وهذا الاتجاه يدعونا إلى التأمل، لماذا كان يحرص عيسى على إخفاء المعجزات وإبقائها فى طى الكتمان. وعلى ألا يفعلها وسط الجموع أو بين الجماهير؟

إن رغبة عيسى فى عدم إعلان معجزاته، وعدم الدعاية لها والتهويل فيها، راجع إلى رغبته فى ألا تشغل المعجزات الناس عن جوهر الدين والرسالة، وفى ألا تكون محور اهتمام الجموع، فيتركون الشريعة والجوهر ويهتمون بالأشكال والأعراض وتصبح الخوارق شغلهم الشاغل، وينسون شريعة الله وناموسه)[٣].

إن عيسى عليه السلام أخفى المعجزات فى بعض الأحيان حرصًا منه على أن يهتم الناس بجوهر الرسالة وهو الإيمان بالله عز وجل. وعليه فلا دلالة فى معجزات المسيح على الألوهية، ولا فرق بينها وبين معجزات الأنبياء السابقين.

خامسًا: إذا كانت معجزات عيسى بن مريم لا تختلف عن معجزات الأنبياء السابقين من حيث أسلوب طلبها، ومن حيث الغاية والهدف، فإنها لا تدل على ألوهية المسيح ،وإلا لكان جميع الأنبياء آلهة، وهو ما لا يقول به عاقل، وكان يكفى هذا. ولكن نزيد فنقول هل اختص عيسى بنوع من المعجزات لم يفعلها غيره حتى تكون مثار أفضلية وتكون سببًا لجعله إلها؟

الحق: لا. ذلك أننا لو اعتبرنا أن أعظم معجزات المسيح إحياء الموتى فإن الكتب المقدسة تبين أنه لم يختص وحده بإحياء الموتى.

---

(١) متى ٩: ٣٠.

(٢) مرقس ٨: ٢٢ ـ ٢٦.

(٣) المسيح إنسان أم إله ص ٨٠ ـ ٨٢ بتصرف..

فقد أحيا حزقيال[١] جيشًا عظيمًا جدًا بإذن الله، وردّ الحياة إلى آلاف الراقدين، وبعثهم من قبورهم بعد أن طال رقادهم، وتحللت أجسادهم، وإذا نظرنا إلى معجزة "حزقيال" بالمقياس البشرى فإننا نرى أنها تفوق كل معجزات عيسى حيث إن عدد الذين أحياهم حزقيال يفوق عدد الذين أحياهم عيسى، إنه ـ أى حزقيال ـ أحيا آلاف الراقدين، بينما نجد الذين أحياهم عيسى لا يتعدى أربعة أشخاص، هذه واحدة.

أما الأخرى فإن حزقيال أحيا الراقدين بعد أن تحللت أجسادهم وأصبحوا ترابًا وعظامًا، أى بعد أن طال عليهم الزمن فى القبور، وتوالت عليهم السنون حتى تحللت أجسادهم وتناثرت عظامهم. ولكن نبى الله حزقيال تمكن بقدرة الله أن يجمع عظام كل شخص منه على حدة ويعيد إليه الحياة، بينما كانت معجزات عيسى فى إحياء الموتى عبارة عن إحياء الميت الذى لازالت أعضاؤه وعظامه كما هى.

فالمسيح لم يختص وحده بإحياء الموتى فحزقيال أحيا جيشًا عظيمًا بفضل الله، ورغم ذلك لم يقل أحد عنه إنه إله.

وكذلك أيضًا أحيا (إيليا)[٢] و(اليشع)[٣] بعض الأموات.

فلا خصوصية للمسيح فى إحياء الموتى، وكذلك أيضًا لا خصوصية له فى المعجزات الأخرى التى فعلها[٤] مما يدل على أنها لا تدل على الألوهية، وإلا لأصبح هؤلاء الأنبياء جميعًا آلهة وهو مالم يقل به أحد.

والقول الصحيح إن هذه المعجزات التى أيد الله بها رسله إنما تدل على أنهم رسل من عند الله رب العالمين، فهى دليل صدق لدعوى النبوة والرسالة.

---

(١) راجع حزقيال ٣٧: ١ ـ ١٠.

(٢) راجع ملوك أول ١٧: ٢١ ـ ٢٢.

(٣) الملوك الثانى ٤: ٣٢ ـ ٣٥ راجع فى ذلك، الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ص١٣٥، تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ص٨٤، هداية الحيارى ص٢٧٨، الرد الجميل ص٢٣٩، المسيح إنسان أم إله ص١٠٣.

(٤) إظهار الحق ص٣٣٦.

إبطال ما ذهب إليه النصارى من اتحاد اللاهوت بالناسوت

أما ما ذهب إليه النصارى من أن التجسد كان عن طريق الاتحاد فإنما هو قول متناقض وباطل وذلك من وجوه:

أولاً: إن القول باتحاد اللاهوت بالناسوت باطل صريح لأنه يستلزم انقلاب القديم بالحادث والمجرد بالمادى[١].

يقول الإمام الألوسى:

إنه لو اتحد اللاهوت القديم بالناسوت الحادث للزم حدوث القديم، أو قدم الحادث، أو إبقاء كل على طبيعته، ومحال أن ينقلب القديم حادثًا أو الحادث قديمًا، لاستحالة انقلاب الطبائع والحقائق، ولما يلزمه من كون الشىء الواحد قديمًا حادثًا فى وقت واحد وهو باطل، فلم يبق إذا: إلا بقاء كل واحد على طبيعته وعلى ذلك فلا اتحاد أصلا وعليه فلا يكون المسيح إلهًا ولا أقنومًا فى الإله ـ كما زعموا ـ لعدم تحقق هذه الاتحاد[٢].

ثانيًا: إن قول القائلين بأن فى المسيح طبيعة واحدة وذلك عن طريق الاتحاد باطل أيضًا ذلك:ـ

أنه إن كان كل واحد من اللاهوت والناسوت على حالة لم ينفصل عما كان عليه فهما اثنان لا واحد.

وإن كان كل واحد منهما قد أبطل الآخر فقد أقروا ببطلان الإله، ولزمهم أن يكون المسيح لا قديمًا ولا محدثًا، ولا إلهًا ولا غير إله، إذ خرج كل منهما عما كان عليه[٣].

يقول رحمت الله الهندى: الاتحاد بين الجوهر اللاهوتى والناسوتى إذا كان حقيقيًا لكان أقنوم الابن محدودًا متناهيًا، وكل ما كان كذلك كان اختصاصه بالمقدار المعين لتخصيص مخصص وتقدير مقدر، وكل ما كان كذلك فهو محدث، فيلزم أن يكون أقنوم الابن محدثًا، ويستلزم حدوثه حدوث الله[٤].

---

(١) راجع المراجع التى أشرنا إليها فى الهامشين السابقين.
(٢) تفسير الألوسى جـ٦ ص٣٠.
(٣) سعد بن كمونه: تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ص٥٦.
(٤) إظهار الحق ص٣٣٦.

ثالثًا: ويقال لهم وللقائلين بالطبيعتين أيضًا: إن الاتحاد باطل، لأن الشيئين إذا اتحدا فهما حال الاتحاد إما: أن يكونا موجودين، أو معدومين، أو يكون أحدهما موجودًا والآخر معدومًا، فإن كانا موجودين فهما اثنان لا واحد فالاتحاد باطل، وإن عدما وحصل ثالث فهو أيضًا لا يكون اتحادا بل يكون قولاً بعدم ذلك الشيئين وحصول شيء ثالث، وإن بقى أحدهما وعدم الآخر فالمعدوم يستحيل أن يتحد بالوجود، لأنه يستحيل أن يقال المعدوم بعينه هو الموجود، فظهر من هذا البرهان أن الاتحاد محال[١].

رابعًا: يقال للقائلين بأن فى المسيح جوهرين أو طبيعتين أنهما إن كانا قديمين فقد أثبتم قديمًا رابعًا ـ أى بجانب الثالوث ـ هو ناسوت المسيح، وإن كانا محدثين كنتم قد قلتم بحدوث الابن الذى تزعمون أنه أزلى، وعبدتم ما ليس بإله، لأنكم تعبدون المسيح وهو على هذا القول جوهران محدثان، وإن كان أحدهما قديمًا والآخر محدثًا كنتم قد عبدتم القديم والمحدث، إذ المسيح الذى تعبدونه مجموعهما ومجموع القديم المحدث من حيث هو هذا المجموع فهو محدث، فيكون قد عبدتم المحدث من حيث هو محدث لا يستحق العبادة، فيجب أن تتمخض العبادة للقديم ولا يبقى للمحدث فى ذلك مدخل، فلا يكون قد عبدتم المجموع لو أخرجتم المحدث عن أن يكون له مدخل فى العبادة، وحينئذ يثبت أن المسيح الذى هو عبارة عن مجموع الأمرين غير مستحق للعبادة، وهو خلاف معتقدكم[٢].

خامسًا: إن النصارى قالوا إن هذا الاتحاد بدون امتزاج ولا اختلاط ولا تغير ولا استحالة، وهذا القول مناقض لما جاء فى إنجيل يوحنا (الكلمة صار جسدًا وحل بيننا) [٣] وهذا القول يقتضى أن الكلمة صارت جسدًا وجسمًا بالإنسان المخلوق، وذلك يقتضى انقلابها جسدًا أو جسمًا، وهذا يقتضى استحالتها وتغيرها وهم قالوا اتحادًا برّيًا من تغير واستحالة[٤].

---

(١) مفاتيح الغيب جـ ٢١ ص٢١١.

(٢) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ص٥٦ ـ ٥٧.

(٣) يوحنا ١ : ١٤.

(٤) ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٢٦٧.

سادسًا: إن قولهم اتحدت الكلمة به اتحادًا برّيًا من اختلاط أو تغير أو استحالة كلام متناقض أيضًا، فإن الاتحاد أن يصير الاثنان واحدًا فيقال قبل الاتحاد كان اللاهوت جوهرًا والناسوت جوهرا آخر.

وإن شئت قلت: كان هذا شيئًا وهذا شيئًا، أو هذا عينًا قائمة بنفسها وهذا عينًا قائمة بنفسها، فبعد الاتحاد إما: أن يكونا اثنين كما كانا، أو صار الاثنان واحدًا. فإن كانا اثنين كما كانا فلا اتحاد، بل هما متعددان كما كانا متعددين،

وإن كانا قد صارا شيئًا واحدًا فإن كان هذا الواحد هو أحدهما فالآخر قد عدم، وهذا عدم لأحدهما فلا اتحاد وإن كان هذا الذى صار واحدًا ليس هو أحدهما فلابد من تغييرها واستحالتهما، وإلا فلو كانا بعد الاتحاد اثنين باقيين بصفاتهما لم يكن هناك اتحاد.

فإذا قيل: اتحاد برّيًا من اختلاط وتغير أو استحالة كان هذا كلامًا متناقضًا ينقض بعضه بعضًا، فإن هذا إنما يكون مع التعدد والمباينة لا مع اتحاد، يوضح ذلك أنه إذا اتحد الماء واللبن والماء والخمر ونحو ذلك كان الحاصل من اتحادهما شيئًا ثالثًا ليس ماء محضا ولا لبنًا محضا بل هو نوع ثالث، وكل من الماء واللبن قد استحال وتغير واختلط، وأما اتحاد بدون ذلك فغير معقول[1].

سابعًا: إنهم إن قالوا إن هذا الاتحاد عن طريق الحلول فهو باطل أيضًا، لأنه إما: أن يكون شخص المسيح هو الإله، أو يكون الإله بكليته قد حل فى المسيح، أو حل بعض الإله وجزء منه فيه.

والأقسام الثلاثة باطلة.

أما الأول فمحال لأنه بإعدام المسيح ينعدم الله، ذلك أنه لو كان إله العالم هو ذلك الجسم فحين قتله اليهود كان ذلك قولاً بأن اليهود قتلوا إله العالم، فكيف بقى العالم بعد ذلك من غير إله؟ ثم إن أشد الناس ذلاً ودناءة هم اليهود فالإله الذى يقتله اليهود إله فى غاية العجز.

---

(١) نفس المرجع، نفس الصفحة.

وأما الثانى وهو أن الإله بكليته حل فى هذا الجسم **فهو** أيضًا فاسد ومحال، لأن الله ليس جسمًا ولا عرضًا، ذلك أن الله إن لم يكن جسمًا ولا عرضًا امتنع حلوله فى الجسم، وإن كان جسمًا فحينئذ يكون حلوله فى جسم آخر عبارة عن اختلاط أجزائه بأجزاء ذلك الجسم وذلك يوجب وقوع التفرقة فى أجزاء ذلك الإله.

وإن كان عرضًا كان محتاجًا إلى المحل وكان الإله محتاجًا إلى غيره وكل ذلك سخيف وباطل.

وأما الثالث: وهو أنه حل فيه بعض من أبعاض الإله وجزء من أجزائه **فذلك** أيضًا محال، لأن ذلك الجزء إن كان معتبرًا فى الإلهية فعند انفصاله عن الإله وجب أن لا يبقى الإله إلهًا، وإن لم يكن معتبرًا فى تحقيق الإلهية لم يكن جزءًا من الإله[1].

ثامنًا: أنه لا معنى للقول بأن المسيح إله تام كامل وإنسان تام كامل ليس أحدهما غير الآخر، إذ لو كان الأمر كذلك لكان الله تعالى إنسانًا ولأصبح كل فرد منا إلهًا وهو كذلك محال.

يقول الجاحظ: يقال لهم هل يخلو المسيح من أن يكون إنسانًا بلا إله؟، أو إلهًا بلا إنسان؟ أو يكون إلهًا وإنسانًا؟

فإن زعموا أنه كان إلهًا بلا إنسان قلنا لهم: فهل هو الذى كان صغيرًا فشب والتحى ـ ظهرت لحيته ـ والذى كان يأكل ويشرب وينجو ويبول وقتل بزعمكم وصلب وولدته مريم وأرضعته، أم غيره هو الذى كان يأكل ويشرب على ما وصفنا؟ فأى شىء معنى الإنسان إلا ما وصفنا وعددنا؟

وكيف يكون إلهًا بلا إنسان وهو الموصوف بجميع صفات الإنسان.

وليس القول فى غيره ممن صفته كصفته إلا كالقول فيه كاشتمالها على غيره!!

---

(١) راجع فى ذلك (المسيح والتثليث) د/ محمد وصفى ص١٠٧، (أقانيم النصارى) د/ السقا ص٧٦.

وإن زعموا أنه لم ينقلب عن الإنسانية ولم يتحول عن جوهر البشرية، ولكن لما كان اللاهوت فيه صار خالقًا وسمى إلهًا.

قلنا لهم: خبرونا عن اللاهوت: أكان فيه وفى غيره، أم كان فيه دون غيره؟

فإن زعموا أنه كان فيه وفى غيره فليس هو أولى بأن يكون خالقًا ويتسمى إلهًا من غيره، وإن كان فيه دون غيره فقد صار اللاهوت جسمًا[١].

والله سبحانه وتعالى ليس جسمًا فكلامهم فى هذا محال وغير معقول.

تاسعًا: إن قوانين العقل البشرى ترفض رفضًا باتًا اتحاد الإله بعيسى وظهوره فى صورته، فقانون الذاتية يحدد لكل موجود ذاتيته الخاصة التى لا يمكن أن تختلط بغيرها أو تتحد مع ذاتية أخرى، ولكن هؤلاء يهدمون هذا القانون ويدعون أن ذاتية الإله قد اتحدت مع عيسى وظهرا فى صورة واحدة وهو خروج عن مبادئ العقل وقوانينه، ولعل هذا هو الذى دعا أحد العلماء إلى أن يقول (لولا أننا نرى بأعيننا أناسا يقرون هذه العقيدة ويدينون بها ما صدقنا أن العقول البشرية تقبل عقيدة كهذه) [٢] والحق أن استحاله فهم هذه العقيدة هى التى جعلتهم يقولون إن هذه العقيدة تعلو عن أفكارنا ولا نستطيع فهمهما.

يقول القس وهيب عطا الله (إن التجسد قضية فيها تناقض مع العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية، ولكنا نصدق ونؤمن أن هذا ممكن ولو لم يكن معقولاً) [٣].

ويقول القس إنسطاسى شفيق (غير أننا نقبل حقيقة التجسد بموجب الإعلانات الصريحة[٤] ولا يجوز لنا أن نبحث فيها عقليًا ولا نثبتها ولا ندافع عنها بالأدلة والبراهين البشرية، لأنها تعلو عن أفكارنا بقدر مالا يوصف وإنما نقبلها بالإيمان) [٥].

---

(١) رسالة الجاحظ فى الرد على النصرانية. إحدى ملحقات كتاب (الفكر الدينى الجاهلى ص٣٦٨).

(٢) د/ سعد الدين صالح (مشكلات العقيدة النصرانية ص٨٦).

(٣) طبيعة السيد المسيح ص١٨.

(٤) ولكن لا توجد إعلانات صريحة تستدعى التمسك بشئ يتناقض مع العقل والمنطق.

(٥) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص٤١.

ويقول (إن التجسد من الأفعال الإلهية التى من الضرورة تفوق عقولنا)[١].

(وكثيرًا ما ينعت القديس كيرلس التجسد الإلهى بأنه.

- فائق الوصف.
- سرى بصفة مطلقة.
- لا ينطق به.
- يفوق العقل.
- سرى وفائق للعقل)[٢].

ويقول (إن كيفية الاتحاد عميقة حقاً وفائقة الوصف، وفائقة لمداركنا، فمن الجهالة التامة أن نخضع للبحث العقلى ما يفوق العقل، وأن نحاول أن ندرك بعقولنا الذى لا يدرك بالعقل. ألست تعلم أن ذلك السر العميق ينبغى أن يعبد بإيمان بلا فحص)[٣].

ويقول (هذا سر لا يستطيع فكر الإنسان أن يسبرغوره ولا أى لسان أن يعبر عنه ولكنه جدير بأن يعبد فى صمت وإيمان[٤].

والحق أن الأمر يدعو إلى الحيرة!! فإذا كان رجال الدين أنفسهم قد عجزوا عن فهم عقائدهم فمن يا ترى يستطيع فهمهما؟

وإذا لم يستطع الإنسان إدراك وفهم عقيدته الدينية بعقله وفهمه، فبماذا يمكنه أن يدركها؟ إن العقائد الدينية يجب أن تكون بسيطة ومفهومة حتى يتمكن الناس من الإيمان بها والسير على نهجها، فالإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل، وكيف تقر فى القلب عقيدة لم يستسغها العقل ويقبلها الفهم؟

مناقشة أسباب التجسد فى المسيحية

لقد تبين مما سبق بطلان عقيدة التجسد المسيحية وبطلانها يبطل ما يترتب عليها من كون هذا التجسد من أجل إعلان الله عن ذاته أو من أجل خلاص البشر من

---

(١) الفداء فى إنجيل لوقا ص١٩٠.
(٢) التجسد الإلهى للقديس كيرلس الكبير ص٢٠.
(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٤) المرجع السابق ص ٢١.

الخطايا. وكان يكفى هذا فى رد أسباب التجسد ولكن لعظم خطر هذه الأسباب سنناقشها ونبين ما فيها:

أولاً: نبدأ بمناقشة تعليل التجسد بأنه من أجل إعلان الله عن ذاته فنقول:

إن هذا التعليل غير مقبول وذلك لأنه يقلل من شأن الله سبحانه وتعالى ولا يتفق مع جلال وعظمة ألوهيته سبحانه وتعالى، إن هذا التعليل يعنى أن الله من أجل أن يعلن عن ذاته ظهر فى صورة جسدية ولاشك أن ظهور الإله بصورة جسدية فيه من المهانة والتحقير لهذا الإله، لأنه يعنى أنه يفعل من المحقرات الجسدية التى يجب أن ينزه الإله عنها من التبول والتغوط إلى غير ذلك من الأمور التى يجب أن ننزه الله سبحانه وتعالى عنها هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذا التعليل لا يخدم قضية الألوهية بحال من الأحوال.

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب (إنه لو كان المسيح إلهًا حقًا لكان ظهور الله فى تلك الصورة البشرية داعية إلى التشويش على التفكير الإنسانى فى سبيل التعرف على الله... إذ أن الله بظهوره فى تلك الصورة المجسدة قد أعلن عن ذاته وكشف للناس عن وجهه وصار قريبًا مدانيًا لهم بعد أن ظل دهورًا طويلة محجبًا عنهم فى بهائه وجلاله لا تناله الأبصار ولا تحتويه العقول!!

فهذا الإعلان فى الواقع ـ فوق أنه داعية لشرود العقل وتشتت الفكر فى ذات الله، هو إعلان يقلل من شأن الله وينقص قدره ويذهب بالكثير من جلاله وعظمته وما تتلقى النفوس من مشاعر الولاء والخضوع لله الكبير المتعال حين تنظر إليه من وراء الحجاب، فالنفس البشرية طلعة تتوقد أشواقها إلى المجهول وتتحرك نزعاتها إلى عالم الغيب فإذا انكشف لها المجهول أو ظهر لها ما وراء الغيب سكنت نزعاتها وبردت أشواقها نحو هذا الشىء الذى كانت تسعى إليه وتجدّ فى البحث عنه... ولو ظهر الله للناس عيانًا ـ على يقين استحالته ـ لسقطت هيبته من النفوس بعد حين ولجاء اليوم الذى يصبح "الله" وهو يغدو ويروح بين الناس كواحد من الناس[1].

فالتجسد من أجل إعلان الله عن ذاته لا يخدم قضية الألوهية بل يقلل من هيبة الإله الذى أصبح كواحد من الناس لا فرق بينه وبينهم.

---

(١) المسيح فى التوراة والإنجيل والقرآن ص١٦٨.

على أنه كيف يتصور أن يقبل الناس أن يكون الإله بينهم كواحد منهم؟

ذلك أن الناس تعجبوا فى القديم :ـ كيف يكون رسول الله إنسانًا أو بشرًا[1] ؟ إن الناس يتصورون أن يكون رسل الله على هيئة غير هيئة البشر، أى أعلى منهم فى مرتبة الطهر والنقاء.

إن الناس لم يقبلوا أن يكون رسول الله بشرًا، فكيف يتصور بعد ذلك أن يقبلوا أن يكون الله ذاته بينهم؟ إن الناس يتصورون أن جلال الألوهية فى مرتبة لا يستطيع أن يدنو منها إنسان أو يقارب حماها حتى ولو كان هذا الإنسان رسوله، فكيف يتصور أن يقبلوا أن الله ذاته بينهم يغدو ويروح إلى غير ذلك من الأمور البشرية؟

فهذا الإعلان لا يمكن أن يتم حيث يظل الشك واللبس قائمًا، يقول سبحانه فى الرد على هؤلاء الذين يريدون أن يكون الرسل ملائكة ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ سورة الأنعام آية ٩.

ويلزم على قولهم بهذا الإعلان ـ عبثية إرسال الرسل قبل المسيح، ويلزم أيضًا عدم استحقاق العقوبة لكل الذين لم يروا المسيح وكفروا بالله قبل عصر المسيح بل وحتى بعد عصره.

وبذلك يتبين فساد تعليل أن التجسد من أجل إعلان الله عن ذاته.

ثانيًا: أما القول بأن الإله تجسد من أجل خلاص البشر من الفساد الذى لحق بهم بعد خطيئة آدم، أى من أجل إعادة الناس إلى حالة الطهر والنقاء التى كان عليها آدم قبل الخطيئة، ورفع حكم الموت عن البشر وهو الذى نتج عن المعصية.

---

(١) ولقد بين القرآن الكريم ذلك فى أكثر من آية من ذلك ما ورد فى القرآن الكريم حكاية عن الكافرين من قوم نوح ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ سورة المؤمنون آية ٢٤. ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ سورة المؤمنون آية ٣٣. وقول ثمود عن صالح ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ سورة الشعراء آية ١٥٤ ﴿ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ ﴾ سورة القمر آية ٢٤. ومدين عن شعب ﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ سورة الشعراء آية ١٨٦. وقريش عن سيدنا محمد ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ سورة الفرقان آية ٧. ويقول سبحانه ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ سورة الإسراء آية ٩٤. ويقول عن عجب الناس من أن يكون رسول الله بشرا ﴿ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ سورة ق آية ٢.

فهذا القول مكون من ثلاثة أمور: الإله ـ وهذا الإله تجسد.

وهذا التجسد من أجل الخلاص.

ولقد بينا سابقًا فساد إدعاء الألوهية، وفساد عقيدة التجسد، وبهما يتبين فساد ما ترتب عليهما، وهو أن هذا التجسد من أجل خلاص البشرية.

ولما كنا قد تناولنا **الأمر الأول والثانى** قبل ذلك بالمناقشة فإننا سنقتصر هنا على مناقشة الأمر الثالث.

والأمر الثالث: يعنى أن خطيئة آدم انتقلت بالوراثة إلى أبنائه، وأن التجسد جاء من أجل خلاص البشرية من هذه الخطيئة. وهذا أيضًا باطل وفاسد ذلك لأن ـ الشرائع الإلهية اتفقت على أن المعصية لا تتعدى الإنسان الذى فعله، بل إن كتبهم التى بأيديهم تثبت أن الأبناء لا يؤخذون بجرائم الآباء.

فمن ذلك ما جاء فى سفر حزقيال (النفس التى تخطئ هى تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب. والأب لا يحمل من إثم الابن. بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون)[1] إلى غير ذلك من الأدلة التى أوردناها قبل ذلك.

والشاهد أن هذه الأدلة تثبت أن كل إنسان يحمل وزر نفسه ولا يقع إثمه على غيره ولا يتحمل خطأه سواه، وعلى ذلك فإن معصية آدم ـ على فرض أنه لم يتب وهو غير صحيح كما سنبين ـ فإنها لم تتعداه إلى غيره، وعليه فليس هناك ما يسمى بخطية آدم حتى يتجسد الإله من أجل الخلاص منها.

وإذا سلمنا جدلاً أن معصية آدم انتقلت بالوراثة إلى أبنائه، وأن المسيح الإله تجسد من أجل خلاص البشرية منها!!

فإننا نسأل: هل تجسد الكلمة وما تبع هذا التجسد من الصلب قضى على الشرور والآثام من طبيعة الإنسان وأعادهم إلى الحالة التى كان عليها الإنسان الأول فى الجنة التى أسكنه الله إياها قبل أن يزل ويسقط وينزل إلى الأرض؟ وهل تحول الناس بعد تجسد الكلمة وظهورها بينهم وموتها من أجلهم ـ هل تحولوا عن طبائعهم التى كانوا عليها؟

---

(١) حزقيال ١٨: ٢٠.

والجواب هو ما نشهده فى واقع الناس اليوم وقبل اليوم منذ المسيح إلى الآن وما وقع من شرور عامة شاملة وما يقع كل يوم فى كل مكان[١].

ثم نسأل النصارى هل تغير حال الدنيا بعد المسيح عما كان قبله؟

سيقولون لا: هل أنتم امتزتم عن سائر الناس بشيء؟ سيقولون لا. ذلك لأنه لا مزية لهم على سائر البشر إنهم يكدون ويكدحون فى طلب الرزق والسعى فى الأرض كسائر الناس. والتوراة قد فرضت أحكامًا فى العبادات والمعاملات قد التزم بها عيسى وتلاميذه وعمل بها وأمر أتباعه أن يعملوا بها ومن لا يعمل بها يعتبر ملعونًا (ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها)[٢].

أى مزية لهم وهم كسائر الناس؟ وأى تغير فى الدنيا قد حصل بعد المسيح وما تزال الدنيا مليئة بالخير والشر والسرور والأحزان بالسلام والحرب وبالأمن والخوف؟[٣].

(على أنه لو كان التجسد هو الذى يعيد إلى الإنسان وضعه الأول ويرفع عنه سلطان الموت والفناء ـ الذى هو جزاء الخطيئة ـ الأبدى لكان ذلك بالأولى أن يقع لآدم منذ اللحظة التى نزل فيها إلى الأرض لا أن يُنتظر به حتى يتوالد وتكثر مواليده وأمواته وتمتلئ الأرض من هؤلاء وهؤلاء ثم تلقاهم الكلمة المتجسدة لتعيدهم إلى الحال الأول ولتجعل من كل واحد منهم صورة من آدم الأول قبل أن يلبس ثوب الخطيئة.

ومع هذا فنقول ما قلناه من قبل وهو أن التجسد لم يغير من الأمر شيئًا فمازال الناس يولدون ويموتون ومازال سلطان الموت قائمًا عليهم. فأين ما للتجسد من أثر فى هذا الأمر الذى يقال إن المسيح قد جاء له؟)[٤].

فالتجسد لم يقض على الشرور والآثام التى نجمت نتيجة لمعصية آدم.

---

(١) المسيح فى التوراة والإنجيل والقرآن ص١٥٦.

(٢) تثنية ٢٧ : ٢٦.

(٣) أقانيم النصارى ص٧٤.

(٤) المسيح فى التوراة والإنجيل والقرآن ص١٥٧.

ثم أليس من الأولى لو كان التجسد هو الذى يعيد الناس إلى حالتهم الأولى أن يقع لآدم منذ اللحظة الأولى التى نزل فيها إلى الأرض؟ ومع ذلك فإن التجسد لم يحدث أى أثر فى حياة الناس.

أى لم يغير شيئًا فما معنى ذلك؟

نقول إن ذلك يعنى أن القول بأن التجسد من أجل خلاص البشر قول غير مقبول لأنه ـ التجسد ـ لم يحدث أى أثر فى حياة الناس الذين آمنوا به.

وبذلك يتبين فساد التجسد وأسبابه.

مصدر عقيدة التجسد فى المسيحية

لقد تبين لنا مما سبق أن عيسى لم يقل عن نفسه أنه إله أو ابن إله.

وهذا يعنى أن التجسد ـ الذى يعنى أن الله ظهر فى صورة بشرية ليس من تعاليم المسيح نفسه.

ثم إننا رأينا أن عقيدة التجسد لا تتسق مع صحيح العقول إذ لا تستطيع العقول أن تفهمها وقد ناقشناها وبينا فسادها وفساد ما ترتب عليها.

وإذا لم يكن التجسد من تعاليم المسيح ولا يتفق مع صحيح العقول فهذا يعنى أن له مصدرًا آخر غير تعاليم المسيح ذلك أن المسيح واحد من رسل الله الذين يدعون إلى توحيد الله عز وجل.

وإذا نظرنا إلى الديانات الوثنية القديمة نجد أن التجسد كان من أهم عقائدها وهذا يعنى أن النصارى ليسوا هم أول القائلين بهذا التجسد بل وجد فى المجتمعات الوثنية قبل وجودها بين النصارى بمئات السنين.

يقول جيمس فريزر (ترجع فكرة "الإنسان الإله" أو الكائن البشرى الذى يتمتع بقوى إلهية أو خارقة للطبيعة ـ فى جوهرها ـ ترجع إلى الحقبة الأولى من التاريخ الدينى التى كان ينظر فيها إلى الآلهة على أنهم كائنات من نوع واحد تقريبًا)[1].

---

(١) جيمس فريزر: الغصن الذهبى جـ١ ص٣٣٣.

فالتجسد وجد فى المجتمعات الوثنية حيث كان يتميز بعض البشر بأنهم آلهة. ولقد وجدت هذه العقيدة فى الديانات الوثنية بصور مختلفة ورويت بروايات مختلفة. يقول دوان (ومن عقائد الوثنيين القدماء قولهم بتجسد أحد الآلهة ونزوله وسكنه معهم. وقد ورد ذكر ذلك على أنواع كثيرة من التصورات والروايات الشرقية)[١].

ويقول د/ محمد إسماعيل الندوى (والوثنيون فى كل عصر وزمان قد منحوا لكل صفة من صفات الله صورة إنسانية وأضفوا عليها صفات إنسانية وهذه هى الآلهة إن قدرة الله ورحمته قد تجسدت فى صورة إله فى كل أمة من الأمم مثل "البعل"[٢] عند السامين و"أندرا"[٣] عند الآريين والهنود و"جوبيتر"[٤] عند اليونانيين وقد عرضوا هذه الآلهة فى صورة الإنسان وسيرته[٥].

وقد ورد التجسد بروايات مختلفة ذلك أنه لم يقتصر على الأبطال فقط (فقد يتم التجسد المزعوم حتى فى أشخاص من أحط الطبقات، ففى الهند مثلاً بدأ أحد الآلهة البشرية حياته بالعمل بتبيض القطن وبدأها آخر ابنا لأحد النجاريين)[٦].

---

(١) محمد طاهر التنير: العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص٥٤.

(٢) الإله الكلدانى البابلى (بعل) الذى من اسمه تسمت بعلبك فى لبنان، ظهر منذ بداية الألف الثالث قبل الميلاد عند البابليين باسم (بل) وعنهم أخذه الكنعانيون ولقبوه بالسيد أى (زوج) وعرفت ديانة البعل ـ كإله ولقب ـ فى سوريا وفلسطين منذ بداية الألف الثانية قبل الميلاد، ثم تطورت ديانته ودخلت فى اللاهوت المحلى بعد ذلك الزمن فأصبح لكل مدينة بعلها أو ربها الحامى وتنوعت ألقابه. راجع (مدخل لدراسة الفلكور والأساطير العربية) ص٣٢.

(٣) الإله أندرا وهو من أعظم الآلهة الآريين فى الهند وأخطرها شأنًا وأكثرها مكانة وتقديرًا، وهو فى نظرهم إله الآلهة الذى ظهر فى الوجود أول ما ظهر، وهو الذى يعد أول من تلقى الروح ثم أنقذ جميع الآلهة بقوته الإلهية، وهو يشبه فى سلطاته الواسعة الإله "البعل" فى سوريا ولبنان كما أنه سمى عند الإغريق بجوبيتر. راجع الهند القديمة ص٧٧.

(٤) الإله جوبيتر من آلهة اليونان والرومان وهو من أحب الآلهة القومية إلى قلوب الشعب الرومانى وإن لم يكن هذا الإله قد أصبح ملكها كما أصبح (زيوس) عند اليونان. وكان فى القرون الأولى من حياة رومة لا يزال قوة نصف معنوية يمثل رقعة السماء المتلألئة وكان يسمى إله المطر ـ أو إله السماء) راجع قصة الحضارة المجلد الثالث ص١٢٧.

(٥) د/ محمد إسماعيل الندوى: الهند القديمة حضاراتها وديانتها ص١١٣.

(٦) الغصن الذهبى جـ١ ص٣٣٦.

فالتجسد ظهر فى المعتقدات الوثنية قبل ظهور المسيح بمئات السنين وكانت هذه المعتقدات منتشرة فى البلاد اليونانية ثم الرومانية وكان لانتشارها فى هذه البلاد أكبر الأثر فى تأثر المسيحية بها[١].

أولاً: وكان أهم هذه المعتقدات والتى يظهر تأثر المسيحية بها (الديانة المثراسية).

(وهى ديانة فارسية الأصل وقد ازدهرت فى بلاد فارس قبل الميلاد بحوالى ستة قرون ثم نزحت إلى روما حوالى سنة ٧٠ ق. م وانتشرت فى بلاد الرومان وصعدت إلى الشمال حتى وصلت إلى بريطانيا، وكان أهم معتقدات هذه الديانة أن مثرا كان وسيطًا بين الله والبشر وأنه مات ليخلص البشر من خطاياهم)[٢].

يقول ربرتسون: إن ديانة مثراس لم تنته فى روما إلا بعد أن انتقلت عناصرها الأساسية إلى المسيحية[٣].

فلقد انتشرت هذه الديانة فى بلاد الرومان ـ وأهم ما فيها أن مثرا هو المنقذ المخلص للبشر ـ وكان لانتشارها فى بلاد الرومان والتى انتشرت فيها المسيحية ـ أكبر الأثر فى تأثر المسيحية بها، ولكن كيف؟

لقد قلنا سابقًا إن "بولس" هو أول من قال بألوهية المسيح.

والباحثون يقررون أن بولس كان على علم بالميثراسية يقول ولز (كان القديس بولس من أعظم من أنشأوا المسيحية الحديثة وهو لم ير عيسى قط ولا سمعه يبشر الناس وكان فى بادئ الأمر من أبرز وأنشط المضطهدين لفئة الحواريين القليلة العدد ثم اعتنق المسيحية فجأة وقد أوتى ذلك الرجل قوة عقلية عظيمة.

وكان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية فتراه على علم عظيم باليهودية والميثراسية ديانة ذلك الزمان التى تعتنقها الإسكندرية فنقل إلى المسيحية كثيرًا من

---

(١) راجع فى ذلك المسيحية نشأتها وتطورها ص٧٠ ـ ٧١.

(٢) د/ أحمد شلبى: المسيحية ص١٧٧.

(٣) المرجع السابق ص١٧٨.

فكراتهم ومصطلح تعبيرهم وعلّم الناس أن عيسى ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قربانًا ويصلب تكفيرًا عن خطيئة البشر)[١].

فالديانة الميثراسية كانت تعتقد بإله مخلص، وهذه الديانة انتشرت فى بلاد الرومان وكان بولس على علم بها، وبولس هو الذى أدخل عقيدة أن المسيح إله مخلص فى المسيحية فماذا يعنى ذلك؟

لاشك أن هذا يعنى أن بولس تأثر بالديانة الميثراسية الوثنية.

وأدخل اعتقاد أن المسيح إله مخلص فى المسيحية متأثرًا بالمعتقدات الوثنية.

ثانيًا: ولقد ظهر التجسد فى بلاد الهند منذ فترة بعيدة وانتقلت هذه العقيدة أيضًا إلى بلاد اليونان والرومان.

يقول د/ محمد الندوى (إن جميع التطورات والتجديدات التى حدثت فى الديانة الآرية[٢] منذ عام ٨٠٠ ق. م إلى عام ٤٠٠ق. م كان روادها المفكرون الآريون وهم كانوا أصحاب الفكر والتجديد فى كل عصر، ولكن طبيعة الظروف وتقدم الحضارة فى شتى المجالات ساعدت الدروادين[٣] على تطور ثقافتهم وتنمية أفكارهم وإشعال مواهبهم ونبوغهم، ومن جراء ذلك ظهرت عقيدة التقمص أو التجسد عندهم لأول مرة فى التاريخ وهى عبارة عن تجسد رب العالمين فى جسد إنسان)[٤].

لذلك فقد تجسد الإله كرشنا[٥].

---

(١) المرجع السابق ص١٤٢.

(٢) كلمة "الآرى" تعنى الشرفاء وأطلقت الآرية على (الأمة الهندية الأوربية) حيث إنه أطلق على الأوربيين بعد نزوحهم إلى الهند الأمة الآرية (الهند القديمة ص٣٦).

(٣) وهم الشعب الهندى الأصلى الذى كان يقطن المناطق الهندية الممتدة من الشمال إلى الجنوب ويتسم باللون الأسمر والأسود على حسب المناطق التى سكنها.

(٤) الهند القديمة حضارتها ورواياتها ص١١٠.

(٥) كرشنا كان من ملوك شمال الهند أصلاً ومن شخصياتها البارزة كما تصوره ملحمة "المهابهاراتا" أ. هـ الهند القديمة ص١١٢ (والمهابهاراتا روايات وأساطير وتعاليم ووصايا وأخلاق وفن وأدب وعلوم. كما نجد فيها الاستطرادات الجمة والأسماء الصعبة المتشابهة والكثيرة، تروّج لعقيدة ينادى بها السعيد الذى هو الإله كرشنا والذى هو مظهر من مظاهر تجسدات الإله الخالق. وهى مترجمة إلى العربية. أ. هـ د/ على زيعو: الفلسفات الهندية ص١٦٨.

يقول ألن: أما كرشنا فهو أعظم من كافة الآلهة التى تجسدت ويمتاز عنهم كثيرًا لأنه لم يكن فى أولئك إلا جزء قليل من الألوهية أما هو (كرشنا) فإن الإله (فشنو)[١] ظهر بالناسوت[٢].

ويقول د/ على زيغو:

إن كرشنا قد حل فى شكل بشرى، هبط هذا الإله إلى الأرض كى يخلص البشرية، وحيث إنه جاء ليخلص فهو بمثابة إله شخص يهتم بالعالم ويساعد الإنسان، ومن صفات الإله كرشنا أنه محبة وبسبب ذلك تجسد[٣].

ولقد انتشر التجسد فى بلاد الهند انتشارًا واسعًا وشمل أشخاصًا كثيرين ومن هؤلاء (بوذا).

حيث اعتقد البوذيون فى بوذا بأنه إله تجسد فى صورة بشرية.

يقول هوك ـ أحد المبشرين الفرنسيين عندما تحدث عن بوذا ـ ما نصه:

والبوذيون يعدونه إلهًا متجسدًا أى أنه إله ظهر بالناسوت أتى إلى هذا العالم ليعلم الناس ويرشدهم ويفديهم ويبنى لهم طريق السلام. والقول بالفداء بواسطة إله يظهر بالناسوت عمومى عند البوذيين[٤].

فتجسد الإله فى صورة بشرية من أجل الخلاص كان من أهم معتقدات الديانات الهندية حيث اعتقد الناس فى كثيرين هذا الاعتقاد.

وهذه العقيدة انتقلت من بلاد الهند إلى بلاد اليونان فى فترة ما قبل الميلاد بسنوات عديدة.

---

(١) الإله فشنو هو الذى يتجسد فى الشخصيات الأسطورية وكان سيد الآلهة ورب العالمين عند الدراويين منذ القدم وكان موجودًا حتى فى حضارة نهر الهند لذلك اتسم باللون الأسمر.
و"براهمًا" كان سيد الآله ورب العالمين عند الآريين منذ ارتفاع سيطرة الكهنة عام ٨٠٠ ق. م (راجع الهند القديمة ص١١١).

(٢) العقائد الوثنية ص٥٤.

(٣) الفلسفات الهندية ص١٦٨.

(٤) العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص٦٠.

يقول د/ محمد الندوى (ومن الجدير بالذكر أن اليونان حينما اتصلت بالهند عقب غزوات الإسكندر على الهند، وتوطدت العلاقات بين الهند واليونان فى شتى المجالات أخذت فكرة التجسد السائدة فى الهند آنذاك وأدخلتها فى عقيدتها، فانتقل الإله (فشنو) عندها لينال التقدير والإعجاب، وكذلك أصبح (هليودروس) السفير اليونانى ـ رمز التجسد، كما انتقلت هذه النظرية إلى إيران بعد زرادشت، وأخيرًا انتقلت هذه النظرية إلى الرومان من اليونانيين والهنود على السواء، فهم بدورهم عرضوا السيد المسيح مجسدًا فيه الله سبحانه وتعالى متغلغلاً فيه)[١].

إن تجسد الإله قد انتقل من بلاد الهند إلى بلاد اليونان ثم انتقل إلى الرومان من اليونانيين والهنود، فاعتقد الناس فى آلهتهم التجسد، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد فقط بل امتد إلى أكثر من ذلك فلقد اعتقد اليونان ثم الرومان الديانة البوذية (وهؤلاء اليونانيون الذين اعتنقوا البوذية قد آمنوا بأن بوذا قد تجسد فيه وكان هليودوروس ـ السفير اليونانى ـ أول من آمن بهذه العقيدة ثم آمن بها جميع اليونانيين المنتشرين من الهند إلى باكتيريا[٢] على حدود إيران من ناحية بحر قزوين.

وبهذا أصبحت الديانة البوذية منتشرة فى هذه المناطق وعرض فيها بوذا فى صورة (فشنو) الإله المتجسد)[٣].

ولما احتل الرومان هذه البلاد اعتنقوا الديانة البوذية (التى تتجلى فى أن الإله تجسد فى صورة بشرية، ولما ولد السيد المسيح فى فلسطين فى العهد الرومانى كانت هذه النظرية سائدة بين الرومانيين فى الشرق الأوسط كله وهذا هو السبب فى أن الرومان عرضوا السيد المسيح فى صورة الإله المتجسد أو بوذا الثانى وذلك بعد إيمانهم بالمسيحية)[٤].

وكان لاعتناق الرومان الديانة البوذية أكبر الأثر فى انتشارها وكسبها شهرة عالمية وسببًا من أسباب انتقال التجسد إلى المسيحية.

---

(١) الهند القديمة ص١١٢ ـ ١١٣.

(٢) فى منطقة بحر قزوين فى شمال غرب الهند.

(٣) الهند القديمة حضاراتها وديانتها ص١٧٥.

(٤) نفس المرجع، نفس الصفحة.

يقول د/ محمد الندوى (ومنذ أن دان الرومان بالبوذية وتم احتلالهم للمناطق الممتدة من بحر قزوين إلى الصين تتخللها بلاد الشرق الأوسط والهند كسبت البوذية الشهرة العالمية وأصبحت دين الدولة الرسمى لمعظم هذه البلاد، ومن المعروف أن الديانة البوذية كانت تتمثل فى عقيدة التجسد فى هذه الآونة، وهذه العقيدة هى التى أصبحت سارية المفعول فى هذه المناطق كلها، وبهذا تكون البوذية قد مهدت السبيل للمسيحية الرومانية التى امتصت جميع الخصائص البوذية العالمية وحلت محلها فى الشرق الأوسط وأخذت طريقها إلى أوربا، ونتيجة لذلك فقد أعطى الرومان للمسيحية نفس المكانة والتقدير والصفات التى كانت تتمتع بها البوذية من قبل، وبهذا يكون الرومان قد عرضوا السيد المسيح بنفس صورة بوذا أو المسيحية كصورة طبق الأصل للبوذية العالمية)[1].

فلقد اعتقد الهنود بالتجسد، وانتقلت هذه العقيدة إلى اليونان ثم الرومان الذين اعتنقوا البوذية وأدخلوا العقيدة الأساسية فيها ـ وهى التجسد ـ إلى المسيحية حيث عرضوا السيد المسيح بأنه الإله المتجسد.

ونخلص من هذا باختصار:ـ

بأن بولس وضع بذرة ألوهية المسيح فى المسيحية وكان متأثرًا بالأفكار والمعتقدات السائدة فى ذاك العصر وكان من أهم هذه المعتقدات التى تأثر بها (الميثراسية) وغيرها.

والرومان هم الذين جعلوا ألوهية المسيح من المعتقدات الرسمية فى المسيحية متأثرين فى ذلك بالأفكار والمعتقدات الوثنية السائدة والتى كان من أهمها البوذية (متمثلة فى القول بالتجسد الإلهى فى صورة بشرية).

وعلى ذلك فإن مصدر عقيدة التجسد هو الأفكار والمعتقدات الوثنية السائدة فى ذاك العصر والتى كانت تدور معتقداتها حول التجسد الإلهى فى صورة بشرية.

(١) نفس المرجع ص٢١٠.

الفصل الثالث

دعوى صلب المسيح
وأهميتها للخلاص المسيحى

تمهيد:

إن الاعتقاد المسيحى السائد أن المسيح صلب، والصلب من أهم الأحداث التى تشكل الديانة المسيحية، فالصلب محور المسيحية، إذ أنه ركن ركين فى عمل المسيح الفدائى من أجل البشر.

لذلك يقول د/ فهيم عزيم (إن للصلب وللآلام مركزًا أساسيا فى عمل الله الفدائى)[١].

(على أن المسيحيين يؤكدون دائمًا أن الصليب أعظم جريمة فى تاريخ البشرية)[٢].

ولما كان الصلب ركنًا أساسيًا فى عمل الله الفدائى فهو بهذا رمز الإيمان المسيحى[٣] أو على حد قول القمص شنودة السريانى: صار الصليب علامة المسيحية وفخرها وعنوان التلمذة المسيحية وسرّ قوتها ومجدها بل صار شرطًا أساسيًا للتلمذة[٤].

لذلك جاء فى إنجيل متى: (إذا أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى)[٥].

على أنه برغم أهمية هذه الحادثة فإنها ليست لها من الأدلة التاريخية غير الأناجيل المسيحية.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: إن الأناجيل الأربعة تذكر لنا مؤامرة القبض ومحاكمة يسوع وموته، كما أنها تذكر أيضًا أسماء رؤساء الكهنة اليهود والحاكم

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد ص٨٨.

(٢) باركلى: تفسير أعمال الرسل ص٥٨.

(٣) حبيب سعيد: أديان العالم ص٢٥٧.

(٤) القمص شنودة السريانى: فى ذكر شهداء المسيحية ص٤.

(٥) متى: ١٦: ٢٤.

الرومانى الذين اشتركوا فى محاكمة السيد، ولكن الوثائق التاريخية غير الإنجيلية التى تتكلم عن يسوع وموته قليلة جدًا، الأمر الذى أدهش المؤرخين كثيرًا [١].

ويقول: "إن الأناجيل تسجل لنا بوضوح قصة القبض على يسوع ومحاكمته وموته، وإن الذين قاموا بالحكم فى هذه القضية هم اليهود والرومان رؤساء الكهنة الذين كانوا يمثلون السلطة الدينية اليهودية وبيلاطس البُنطى الذى كان يمثل السلطة الحاكمة الرومانية المستعمرة لتلك البلاد فى ذلك الوقت، وبالرغم من ذلك فإن السجلات الرومانية المعروفة حاليًا لا تذكر لنا شيئًا عن محاكمة يسوع ولا عن موته!! وهنا يتساءل بعض المؤرخين واللاهوتيين: كيف يمكن أن يصدر بيلاطس البنطى حكمه بإعدام شخص فى أمة خاضعة لسلطة روما دون أن يرسل تقريرًا مفصلاً أو حتى موجزًا عن هذه القضية خصوصًا أن رؤساء الكهنة والكتبة قدموه إلى الحاكم الرومانى كمفسد للأمة وكإنسان ثائر ضد روما والسلطة الحاكمة[٢] لذلك جاء فى إنجيل لوقا:

"وابتدأوا يشتكون عليه قائلين إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلاً إنه هو مسيح ملك... فكانوا يشددون قائلين إنه يهيج الشعب"[٣].

ويقول: "فالتهمة التى أراد اليهود إلصاقها بالسيد هى تهمة سياسية وخطيرة جدًا فلم يتهموه أمام بيلاطس بأنه نبى كذاب أو مجدف أو هرطوقى... لأن كل هذه الأوصاف التى يمكن لليهود أن يصفوا بها هرطقة يسوع لا قيمة لها فى عينى بيلاطس الحاكم الرومانى، فإن مهمته ليست حفظ الدين اليهودى معصومًا من الغلط والهرطقة بل السهر على سلامة المصالح الرومانية والضرب بشدة على رأس كل من يقاوم سلطان قيصر، وبما أن اليهود يعرفون ذلك جيدًا فلقد اتهموا السيد بأنه يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر بل يدعى بأنه مسيح ملك أى مقاوم لسلطان قيصر ويريد أن يحرر إسرائيل، فكان من المنتظر إذن أن يعير بيلاطس الأمر

(١) تاريخ الفكر المسيحى ص٣٣٨.
(٢) المصدر السابق ص٣٣٩.
(٣) لوقا ٢٣: ١ ـ ٧.

اهتمامًا أكثر وأعظم، وكان من الواجب أن يكتب إلى قيصر تقريرًا مفصلاً يشرح فيه كيف استطاع أن يصلب الشخص الذى ادعى لنفسه سلطان المسيا، ولكنا لا نجد فى السجلات الرومانية أى أثر لهذه القضية أى قضية محاكمة السيد أمام بيلاطس"[١].

ويقول: "فإن كانت السجلات الرومانية المعروفة لدينا حتى الآن تجهل قضية محاكمة يسوع إلا أن الأناجيل الأربعة بلا استثناء تسجل لنا هذه القضية"[٢].

ويقول الأستاذ/ عباس العقاد: بعد أن يذكر دخول المسيح إلى أورشليم ودخوله إلى الهيكل[٣]. "وهنا ينتهى دور التاريخ ويبدأ دور العقيدة. ليس للتاريخ كلمة راسخة فى خبر من الأخبار التى أعقبت حادثة الهيكل وحركت كهانه للبطش والنكاية"[٤].

فالصلب لم يذكر فى السجلات الرومانية وهى الوثائق التاريخية لتلك الفترة لذلك سيكون جل اهتمامنا عند الحديث عن مقدمات الصلب وأحداثه على النص الإنجيلى فى روايته لهذه الحادثة ومقدماتها مع ما يوجبه البحث العلمى فى التعليق على هذه النصوص.

ومع أن عدم ذكر السجلات الرومانية لهذه الحادثة يفتح بابا كبيرًا للاعتراض حول هذه الحادثة، فإننا سنذكر هذه الحادثة كما جاءت فى الأناجيل ونبين مدى انطباق روايات الأناجيل بعضها البعض فى هذه الحادثة وهل هذه الروايات تعتبر حجة فى قبول حادثة الصلب ـ مع تجاهلنا للاعتراضات الواردة على الأناجيل التى ذكرناها سابقا ـ أم لا؟

هذا ما يكشف عنه البحث العلمى من خلال دراستنا.

ومنهجنا فى ذلك أن نذكر "رواية مرقس" على أساس أن إنجيل مرقس هو أقدم الأناجيل ونقيس عليها روايات الأناجيل الأخرى.

---

(١) المصدر السابق ص٣٣٩ ـ ٣٤٠.

(٢) المصدر السابق ص٣٤٣.

(٣) مرقس ١١ : ١ ـ ١٠، يوحنا ١٢ : ١٢ ـ ١٩، متى ٢١ : ١ ـ ١٧، ولوقا ١٩ : ٢٩ ـ ٤٤.

(٤) حياة المسيح ص١٩٠.

مقدمات الصلب

تروى الأناجيل أن كثيرًا من اليهود لم يؤمنوا بالسيد المسيح، يقول يوحنا: (إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله) [١] ويقول لوقا: "وأما أهل مدينته فكانوا يبغضونه فأرسلوا وراءه سفارة قائلين: لا نريد أن هذا يملك علينا"[٢].

وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أنه المسيا المنتظر الذى يخلصهم من ظلم الرومانيين وطغيانهم ولأنه كان دائم الكشف عن خداع كهنة اليهود للشعب اليهودى[٣] لذلك حاولوا الإيقاع بعيسى وأخذوا يعملون على منع الناس من سماع دعايته، فلما أعيتهم الحيلة، ورأوا أن الضعاف والفقراء يجيبون نداءه، ويلتفون حوله مقتنعين بقوله ـ أخذوا يكيدون له، ويوسوسون للحكام بشأنه، ويحرضون الرومان عليه، ولكن الرومان ما كانوا يلتفتون إلى المسائل الدينية، والخلافات المذهبية بين اليهود، بل تركوا هذه الأمور لهم يسوونها فيما بينهم، واليهود يريدون أن يغروا الرومان بعيسى كيفما كان الثمن فبثوا حوله العيون يرصدونه، ويتسقطون قوله بشأن الحكومة والحكام، عساهم يجدون كلمة له يتعلقون بها وينقلونها للحاكم الرومانى، فلم يجدوا، لأن عيسى ما كان يدعو إلا إلى إصلاح الجانب النفسى والخلقى، ولم يكن قد اتجه إلى إصلاح الحكومة بعد، ولما ضاقت بهم الحيلة كذبوا عليه، وانتهى الأمر إلى أن تمكنوا من حمل الحاكم الرومانى على أن يصدر الأمر بالقبض عليه، والحكم عليه بالإعدام صلبًا[٤].

١ ـ عمل اليهود على المكيدة لعيسى واجتمعوا على قتله وجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعًا وقالوا ماذا نصنع فى هذا الإنسان[٥]، ولما لم يستطيعوا أن يفعلوا به شيئًا ألبوا عليه السلطات الرومانية عن طريق أنهم اختلقوا عليه أقوالاً، وكذبوا عليه وذكروا للسلطات الرومانية أنه يهيج الشعب.

---

(١) يوحنا: ١ ـ ١١.

(٢) لوقا ١٩: ١٤.

(٣) مشكلات العقيدة النصرانية ص١٤٠.

(٤) محاضرات فى النصرانية ص٢٨.

(٥) راجع يوحنا ١١: ٤٧ ـ ٥٣.

يقول لوقا: "فكانوا يشددون قائلين إنه يهيج الشعب وهو يعلم فى كل اليهودية مبتدئًا من الجليل إلى هنا"[١] مع أنه هو الذى أمر بالمحبة والسلام وقطع أسباب القتل والخصام، يقول المسيح:

"لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضًا"[٢].

ويقول: (أحبوا أعداءكم، وباركوا لاعنيكم)[٣].

٢ ـ اشتكوا عليه بأنه يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر.

يقول لوقا: "فقام كل جمهورهم وجاءوا به إلى بيلاطس. وابتدأوا يشتكون عليه قائلين: إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى الجزية لقيصر قائلاً إنه هو مسيح ملك"[٤].

اشتكوا عليه زورا بأنه يفسد الأمة ويمنع أن تعطى الجزية مع أنه هو الذى دفع الجزية خاضعًا للشريعة. يقول متى: "ولما جاءوا إلى كفر ناحوم تقدم الذين يأخذون الدرهمين إلى بطرس، وقالوا أما يوفى معلمكم الدرهمين، قال: بلى، فلما دخل البيت سبقه يسوع قائلا: ماذا تظن يا سمعان. ممن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزية أمن بنيهم أم من الأجانب. قال له بطرس: من الأجانب، قال له يسوع: فإذا البنون أحرار. ولكن لئلا نعثرهم اذهب إلى البحر وألق صنارة والسمكة التى تطلع أولاً خذها ومتى فتحت فاها تجد إستارا فخذه وأعطهم عنى وعنك"[٥]. "وكذلك هو الذى أمر قائلاً: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله"[٦].

٣ ـ اشتكوا عليه بأنه يريد أن يجعل نفسه ملكًا ويدعى أنه ملك اليهود.

---

(١) لوقا ٢٣: ٥.

(٢) متى ٥: ٣٩.

(٣) متى ٥: ٤٤.

(٤) لوقا ٢٣: ١ ـ ٢.

(٥) متى ١٧: ٢٤ ـ ٢٧.

(٦) مرقس ١٢: ١٧.

يقول يوحنا: "ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين إن أطلقت هذا ـ أى المسيح ـ فلست محبًا لقيصر. كل من يجعل نفسه ملكًا يقاوم قيصر"(١).

مع أن المسيح هو الذى علم الوادعة والتواضع والهرب من المجد العالى، ولما علم أنهم مزمعون أن يأتوا إليه ويختطفوه ليقيموه ملكًا انصرف إلى الجبل وحده.

يقول يوحنا: "مضى يسوع إلى عبر بحر الجليل وهو بحر طبرية وتبعه جمع كثير لأنهم أبصروا آياته التى كان يصنعها فى المرضى فصعد يسوع إلى جبل وجلس هناك مع تلاميذه"(٢) ويقول: "وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكًا انصرف أيضًا إلى الجبل وحده"(٣).

كذبوا عليه وأخذوا يألبون عليه السلطات الرومانية ومن هنا أرسل الملك قوة من الجند للقبض عليه، وكان اليهود قد اتفقوا مع أحد تلاميذه وهو يهوذا الإسخريوطى، وكان عمله بين الحواريين (أمين الصندوق)، أى الرجل المؤتمن على الأموال، ولكنه ـ حسب رواية الأناجيل ـ خان عيسى، واتفق مع اليهود على أن يرشد جند الملك عليه، لأن الجنود لم يكونوا يعرفوا عيسى، واتفقوا على أن يعطوه فضة كما فى رواية مرقس(٤). أو ثلاثين من الفضة كما جاء فى إنجيل متى: "حينئذ ذهب واحد من الاثنى عشر الذى يدعى يهوذا الإسخريوطى إلى رؤساء الكهنة وقال: ماذا تريدون أن تعطونى وأنا أسلمه إليكم. فجعلوا له ثلاثين من الفضة ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه"(٥).

دعوى القبض على المسيح

وقد اختلفت الأناجيل فى رواية خبر القبض على المسيح

---

(١) يوحنا ١٩: ١٢.
(٢) يوحنا ٦: ١، ٢.
(٣) يوحنا ٦: ١٥.
(٤) مرقس ١٤: ١ ـ ١٢.
(٥) متى ٢٦: ١٤ ـ ١٦.

يقول متى (وفيما هو يتكلم إذا يهوذا أحد الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب، والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلاً الذى أقبله هو هو أمسكوه، فللوقت تقدم إلى يسوع وقال السلام يا سيدى. وقبله. فقال له يسوع يا صاحب لماذا جئت؟ حينئذ تقدموا وألقوا الأيادى على يسوع وأمسكوه)[١]. يبين "متى" أن يهوذا الإسخريوطى جاء ومعه الجمع الكثير للقبض على يسوع ولقد أعطاهم العلامة التى بها يستطيعون التعرف عليه وهى أنه (يقبله)، بينما يذكر إنجيل يوحنا هذه الحادثة فيقول:

"فأخذ يهوذا الجند وخدامًا من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح. فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه وقال لهم من تطلبون أجابوه يسوع الناصرى. قال لهم يسوع: أنا هو. وكان يهوذا مسلمه أيضًا واقفًا معهم. فلما قال لهم إنى أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض فسألهم أيضًا من تطلبون؟ فقالوا: يسوع الناصرى. أجاب يسوع قد قلت لكم إنى أنا هو!! فإن كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون. ليتم القول الذى قاله أن الذى أعطيتنى لم أهلك منهم أحدًا"[٢].

نرى هنا اختلافًا واضحًا بين الروايتين:

فـ"متى" يبين: أن يهوذا هو الذى عرفهم بالمسيح وذلك عن طريق التقبيل للمسيح وهى العلامة التى اتفق معهم عليها.

و"يوحنا" يبين أن المسيح هو الذى قدم نفسه.

على أن هناك اختلافًا بين "متى" و"لوقا" فى هذه الحادثة.

يذكر "متى" أن المسيح قال ليهوذا بعد ما قبله (لماذا جئت هنا؟)

ويذكر "لوقا" أن المسيح قال ليهوذا بعد القبلة (أبقبلة تسلم ابن الإنسان؟)[٣] وهو اختلاف واضح. الرواية الأولى تذكر أن المسيح يسأل يهوذا ما الذى جاء به؟ والرواية

---

(١) متى ٢٦: ٤٧ ـ ٥٠.

(٢) يوحنا ١٨: ٣ ـ ٩.

(٣) لوقا ٢٢: ٤٨.

الثانية المسيح يعرف ما الذى جاء بيهوذا لذلك فهو يعاتبه ويقول له أبقبلة تسلم ابن الإنسان؟.

فأى الروايات أصح.

على أن رواية خيانة يهوذا لأستاذه شك فيها بعض أساتذة اللاهوت.

يقول دنيس أريك بينهام ـ أستاذ اللاهوت بجامعة لندن :ـ

من المناسب أن نضيف هنا أن (باكون) قد طعن فى القيمة التاريخية لكل هذه الفقرات فى مقال هام وشهير: ماذا كانت خيانة يهوذا؟

وذلك على أساس أن السلطات كانت تعرف يسوع. كما كانت على علم تام بتحركاته، وكانت فى استطاعتها أن تكشف مكانه بسهولة، وتقبض عليه فى هدوء دون ما حاجة إلى طلب معاونة غير مضمونة من خونة مأجورين[١].

فمصدر الشك فى خيانة يهوذا[٢] أن السلطات الرومانية كانت تعرف يسوع وكانت على علم تام بتحركاته فلا تحتاج إلى مرشد يرشدها إلى يسوع حتى يستطيعوا القبض عليه.

هذا إلى جانب ما أوردناه سابقًا من اختلاف الأناجيل فى رواية هذه الحادثة. وعموم القول إن المسيحيين يعتقدون أنه تم القبض على يسوع بواسطة يهوذا الإسخريوطى وبدأت محاكمته.

---

(١) نقلاً عن المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص١٤٥.

(٢) وهناك دليل شك آخر وهو أن الأناجيل تذكر أن التلاميذ الاثنى عشر أعطاهم المسيح سلطانًا ووعدهم بالحياة الأبدية ـ راجع متى ١٠ : ٢ ـ ٤، مرقس ٣: ١٣ ـ ١٩ قال لهم "طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله" "لوقا ٦ : ٢٠" كما أن المسيح وعدهم بالحياة الأبدية قائلا :"متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر" متى١٩ : ٢٨، ولاشك أن وعد المسيح بالحياة الأبدية وملكوت الله يعنى أنهم لا يفعلون شيئًا يخرجهم عن هذه الحالة، أما وأن (يهوذا) أحد التلاميذ الذى وعدهم المسيح بالحياة الأبدية خانه فمعنى ذلك أن جميع أفراد الاثنى عشر لا ينالون هذا الوعد، إذ أن واحدًا منهم خانه فخرج من هذا الوعد، وهذا يعنى إما أن يكون المسيح قد كذب فى وعده، أو أن ـ الأناجيل كذبت فى اتهام يهوذا بالخيانة.

دعوى محاكمة يسوع

المحاكمة الأولى: أمام مجمع اليهود

تذكر الأناجيل أنه بعد أن تم القبض على المسيح بواسطة أحد تلاميذه مضوا بيسوع للمحاكمة أمام مجمع اليهود (السنهدريم)[١] وكان يمثل الشعب أمام الرومان.

وهنا نترك المجال للأناجيل لوصف هذه المحاكمة.

يقول مرقس (فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة. وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنة وكان جالسًا بين الخدام يستدفئ عند النار. وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا. لأن كثيرين شهدوا عليه زورا ولم تتفق شهاداتهم. ثم قام قوم وشهدوا عليه زورا قائلين نحن سمعناه يقول إنى أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادى وفى ثلاثة أيام أبنى آخر غير مصنوع بأياد. ولا بهذا كانت شهادتهم تتفق، فقام رئيس الكهنة فى الوسط وسأل يسوع قائلاً أما تجيب بشىء. ماذا يشهد به هؤلاء عليك. أما هو فكان ساكتًا ولم يجب بشىء. فسأله رئيس الكهنة أيضًا وقال له: أأنت المسيح ابن المبارك؟ فقال يسوع: أنا هو. وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة وآتيا فى سحاب السماء. فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال ما حاجتنا بعد إلى شهود قد سمعتم التجاديف. ما رأيكم. فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت. فابتدأ قوم يبصقون عليه ويغطون وجهه ويلكمونه ويقولون له تنبأ. وكان الخدام يلطمونه)[٢].

تبين هذه الرواية (رواية مرقس) أن الذين قبضوا على يسوع مضوا به مباشرة عقب القبض عليه ـ أى بالليل[٣] ـ إلى مجمع اليهود حيث اجتمع رؤساء الكهنة

---

(١) السنهدريم: مجلس اليهود الكبير فى حياة المسيح، وقد أطلق هذا الاسم على هذا المجلس باعتباره المحكمة العليا للأمة اليهودية، وكان السنهدريم يمثل الشعب أمام الرومان، ويتكون من واحد وسبعين عضوًا، سبعون منهم مثل عدد الشيوخ الذين عاونوا موسى، والحادى والسبعون هو رئيس الكهنة. وقد توقف عمل السنهدريم بعد عام ٧٠م وذلك بعد خراب أورشليم. راجع فى ذلك (قاموس الكتاب المقدس ٤٨٩).

(٢) مرقس ١٤: ٥٣ ـ ٦٥.

(٣) وذلك لأن القبض على يسوع كان بالليل ويدل على ذلك أنهم ذهبوا للقبض على يسوع ومعهم المصابيح والمشاعل (يوحنا ١٨: ٣، ٤).

والكتبة والشيوخ ليحكموا على يسوع، وبعد المناقشات والمحاورات وإثبات تهمة التجديف على الله زورا حكم عليه المجمع بالموت، وبدأ تعذيبه بالبصق واللكم واللطم.

وفى مناقشة هذه الرواية يقول نينهام:

ليس من السهل أن نبين كيف نشأ هذا الجزء، ولقد كان السؤال حول قيمته التاريخية ـ ولا يزال ـ موضوعًا يتعرض لمناقشات حيوية، ومن الواجب أن نعرض الأسباب الرئيسية للشك فى قيمته التاريخية باختصار كما يلى:

١ ـ يصف القديس مرقس المحاكمة على أنها حدثت أمام المجمع ـ أى السنهدريم ـ ولما كانت لائحة السنهدريم المذكورة فى المشنا[١] تبين الخطوات التفصيلية التى يجب اتخاذها أمام تلك الهيئة فإن المقارنة بين تلك الإجراءات وبين ما يذكره مرقس عن محاكمة يسوع تكشف عن عدد من المتناقضات أغلبها جدير بالاعتبار.

٢ ـ ولكن هل كان من الممكن أن يجتمع أعضاء السنهدريم ولو حتى لعمل مثل تلك الإجراءات القضائية الرسمية التى تسبق المحاكمة فى منتصف ليلة عيد الفصح وإذا اعتبرنا أو إذا اعتبرنا أن تقويم القديس مرقس لأسبوع الأحداث غير دقيق فهل كان من الممكن أن يجتمعوا فى منتصف الليلة السابقة لعيد الفصح؟ إن محاكمة رسمية فى مثل ذلك الوقت تبدو شيئًا لا يمكن تصديقه كما يشك أغلب العلماء تمامًا فى عقد جلسة فى مثل ذلك الوقت ولو لعمل تحقيقات مبدئية.

إن القديس لوقا لا يذكر شيئًا عن عقد المجمع بالليل فهو يقول (**ولما كان النهار** اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى **مجمعهم**).

---

(١) المشنا: أحد أجزاء التلمود إذ أن التلمود يتكون من جزءين:

الأول يسمى المشنا وهو الأصل أى المتن للتلمود.

والجزء الثانى: الجمارة وهو شرح المشناة.

والمشنا معناها بالعبرية (المعرفة أو القانون الثانى أو الشريعة المكررة لأنهم يقولون إن المشنا تكرار لما ورد فى توراة موسى) راجع مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص١٤٥.

كما تبدو رواية مرقس عن عقد جلسة الصباح الباكر ـ التى يقول عنها :

(وللوقت فى الصباح تشاور رؤساء الكهنة) ـ أنها قائمة على غير أساس لذلك فإن أغلب العلماء يعتقدون أنه لما كان القديس مرقس يعلم عن روايتين للمحاكمة ذكر أولاهما فى الإصحاح الرابع عشر وذكر الثانية فى الإصحاح الخامس عشر فلعله نتيجة لمباحث خاصة حصل بها على فكرة مبهمة عما حدث بعد القبض فإنه قد فهم خطأ أن الروايتين تشيران إلى محاكمتين مختلفتين (الأولى بالليل والثانية بالنهار). وفى حقيقة الأمر فإن السلطات اليهودية اجتمعت مرة واحدة فقط وكان ذلك فى الصباح الباكر كما هو مذكور فى الإصحاح الخامس عشر[١].

ثم يقول (إن البعض بسبب ذلك يشك فى هذه الرواية وذلك بالبراهين التالية :

أ ـ إذا حدث تحريض الشهود الزور للتقدم بشهاداتهم، ألم يكونوا قد لقنوا شهاداتهم مقدمًا كإجراء حصيف لابد منه لكى تتفق شهاداتهم؟.

ب ـ وحسب الشريعة اليهودية نجد أنه لا الأقوال التى نسبت ليسوع عن نقض الهيكل حتى لو أمكن إثباتها ـ ولا إجابته لرئيس الكهنة تعتبر تجديفًا على الاسم الإلهى مما يقتضى شجبه بطريقة خاصة حسبما يذكره سفر اللاويين (كل من سب إلهه يحمل خطيته. ومن جدف على اسم الرب فإنه يقتل يرجمه كل الجماعة رجمًا)[٢].

جـ ـ وإذا كان يسوع قد أدين بسبب التجديف ـ كما يقرر الإنجيل ـ فلماذا لم تقم السلطات اليهودية ذاتها بتنفيذ العقاب وذلك برجمه حتى الموت وفق ما يقوله سفر اللاويين[٣].

ومجمل الشك فى رواية المحاكمة الأولى كما يلى :

❖ أن الرواية تذكر أن المحاكمة أمام المجمع بدأت بعد القبض مباشرة مع أنه كان ولابد من اتخاذ الإجراءات والخطوات التفصيلية التى تحدث فى المجمع والتى تذكرها

---

(١) تفسير إنجيل مرقس نقلاً عن المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص١٥١.

(٢) سفر اللاويين ٢٤ : ١٥ ـ ١٦.

(٣) المرجع السابق ص١٥٢.

المشنا. يقول عنها باركلى: (تجلس هيئة المحكمة فى وضع دائرى حتى يرى الواحد الآخر ويجلس فى صدر المحكمة الرئيس فى ثياب حزينة. ويجلس خلفه تلاميذ الربيين فى صفوف منتظمة ليدافعوا عن المتهم إن أمكن، وكل شهادة منهم يجب أن تدعم بشخصين منعزلين، كما يمكن لأى عضو فى المحكمة أن يتكلم ضد المتهم ثم يغير رأيه ويدافع عنه، ولكن لا يجوز العكس، وإن لزمت فتوى فى المحكمة كان على كل عضو أن يدلى برأيه مبتدئًا من الأصغر إلى الأكبر، ويجب أن يكون الحكم بالعفو والبراءة مدعمًا من الأغلبية ولو لم يوافق اثنان منهم، كما لا يجوز مطلقًا تنفيذ الحكم بالإعدام فى نفس يوم النطق بالحكم بل لابد أن تمضى ليلة كاملة بعد ذلك، وربما فى تلك الليلة يتغير الحكم من الموت إلى البراءة أو الرأفة بتخفيف الحكم)[١] وهذه الإجراءات لم تقع ولم تحدث فى محاكمة يسوع مما يجعل الشك يتطرق إليها.

❖ ثم إن هذه المحاكمة ـ كما يذكرها مرقس ـ وقعت بالليل، والمحاكمة فى ذلك الوقت لا يمكن تصديقها، إذ يشك العلماء فى عقد جلسة فى مثل ذلك الوقت خاصة وأن قانون المجمع يقضى ـ كما يقول باركلى:

"لا يجتمع المجمع ليلاً"[٢].

ويؤيد ذلك الشك أن إنجيل لوقا لا يذكر شيئًا عن محاكمة يسوع ليلاً هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد لدى مرقس رواية أخرى عن محاكمة يسوع أمام المحكمة العليا لليهود فى وضح النهار، فأى الروايات أصح؟ هل كانت محاكمة يسوع بالليل أم بالنهار؟ أم بالليل والنهار؟ ولما كان الصحيح غير متعين فالشك يرد على الجميع.

❖ ثم إن الشك يتطرق إلى رواية المحاكمة من ناحية أنها رواية لا من شاهد وعاين، لأنهم ـ أى كتبة الأناجيل ـ لم يحضروا جلسة الأحداث، ولم يحضر أى واحد من تلاميذ المسيح هذه المحاكمة؟

---

(١) باركلى: تفسير إنجيل لوقا ص٣٥٨، ٣٥٩.
(٢) المرجع السابق ص٣٥٨.

فكيف عرف كتبة الأناجيل هذه الأحداث؟

❖ على أن وقائع المحاكمة التى رويت ـ ومن خلال الأحداث والأقوال التى رويت فى المحاكمة ـ تدل دلالة واضحة على أنها استنتاج شخصى وليست حكاية للوقائع والأحداث. ذلك أن الرواية تذكر أن شهود زور قاموا وشهدوا على المسيح: ألا يحتاج هؤلاء الشهود إلى تلقين مسبق لما سوف يشهدون به؟

وإذا كان هذا حدث ففى أى وقت حدث هذا التلقين إذا قلنا إن المحاكمة وقعت ليلاً عقب القبض على يسوع مباشرة؟

❖ وإذا أغفلنا النظر عما سبق ـ فإن أقوال يسوع ـ حسب الشريعة اليهودية التى ذكرت فى رواية المحاكمة لا تدينه حيث إنها ليست تجديفًا، لأن التجديف ـ كما يقول قاموس الكتاب المقدس ـ كلام غير لائق فى شأن الله وصفاته أى سب الله. والمسيح لم يفعل ذلك، فلا يستحق أن يحكم عليه المجمع بأنه قد جدف على الله!! وعلى فرض أن أقواله تعتبر تجديفًا يستحق عليها حكم الإعدام فإن الواجب كما تقول الشريعة اليهودية أن تقوم السلطات اليهودية ذاتها بتنفيذ العقاب على هذا المجدف وهو ما لم يحدث.

كل هذا يجعل الشك قائمًا فى قيمة هذه المحاكمة كحدث من الأحداث التاريخية.

❖ ثم إننا إذا نظرنا إلى روايات الأناجيل لهذه المحاكمة ـ بجانب رواية مرقس ـ فإننا نجد فيها التناقض الواضح.

فقد اختصر (متى) رواية مرقس وأضاف إليها طلب رئيس الكهنة من المسيح أن يحلف بالله على صحة ما يقول (أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله)[1].

كما أضاف جزءًا من كلمات السخرية (وآخرون لطموه قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك)[2] هذا بجانب إضافات أخرى.

أما بالنسبة لهذه الحادثة فى إنجيل لوقا فإنها تختلف عما جاء فى إنجيل مرقس وإنجيل متى فى عنصر مهم وهو: أن مرقس ومتى يذكران أن محاكمة يسوع أمام

---

(١) متى ٢٦: ٦٣.

(٢) متى ٢٦: ٦٨.

المجمع كانت فى صباح اليوم التالى يقول لوقا (ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم)[١].

هذا بجانب اختلاف جوهرى آخر وهو أن مرقس ومتى[٢] يذكران أن رؤساء الكهنة والمجمع كلهم كانوا غير راضين عن يسوع ويطلبون شهادة زور عليه حتى يتسنى لهم قتله. وهذا لا يتفق مع ما روى فى إنجيل لوقا من أن يوسف الرامى وهو أحد أعضاء مجلس السنهدريم لم يكن موافقًا على رأيهم وغير راض عن عملهم.

يقول لوقا (وإذا رجل اسمه يوسف وكان مشيرًا ورجلاً صالحًا بارًا. هذا لم يكن موافقًا لرأيهم وعملهم)[٣].

أما رواية إنجيل يوحنا فإنها تختلف كل الاختلاف عن الأناجيل الثلاثة إذ أنها تذكر أن القوة التى قبضت على يسوع ذهبت به إلى (حنان أولاً) ـ حما قيافا رئيس الكهنة ـ بدلاً من الذهاب إلى رئيس الكهنة (قيافا) رأسًا كما بين مرقس ومتى ولوقا، يقول يوحنا (ومضوا به إلى حنان أولاً لأنه كان حما قيافا الذى كان رئيسًا للكهنة فى تلك السنة)[٤].

على أن هناك اختلافًا آخر بين إنجيل يوحنا والأناجيل الثلاثة.

فبينما نجد فى إنجيل متى ومرقس أن المجمع كله مجمع على الكره لعيسى، فإننا نجد إنجيل لوقا يذكر أن "يوسف الرامى" وهو أحد أعضاء المجمع غير راض على عمل هذا المجمع فى حكمه على عيسى عليه السلام.

وفى الوقت نفسه نجد أن إنجيل يوحنا يذكر أن (نيقوديموس) وهو أحد أعضاء المجمع غير موافق على حكمهم. يقول يوحنا (فقال لهم نيقوديموس الذى جاء إليه ليلاً وهو واحد منهم ألعل ناموسًا يدين إنسانًا لم يسمع منه أولاً ويعرف ماذا فعل، أجابوا وقالوا له ألعلك أنت أيضًا من الجليل)[٥].

---

(١) لوقا ٢٢ : ٦٦.

(٢) مرقس ١٤ : ٥٥، متى ٢٦ : ٥٩.

(٣) لوقا ٢٣ : ٥٠/٥١.

(٤) يوحنا ١٨ : ١٢ ـ ٢٤.

(٥) يوحنا ٧ : ٥٠ ـ ٥٢.

فإنجيل يوحنا يبين أن نيقوديموس لم يكن موافقًا لرؤساء الكهنة الفريسيين بالحكم على عيسى بأنه قد جدف على الله.

وهكذا نجد اختلافًا كبيرًا آخر بين الأناجيل فى واقعة أخرى من وقائع وأحداث الصلب، تلك الاختلافات التى تجعلنا نقول: هل هذه الحادثة وقعت أم لا؟

وإذا كانت قد حدثت فأى الروايات نعتمد عليها؟ وأى الروايات أحق وأجدر بأن تكون هى الصادقة؟

المحاكمة الثانية: أمام والى الإمبراطورية الرومانية (بيلاطس)

بعد أن حكم مجمع اليهود على المسيح بأنه يستحق الموت لأنه يكذب على الله، أوثقوه ومضوا به إلى بيلاطس الوالى الرومانى، وهنا تبدأ وقائع المحاكمة الثانية ليسوع وكانت أمام والى الرومان.

يقول مرقس (وللوقت فى الصباح الباكر تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله فأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس، فسأله بيلاطس: أنت ملك اليهود؟ فأجاب وقال له أنت تقول، وكان رؤساء الكهنة يشتكون عليه كثيرًا، فسأله بيلاطس أيضًا قائلا أما تجيب بشىء، انظر كم يشهدون عليك. فلم يجب يسوع أيضًا بشىء حتى تعجب بيلاطس. وكان يطلق لهم فى كل عيد أسيرًا واحدًا من طلبوه، وكان المسمى باراباس موثقًا مع رفقائه فى الفتنة الذين فى الفتنة فعلوا قتلاً، فصرخ الجميع وابتدأوا يطلبون أن يفعل كما كان دائمًا يفعل لهم، فأجابهم بيلاطس قائلاً أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود، لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسدًا، فهيج رؤساء الكهنة الجمع لكى يطلق لهم بالحرى باراباس، فأجاب بيلاطس أيضًا وقال لهم فماذا تريدون أن أفعل بالذى تدعونه ملك اليهود، فصرخوا أيضًا اصلبه، فقال لهم بيلاطس وأى شر عمل. فازدادوا جدا صراخًا اصلبه، فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجمع ما يرضيهم أطلق لهم باراباس وأسلم يسوع بعد ما جلده ليصلب)[1].

---

(١) مرقس ١٥: ١ ـ ١٥.

فاليهود بعد أن حكموا على عيسى بالموت ذهبوا به إلى بيلاطس كى يأمر بتنفيذ حكم الصلب على عيسى، وبيلاطس حينما أسلموا له المسيح سأله عن التهمة الموجهة إليه: هل أنت ملك اليهود؟ وعلى عادة هذا الذى أمسكوه يجيب أنت تقول واحتج عليه بيلاطس بشهادة هذا الجمع الغفير فلم يجب بشيء.

وتبين هذه الرواية أنه كان من العادة أن يطلق والى الرومان أحد الأسرى فى عيد الفصح، فطلب رؤساء الكهنة والكتبة أن يكون المعفو عنه (باراباس) وليس المسيح عيسى بن مريم، وامتثل بيلاطس لطلب رؤساء الكهنة وأسلم يسوع للجلد ثم الصلب.

يقول نينهام عن هذه المحاكمة ـ (إننا لم نخطر كيف علم بيلاطس بالتهمة؟ ولماذا لم يرد ذكر لحكم رسمى؟.

أما بالنسبة لما قيل من عادة إطلاق أحد المسجونين فإن وجهة نظر أغلب العلماء تقرر أنه لا يعرف شيء عن مثل هذه العادة كما وصفت هنا!! إن القول بأن عادة الحكام الرومان جرت على إطلاق أحد المسجونين فى عيد الفصح، وأن الجماهير هى التى كانت تحدد اسمه بصرف النظر عن جريمته، إنما هو قول لا يسنده أى دليل على الإطلاق، بل إنه يخالف ما نعلمه عن روح الحكم الرومانى لفلسطين وأسلوبه فى معاملة أهلها.

على أن محتويات الحوار بين بيلاطس والجمهور تعتبر من المشاكل أيضًا، فيبدو منها: أن بيلاطس قد وجه مقدمًا بالاختيار بين مجرمين أدينا بحيث إذا أطلق سراح أحدهما لوجب عليه إعدام الآخر. ولكن فى نهاية الفقرة الثانية[1] نجد أن يسوع لم يدان، وحسبما تذكره القصة لا نجد مبررًا بمنع بيلاطس من تبرئة يسوع إذا كان قد اعتقد فى براءته وإصدار عفو كذلك عن باراباس)[2].

---

(١) المراد من قوله الفقرة الثانية (فسأله بيلاطس... إلى قول الإنجيل فلم يجب يسوع بشيء حتى تعجب بيلاطس) مرقس ١٥ : ٢ ـ ٥.

(٢) تفسير إنجيل مرقس ص٤١٥ نقلاً عن المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص١٦٠.

ويقول عن رواية مرقس لهذه المحاكمة (ورغم أن المحاكمة تعرض لنا باعتبارها وقعت فى العراء فإن رواية مرقس لا يمكن اعتبارها بأية حال تقريرًا لشاهد عيان، وفى الواقع أنها ليست تقريرًا على الإطلاق)[١].

❖ فرواية مرقس عن محاكمة بيلاطس ليسوع ليست تقريرًا لشاهد عيان لأن الأناجيل لا تذكر شيئًا عن حضور التلاميذ أو أحدهم لهذه المحاكمة.

❖ وكذلك أيضًا لا تعتبر رواية مرقس لهذه المحاكمة تقريرًا على الإطلاق، وذلك بسبب المشاكل الناتجة عن هذه الرواية وأهمها: كيف علم بيلاطس بالتهمة؟ ومتى علم؟ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن عادة إطلاق أحد المسجونين فى عيد الفصح بالصفة التى ذكرها مرقس غير مسلم به لدى أغلب العلماء، إذ القول بأن الجماهير هى التى كانت تحدد اسم الذى يطلق سراحه قول لا يسنده أى دليل على الإطلاق لأنه يخالف روح الحكم الرومانى لفلسطين، ويخالف معاملة الرومان لليهود، هذا إلى جانب المشاكل الناتجة عن الحوار بين بيلاطس والجمهور.

❖ ثم إننا إذا راجعنا روايات الأناجيل لهذه المحاكمة فإننا نجد أيضًا الاختلاف الواضح، وسنذكر بعض هذه الاختلافات على سبيل المثال:

❖❖ فرواية "متى" تختلف عن رواية مرقس إذ أنها تضيف أشياء لم تذكرها رواية مرقس، فلقد ذكر "متى" أن زوجة بيلاطس أرسلت إليه وهو جالس على كرسى الولاية تحذره من أن يؤذى يسوع، وذلك بسبب أنها تألمت كثيرًا من أجل هذا البار فى حلم لها.

يقول متى (وإذ كان - بيلاطس - جالسًا على كرسى الولاية أرسلت إليه امرأته قائلة إياك وذلك البار. لأنى تألمت اليوم كثيرًا فى حلم من أجله)[٢].

ويضيف "متى" أيضًا أن بيلاطس أعلن براءته من دم المصلوب، وغسل يديه

---

(١) المرجع السابق ص١٦٠.

(٢) متى ٢٧: ١٩.

علامة على ذلك[١] يقول متى (فقال الوالى وأى شر عمل. فكانوا يزدادون صراخًا قائلين ليصلب. فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئًا بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً إنى برئ من دم هذا البار. أبصروا أنتم)[٢].

❖❖ ويختلف لوقا عن متى، ومرقس أيضًا، فى عرض هذه المحاكمة اختلافًا كبيرًا، وذلك لأنه يبين أن الكتبة والكهنة ذهبوا أولاً إلى بيلاطس ليشتكوا يسوع بقولهم (إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلاً إنه هو مسيح ملك)[٣] فلم يجد بيلاطس فى هذه الشكوى ما يدين المسيح، لذلك صعد الأمر إلى هيردوس لمحاكمته باعتبار أن المسيح من الجليل، وأنه من سلطنة هيردوس، ولما سمع هيردوس بشكاوى الكتبة والكهنة المقدمة ضد يسوع احتقره ـ بعد أن قد فرح به فى أول الأمر لأنه سمع عنه كثيرًا وكان يريد أن يراه ـ واستهزأ به، بل واحتقره واستهزأ به أيضًا عسكره[٤].

وهذا لاشك يعتبر اختلافًا جوهريًا فى رواية الأناجيل لهذه المحاكمة، فهل حوكم يسوع أمام بيلاطس؟ أم أمام هيردوس؟

أما رواية إنجيل يوحنا لهذه المحاكمة فإننا نجد فيها بعض الاختلافات الجديرة بالذكر منها:

أن بيلاطس سأل الكتبة والكهنة عن الشكوى المقدمة ضده (وقال أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان. أجابوا وقالوا له لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه إليك)[٥].

---

(١) وبرغم أن "متى" يختلف عن "مرقس" فى إعلان هذه البراءة إلا أن العلماء يشكون فى حادث غسل يد بيلاطس باعتبار أن عملية غسل اليد تكون دليلاً على البراءة وذلك على أساس أنها عادة يهودية أكثر منها رومانية إذ يقول سفر التثنية (يغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبين من القتيل أيديهم.. ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم) تثنية ٢١ : ٦ ومن المستبعد جدًا أن يكون بيلاطس قد عمل شيئًا كهذا.
جون فنتون (تفسير إنجيل متى) نقلاً عن (المسيح فى مصادر العقائد المسيحية) ص١٦١.

(٢) متى ٢٧ : ٢٣ ، ٢٤.

(٣) لوقا ٢٣ : ١ ـ ٤.

(٤) لوقا ٢٣ : ٥ ـ ١١.

(٥) يوحنا ١٨ : ٢٩ ، ٣٠.

ومنها أيضًا: أن بيلاطس قال للكهنة اليهود (خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم. فقال اليهود لا يجوز لنا أن نقتل أحدًا)[١].

هذا إلى جانب أن إنجيل يوحنا يبين لنا أن يسوع رد على بيلاطس ببعض الردود التى لم تذكرها الأناجيل الأخرى وهى (ثم دخل بيلاطس أيضًا إلى دار الولاية ودعا يسوع وقال له أنت ملك اليهود. أجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عنى. أجابه بيلاطس ألعلى أنا يهودى. أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إلى ماذا فعلت. أجاب يسوع مملكتى ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتى من هنا)[٢].

إلى غير ذلك من الاختلافات الجديرة بالاعتبار، والتى تجعلنا نسأل سؤالنا التقليدى هل محاكمة يسوع أمام الوالى الرومانى حدثت أم لا؟ وإذا كانت قد حدثت فأمام من؟ هل أمام بيلاطس أم هيردوس؟ وإذا كانت قد حدثت فأى الروايات نثق فيها ونعتمد عليها فى رواية هذه المحاكمة؟ كل هذا يجعل الشك يتطرق إلى رواية الأناجيل لهذه المحاكمة.

وعموم القول إن اليهود استطاعوا أن يؤثروا على الوالى الرومانى ـ بيلاطس أو هيردوس ـ على حسب رواية لوقا ـ بأن يحكم على المسيح بالصلب فأسلمه ليصلب.

موقف تلاميذ المسيح

وقبل أن نذكر وقائع الصلب ـ كما وردت فى الأناجيل ـ يجدر بنا أن نبين موقف التلاميذ من معلمهم ـ المسيح ـ وقت وبعد القبض عليه وذلك حسب روايات الأناجيل.

---

(١) يوحنا ١٨ : ٣١.

(٢) يوحنا ١٨ : ٣٣ ـ ٣٧.

والناظر فى الأناجيل يجد موقفين للتلاميذ كل موقف منهما مناقض للآخر:

الموقف الأول: دفاع التلاميذ عن المسيح، ويتمثل هذا فيما وقع من أحدهم حين هم اليهود بالقبض على يسوع.

يقول مرقس (استل واحد من الحاضرين السيف وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه)[١].

ويقول متى (وإذا واحد من الذين مع يسوع مدّ يده واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه)[٢].

من هذا يتبين أن التلاميذ دافعوا عن المسيح وحاولوا ألا تمتد يد هؤلاء إلى أستاذهم ومعلمهم.

ولا نترك هذا قبل أن نقول إن الأناجيل أيضًا اختلفت فى بيان هذا الموقف فبينما لا يذكر مرقس تعليقًا للمسيح على العمل الذى قام به أحد الحاضرين معه يذكر متى أن المسيح قال له (رد سيفك إلى مكانه. لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون)[٣].

وتختلف رواية لوقا عن روايتى مرقس ومتى، إذ أنها تذكر أن المسيح أبرأ عبد رئيس الكهنة الذى قطعت أذنه. هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فبينما نجد أن المسيح يتوعد هؤلاء الذين قبضوا عليه بأنهم سيهلكون كما فى روايتى مرقس ومتى، نجده كما فى إنجيل لوقا ينهى تلميذه الذى قطع أذن عبد رئيس الكهنة بكل وداعة، ويقول له دعه ويزيد على ذلك بذكر أن يسوع أبرأ عبد رئيس الكهنة.

يقول لوقا (أجاب يسوع وقال دعوا إلى هذا. ولمس أذنه وأبرأها)[٤].

---

(١) مرقس ١٤: ٤٧.
(٢) متى ٢٦: ٥١.
(٣) متى ٢٦: ٥٢.
(٤) لوقا ٢٢: ٥١.

ويختلف إنجيل يوحنا عن الأناجيل الثلاثة ذلك أنه يذكر أن سمعان بطرس هو الذى قام بالدفاع عن المسيح واستل سيفه وقطع أذن عبد رئيس الكهنة ـ الذى يذكر اسمه ولا تذكره الأناجيل الأخرى ـ

يقول يوحنا (ثم إن سمعان بطرس كان معه سيف فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى. وكان اسم العبد مَلْخُس. فقال يسوع لبطرس اجعل سيفك فى الغمد، **الكأس التى أعطانى الآب ألا أشربها**)[1] هذا إلى جانب أن يوحنا يقول لبطرس رد سيفك مبينًا له أن هذا ما قدره الله عليه.

والخلاصة هنا ـ إذا أغفلنا النظر عن هذه الاختلافات وهو مالا يمكن الإغفال عنه ـ أنه يتبين لنا من هذا الموقف حب التلاميذ للمسيح وقوتهم فى الدفاع عنه وامتد الأمر أن استل أحدهم سيفًا للدفاع عنه، مع أنهم مأمورون بالمحبة والبعد عن استخدام السيف[2].

الموقف الثانى للتلاميذ:

أما الموقف الثانى الذى تذكره الأناجيل للتلاميذ فهو أنهم جميعًا تركوه وهربوا. يقول مرقس (فتركه الجميع وهربوا. وتبعه شاب لابسًا إزارا على عُرْيه فأمسكه الشبان. فترك الإزار وهرب منهم عريانا)[3].

وهذا يعنى أن التلاميذ هربوا وتركوا المسيح.

وهنا نقف لنسأل: لماذا ترك التلاميذ المسيح وهربوا؟ هل كان بسبب خوفهم من الكهنة والكتبة الذين جاءوا للقبض على يسوع؟ ـ إن الموقف الأول للتلاميذ يرد هذا الاحتمال، لأنه يعنى أن التلاميذ كانوا يحبون المسيح ويخافون عليه بدليل أنهم حينما علموا أن هؤلاء أتوا للقبض عليه قام أحدهم بإخراج سيفه من غمده وضرب به عبد رئيس الكهنة ـ وإذا لم يكن بسبب خوفهم من هؤلاء الذين أتوا للبقض على يسوع؟ فما هو السبب الحقيقى؟ ما الذى جعلهم يتركونه ويهربوا؟ إننا لا نجد مناصًا

---

(١) يوحنا ١٨: ١٠، ١١.

(٢) يقول المسيح (لا تقاموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضًا) (متى ٥: ٣٩) ويقول (أحبوا أعدائكم باركوا لا عنيكم) متى ٥: ٤٤.

(٣) مرقس ١٤: ٥٠ ـ ٥١.

من القول إنه لابد أن يكون قد حدث بعض الأشياء التى جعلتهم يتركون المسيح ويتخلون عن موقفهم الأول، ولكن ما هى هذه الأشياء التى حدثت؟ وما هى الأمور التى جعلت التلاميذ يتركون المسيح ويهربون؟ إن الأناجيل لا تذكر لنا شيئًا عن هذا التغيير.

ربما يكون هذا الهروب بسبب أنهم وجدوا أن الشخص الذى كانوا يدافعون عنه لم يقع فى أيدى هؤلاء، أى لم يتمكن الكهنة من القبض على أستاذهم فقبضوا على آخر، وهنا ترك التلاميذ هذا المقبوض عليه وهربوا!!!

هذا عن موقف التلاميذ أثناء القبض عليه.

أما بعد القبض عليه فإننا نجد أنه برغم أن الأناجيل ذكرت أن التلاميذ جميعهم هربوا إلا أنها تعود فتذكر بعد ذلك أن بطرس وهو أحد التلاميذ تبع المسيح المقبوض عليه من بعيد، وحينما عرفته بعض اليهوديات وسألته هل أنت مع يسوع الناصرى؟ ـ أنكر بطرس كونه تلميذًا لهذا المقبوض عليه، بل إن الكهنة والكتبة سألوه فأنكر أيضًا.

يقول مرقس (وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنة وكان جالسًا بين الخدام يستدفئ عند النار... وبينما كان بطرس فى الدار أسفل جاءت إحدى جوارى رئيس الكهنة. فلما رأت بطرس يستدفئ نظرت إليه وقالت وأنت كنت مع يسوع الناصرى. فأنكر قائلاً لست أدرى ولا أفهم ما تقولين. وخرج خارجًا إلى الدهليز. فصاح الديك. فرأته الجارية أيضًا وابتدأت تقول للحاضرين إن هذا منهم. فأنكر أيضًا. وبعد قليل أيضًا قال الحاضرون لبطرس حقًا أنت منهم لأنك جليلى أيضًا ولغتك تشبه لغتهم. فابتدأ يلعن ويحلف إنى لا أعرف هذا الرجل الذى تقولون عنه. وصاح الديك ثانية. فتذكر بطرس القول الذى قاله له يسوع إنك قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات. فلما تفكر به بكى)[1].

ولكن كيف ينكر بطرس المسيح أمام الكهنة وهو يعلم أن المسيح قال:

---

(١) مرقس ١٤: ٥٤ ـ ٧٢.

"كل من يعترف بى قدام الناس أعترف أنا أيضًا به قدام أبى الذى فى السموات. ولكن من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا أيضًا قدام أبى الذى فى السموات!!؟"[١].

وهذا يعنى أنه إذا كان هذا المقبوض عليه هو المسيح عيسى بن مريم وأنكره بطرس فمعنى ذلك أنه هالك، لأن المسيح قال من ينكرنى قدام الناس أنكره قدام أبى الذى فى السموات؟ وهذا ـ كون بطرس هالكًا ـ يتعارض مع ما جاء فى الأناجيل من وعد المسيح للاثنى عشر ـ ومنهم بطرس ـ بأنهم سينالون الحياة الأبدية والسعادة الأخروية.

يقول متى (أجاب بطرس حينئذ وقال له هانحن قد تركنا كل شىء وتبعناك. فماذا يكون لنا. فقال لهم يسوع الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضًا على اثنى عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر)[٢].

فكيف يتوافق هذا مع ما ورد من إنكار بطرس للمسيح الذى جزاؤه الهلاك؟ إنه لا مناص من القول إن بطرس لم ينكر المسيح إنما أنكر شخصًا آخر!!

وهذا القول هو ما تلزمنا به الأناجيل، وإلا فإما أن يكون بطرس هالكا ويكون المسيح كاذبًا فى هذا الوعد!! أو أن المسيح صادق فى الوعد وبطرس صادق فى هذا الإنكار!! والمسيح غير كاذب فلا مناص لهم إلا أن يسلموا بالاحتمال الثانى.

وبعد هذه المناقشة نقول أيضًا إن الأناجيل أيضًا اختلفت فى رواياتها لقصة إنكار بطرس.

وقد لخص الأستاذ/ أحمد عبد الوهاب هذا الاختلاف فقال:

---

(١) متى ١٠: ٣٢ ـ ٣٣.

(٢) متى ١٩: ٢٧ ـ ٢٨.

إن اختلاف كتبة الأناجيل فى قصة إنكار بطرس واضح لا يحتاج إلى تعليق ويستطيع القارئ التحقق من ذلك وخاصة عندما يراجع ما يذكره كل إنجيل عن شخصية المستفهم من بطرس.

ففى مرقس نجد أن السؤال الأول كان من جارية فى الدار أسفل.

وكان السؤال الثانى من نفس الجارية خارجًا فى الدهليز.

وكان السؤال الثالث من الحاضرين.

ويقول متى إن الأسئلة الثلاثة كانت كالآتى: الأول من جارية وكان بطرس جالسًا خارجًا فى الدار، والثانى من جارية أخرى فى الدهليز. والثالث من القيام[١].

وفى لوقا نجد أن الأول من جارية وكان عند النار، والثانى من رجل، والثالث من رجل آخر[٢].

ويقول يوحنا: إن الأول كان من الجارية البوابة، وكان الثانى من الواقفين مع رئيس الكهنة، وكان الثالث من واحد من عبيد رئيس الكهنة[٣]،[٤].

وقصة إنكار بطرس برغم اختلاف الأناجيل فى روايتها إلا أنها تثير سؤالا: لماذا أنكر بطرس المسيح؟

وليس بطرس وحده هو الذى أنكر المسيح، بل إن التلاميذ جميعهم هربوا وتركوه، وهذا فى حد ذاته إنكار للمسيح، أو بعبارة أدق: إنكار للمقبوض عليه.

قد يقول قائل: إن بطرس أنكر المسيح ـ والتلاميذ كذلك ـ أمام الناس حتى لا يتعرض له أحد من اليهود بسوء؟

ولكن هذا القول يرده قول المسيح لتلاميذه (وقال لهم يسوع إن كلكم تشكون فىّ فى هذه الليلة)[٥].

---

(١) راجع متى ٢٦: ٥٨ ـ ٧٥.

(٢) راجع لوقا ٢٢: ٥٤ ـ ٦١.

(٣) راجع يوحنا ١٨: ١٦ ـ ٢٧.

(٤) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص١٥٨.

(٥) مرقس ١٤: ٢٧.

وهذا القول يبين معنى الإنكار من بطرس والتلاميذ، إنه إنكار ناتج عن الشك!! أى شكوا جميعًا فى أن يكون هذا المقبوض عليه هو أستاذهم ومعلمهم فلذلك أنكروه، أى أنه ليس إنكارًا نتيجة للخوف من أن يتعرض لهم اليهود بالسوء، ولكنه إنكار ناتج عن شكهم فى الشخص المقبوض عليه هذا الشخص الذى تنبأ به المسيح.

هذا عن موقف التلاميذ من المقبوض عليه قبل القبض وبعده، ويفهم منه: أن أحدًا من التلاميذ لم يحضر محاكمة يسوع، إذ أن الجميع تركوه وهربوا عدا بطرس الذى تبعه من بعيد، وبرغم ذلك فإنه أنكر أنه يعرفه "وخرج إلى خارج بيت رئيس الكهنة"[1] وهذا يعنى:

أولاً: أن الأناجيل فى رواياتها لمقدمات الصلب ليست رواية من شاهد وعاين، لأنه لم يحضر أحد منهم هذه الأحداث، فكيف رواها البشيرون الأربعة؟.

ثانيًا: أن التلاميذ لم يروا المحكوم عليه بالصلب، لأنهم تركوا المسيح بعد القبض عليه ـ على فرض أنه المسيح ـ وهربوا، حتى الذى تبعه من بعيد حين رآه أنكره وأنكر أنه يعرفه.

وهذه المعانى واضحة من روايات الأناجيل.

وهنا يثور السؤال الذى يفرضه هذه المعانى وهو: كيف حكمتم أن الذى تم القبض عليه وحوكم وصلب هو المسيح عيسى بن مريم وأنتم لم تروا هذا الشخص المحكوم عليه بالصلب؟

الصلب

بعد أن تمت المحاكمة ليسوع ـ كما يقولون ـ صدر الأمر من السلطات الرومانية بتنفيذ الحكم وهو إعدام المسيح صلبًا، وقبل التنفيذ أوقع الرومان واليهود به ألوانًا من الإهانة والتعذيب.

---

(١) راجع متى ٢٦: ٧٥، لوقا ٢٢: ٦٢.

يقول مرقس (فمضى به العسكر إلى داخل الدار التى هى دار الولاية وجمعوا كل الكتيبة وألبسوه أرجوانًا[١] وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه عليه. وابتدأوا يسلمون عليه قائلين السلام عليك يا ملك اليهود. وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة ويبصقون عليه ثم يسجدون له جاثين على ركبهم. وبعدما استهزأوا به نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه ثم خرجوا به ليصلبوه)[٢].

سخروا من الشخص المحكوم عليه بالصلب بأنواع من السخرية، فألبسوه ثوب الملوك سخرية منه ومن قوله إنه ملك اليهود. وكذلك أيضًا وضعوا عليه إكليلاً من الشوك ـ وهو لم يكن جزءًا من القصاص القانونى وإنما كان اختراع العسكر الرومانى[٣] ـ وكان قصد عسكر الرومان من وضع هذا الإكليل السخرية أيضًا من المسيح ومن ادعائه أنه ملك. وابتدأوا بعد ذلك بلون آخر من السخرية وهو السلام عليه بسخرية مع الضرب والبصق... إلى غير من ألوان السخرية والتعذيب.

وبعد أن انتهوا من عملية السخرية خلعوا ثياب الأرجوان وألبسوه ثيابه وخرجوا به ليصلب.

وكانت هناك بعض العادات التى تسبق الصلب منها:

حمل الصليب: يقول مرقس: (ثم خرجوا به ليصلبوه. فسخروا رجلاً مجتازًا كان آتيا من الحقل وهو سمعان القيروانى أبو ألكسندرس وروفس ليحمل صليبه. وجاءوا به إلى موضع جلجثة الذى تفسيره موضع جمجمة)[٤]،[٥].

---

(١) الأرجوان: لون صباغة يشمل البنفسجى والقرمزى أو الأحمر، وكانت ثياب الأرجوان غالية الثمن يلبسها الأغنياء وذوو المكانة الرفيعة وكبار موظفى الدولة (أستير ٨: ٢ ـ ١٥، دانيال ٥: ٧، لوقا ١٦: ١٩، رؤيا يوحنا ١٧: ٤) وكان يلبسه الملوك بنوع خاص (قضاه ٨: ٢٦) وعندما ألبس الجند المسيح ثوب الأرجوان قصدوا بذلك السخرية والاستهزاء من قوله إنه ملك (راجع قاموس كالكتاب المقدس ص٤٥).

(٢) مرقس ١٥: ١٦ ـ ٢٠.

(٣) راجع فى ذلك (قاموس الكتاب المقدس ص٥٢٩).

(٤) جمجمة: هى موضع الجلجثة ـ الكلمة الآرامية لكلمة جمجمة ـ حيث صلب يسوع هناك، وهو موضع بالقرب من أورشليم لكنه خارج أسوار المدينة (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٢٦٧).

(٥) مرقس ١٥: ٢٠ ـ ٢٢.

ويتفق متى ولوقا مع مرقس فى أن حامل الصليب كان المدعو سمعان القيروانى، ولكن يوحنا[١] يقرر شيئًا آخر وهو أن المسيح هو الذى حمل صليبه.

يقول يوحنا (أخذوا يسوع ومضوا به. فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذى يقال له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجثة)[٢].

يقول نينهام فى تعليقه على هذا:

"لقد كان المعتاد أن يقوم الذين حكم عليهم بالصلب بحمل صلبانهم بأنفسهم..

ويقرر يوحنا أن هذا كان ما حدث فعلاً فى حالة يسوع، ولكن على العكس من ذلك نجد حسب رواية مرقس ومتى ولوقا أن شخصًا مجهولاً يدعى سمعان القيروانى هو الذى سخره الرومان لحمل الصليب بدلاً من يسوع"[٣].

فمتى ولوقا ومرقس يقررون أن سمعان هو الذى حمل صليب المسيح وهو خلاف المعتاد الذى كان يقع فى بلاد الرومان حين يحكم على أحد بالصلب.

لذلك فإن إنجيل يوحنا يبين أن المسيح هو الذى حمل صليبه بنفسه. فمن الذى حمل الصليب هل هو المسيح بنفسه أم سمعان؟ وأيهما أصح؟.

وبعد أن وصل المسيح إلى موضع الجلجثة أعطوه خمرًا ممزوجة بمر - كما فى إنجيل مرقس - أو خلاً - كما فى متى ولوقا - فلما ذاق لم يقبل أن يشرب - كما فى متى - وبدأت بعد ذلك عملية الصلب.

يقول القس إنسطاسى شفيق (وأخيرًا لما وصلوا به إلى جبل الجلجثة أجروا عليه القضاء الذى نطق به بيلاطس فسمروا يديه ورجليه على الصليب، وأوقفوا الصليب

---

(١) يقوم نينهام فى سبب عدم ذكر يوحنا لسمعان القيروانى كحامل للصليب (ولعل السبب فى حذف هذه الرواية الخاصة بحمل سمعان القيروانى للصليب من إنجيل يوحنا هو أن الوقت الذى كتب فيه الإنجيل الرابع (١٠٠ - ١٢٥م) كان الادعاء بأن سمعان قد حل محل يسوع وصلب عنه) راجع المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص٢٧٢.

(٢) يوحنا ١٩: ١٦، ١٧.

(٣) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص١٦٦.

مركوزًا على الأرض وهو معلق عليه بالمسامير التى ثقبت يديه ورجليه، وحينئذ وصلت آلامه إلى الغاية وأتت الكأس الذى كان يطلب بحرارة أن تعبر عنه)[١].

وصلبوا معه لصين واحدًا عن اليمين والآخر عن اليسار.

يقول مرقس (وصلبوا معه لصين واحدًا عن يمينه وآخر عن يساره... واللذان صلبا معه كانا يعيرانه)[٢].

فاللصان اللذان صلبا مع المسيح كانا يعيرانه ـ كما يقول متى ومرقس ـ بينما يبين لوقا أن أحدهما أخذته الرأفة والشفقة، وطلب منه الدعاء، لذلك وعده المسيح بالفردوس يقول لوقا (وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلاً إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا، فأجاب الآخر وانتهره قائلاً أولاً أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه، أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا. وأما هذا فلم يفعل شيئًا ليس فى محله. ثم قال ليسوع اذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك. فقال له يسوع الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس)[٣].

أما ما فعله المسيح على الصليب فى الاعتقاد المسيحى: فإن لوقا يذكر أن المسيح دعا الله وهو على الصليب أن يغفر لهؤلاء الذين قاموا بصلبه. يذكر لوقا أن المسيح قال: (يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون)[٤].

ثم تروى الأناجيل صرخة يسوع على الصليب، وهى بمثابة الكلمات الأخيرة لهذا المصلوب. يقول مرقس (ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة، وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع قائلاً إلوى إلوى لما شبقتنى الذى تفسيره إلهى إلهى لماذا تركتنى)[٥].

---

(١) الفداء فى إنجيل لوقا ص١٦٨.
(٢) مرقس ١٥ : ٢٧ ـ ٣٢.
(٣) لوقا ٢٣ : ٣٩ ـ ٤٣.
(٤) لوقا ٢٣ : ٣٤.
(٥) مرقس ١٥ : ٣٣، ٣٤.

وهذه الكلمات لاشك أنها تمثل المعاناة والآلام التى كان يشتكى منها المصلوب. وما جاء فى إنجيل متى يشبه الرواية السابقة (لمرقس) غير أنه غيّر القول الأخير (إلوى إلوى لما شبقتنى) إلى القول (إيلى إيلى لما شبقتنى)[١].

وبينما يبرز مرقس ومتى "أن يسوع يصرخ صرخة يأس وهو على الصليب، يبين لوقا ويوحنا أن ذلك لم يحدث من يسوع، لأنه كان يتصف بالوداعة والاطمئنان والاستعداد لتقبل التعذيب والصلب. يقول لوقا: (وكان نحو الساعة السادسة. فكانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة. ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا أبتاه فى يديك أستودع روحى)[٢].

ويقول يوحنا (بعد هذا رأى يسوع أن كل شىء قد كمل فلكى يتم الكتاب قال أنا عطشان. وكان إناء موضوعًا مملوءًا خلاً فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا[٣] وقد موها إلى فمه. فلما أخذ يسوع الخل قال قد أكمل)[٤]

يقول نينهام فى تعليقه على حذف لوقا ويوحنا صرخة يسوع على الصليب "يبدو أن القديسين لوقا ويوحنا قد رأيا فى كلمات يسوع على الصليب غموضًا واحتمالاً

---

(١) متى ٢٧ : ٤٥ ، ٤٦.

(٢) لوقا ٢٣ : ٤٤ ـ ٤٦.

(٣) الزوفى ـ فى المعجم الوسيط ـ مادة لزجة تعلق بأصواف الغنم إذا احتكت بأعشاب وبخاصة فى بلاد أرمينية ويتداوى بها غالبًا لتحليل الأورام. وهو نبات معمر برى طبى من الفصيلة الشفوية، لورقه رائحة عطرية وطعم حريف وهو يؤكل تابلاً) جـ١ ص٤٠٧.

وفى "قاموس الكتاب المقدس" تحت كلمة "زوفا" اسم نبات ذكر عدة مرات فى العهد القديم. ولم يستطع علماء الأحياء من القطع بشىء نهائى بخصوصه. والرأى التقليدى بين اليهود أنه الزعتر أو السعتر، ويظهر من الكتاب المقدس أن هذا النبات استعمل استعمالات متنوعة فاستعمل للتطهير من البرص (لاويين ١٤ : ٤ ـ ٦) ومن الخطيئة (مزمور ٥١ : ٧) ومن الأوبئة (لاويين ١٤ : ٤٩ ـ ٥١) وللطهارة الطقسية (عدد ١٩ : ٦ ـ ١٨) كما استعمل واسطة لرش الدم (خروج ١٢ : ٤٢ وعبرانين ٩ : ١٩) كما استعمل لرفع الإسفنجة المملوءة خلاً للمسيح (يوحنا ١٩ : ٢٩).

والزوفا: أيضًا نبات عطرى الرائحة، له طعم حار فى البداية ثم يحدث برودة فى الفم لذلك يروى ويبرد أكثر من الماء، وينبت فى الجدران وفى الصخور، وأوراقه مشعرة صغيرة، ويستخدم فى شكل حزم صغيرة يمكن أن تحمل السوائل فى داخلها للرش، وربما كانت إضافة الزوفا أو أوراقها إلى الخل فى إسفنجة يخفف آلام المصلوبين) قاموس الكتاب المقدس ص٤٣٨.

(٤) يوحنا ١٩ : ٢٨ -٣٠.

لسوء فهم، ولذلك حذفاها، ثم استبدلها أحدهم بقوله (يا أبتاه أستودعك روحى)، بينما قال الآخر (قد أكمل)[١].

وكانت هذه الصرخة ـ أو كلمات الوداع كما فى لوقا ويوحنا ـ بمثابة الكلمات الأخيرة قبل أن يلفظ أنفاسه ويسلم الروح، فبعدها خرجت روح المصلوب ومات.

يقول مرقس (ركض واحد وملأ إسفنجة خلاً وجعلها على قصبة وسقاه قائلاً اتركوا. لنر هل يأتى إيليا لينزله فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح)[٢].

ويقول يوحنا (فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات. لكن واحدًا من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء)[٣].

صرخ يسوع المصلوب ـ كما يقولون ـ وأسلم الروح وجاءوا إليه ليكسروا ساقيه ولكنهم وجدوه قد مات، وبرغم ذلك طعنه أحد الجنود بحربة فى جنبه وخرج على أثره الدم والماء من جسد المصلوب الذى مات.

ما حدث أعقاب الصلب

ولم تنته حادثة الصلب عند هذا الحد فلقد حدث أعقاب موت المصلوب أن وقعت بعض الخوارق التى تحدثت عنها الأناجيل.

يقول مرقس (انشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل. ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال حقًا كان هذا الإنسان ابن الله)[٤].

ويصف متى هذه الخوارق التى حدثت بوضوح أكثر فيقول:

وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل. والأرض تزلزلت والصخور تشققت. والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين.

---

(١) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص١٧١.
(٢) مرقس ١٥ : ٣٦ ، ٣٧.
(٣) يوحنا ١٩ : ٣٢ ـ ٣٤.
(٤) مرقس ١٥ : ٣٨ ، ٣٩.

وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين. وأما قائد المئة والذين معه يحرسون يسوع فلما رأوا الزلزلة وما كان خافوا جدًا وقالوا حقًا كان هذا ابن الله[١].

ويقول لوقا: "أظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه... فلما رأى قائد المئة ما كان مجد الله قائلاً بالحقيقة كان هذا الإنسان بارًا"[٢].

أما يوحنا فإنه لا يعلم عن ذلك شيئًا.

فلقد حدث أعقاب موت المصلوب أن انشق حجاب الهيكل، وتزلزلت الأرض، وتشققت الصخور، وتفتحت القبور وقام من داخلها أجساد الراقدين، ودخلوا المدينة المقدسة، إلى غير ذلك من الخوارق التى لا يعرف أحد عنها شيئًا، ولا يعلم بها أحد غير كتبة الأناجيل الذين لم يحضروا الصلب.

ويتعجب المرء كيف لا يحضر هؤلاء الصلب ويرون هذه الخوارق التى لا يعلم بها أحد غيرهم!!!

"إن هذه الخوارق والأخبار لو صحت لكانت معلومة مشهورة فى التاريخ يعرفها الخاص والعام، ولدونتها كتب التاريخ على أنها حوادث مفردة عجيبة فى الدهر، ولكن لم يرد لها ذكر فى التاريخ، ولم يعرف الناس أمرها إلا من تلك الكتب"[٣].

نعم إن هذه الحادثة حادثة عظيمة لو صحت لدونها التاريخ العام الذى لم يشر إلى المسيح بكلمة، ولو صحت أيضًا لآمن الرومان واليهود، الصخور تشقق، والأرض تزلزل، والأموات ينشرون، ويسيرون على الأرض، ويراهم الكثيرون، ويبقى بعد ذلك مساغ لإنكار!!! ولكن لم ترد أخبار بإيمان أحد من اليهود على أثر تلك البنيات الباهرات[٤]

(فهى لم تحدث أقل تأثير فى أذهان الناس فى أورشليم فى ذلك الزمان)[٥] وهذا يدل على أنها لم تحدث.

---

(١) متى ٢٧: ٥١ ـ ٥٤.
(٢) لوقا ٢٢: ٤٥ ـ ٤٧.
(٣) محاضرات فى النصرانية ص١٠٤.
(٤) المرجع السابق ص١٠٥.
(٥) ولز: معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثالث ص٧٠٣.

ولقد جزم العلامة المسيحى (نورتن) بكذب هذه الحكاية، وقال فى تكذيبها: هذه الحكاية كاذبة والغالب أن أمثال هذه الحكايات كانت رائجة فى اليهود بعدما صارت أورشليم خرابًا فلعل أحدًا كتب فى حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متى[١] وأدخلها الكاتب فى المتن وهذا المتن وقع فى يد المترجم فترجمها[٢] على حسبه[٣] ـ أى كما وجدها.

ولقد ذكر الشيخ رحمت الله الهندى وجوها لكذب هذه الحكاية فقال:

ويدل على كذبها وجوه: **الأول**: أن اليهود ذهبوا إلى بيلاطس فى اليوم الثانى من الصلب قائلين: يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال فى حياته إنى أقوم بعد ثلاثة أيام، فمر الحارسين أن يضبطوا القبر إلى اليوم الثالث[٤]، وقد صرح (متى) فى هذا الإصحاح أن بيلاطس وامرأته كانا غير راضيين بقتله[٥]، فلو ظهرت هذه الأمور ما كان يمكن لليهود أن ـ يذهبوا إلى بيلاطس، والحال أن حجاب الهيكل منشق والصخور متشققة، والقبور مفتوحة، والأموات حية إلى هذا الحين، وأن يقولوا إنه كان مضلاً؛ لأن بيلاطس كان غير راض بقتله من أول وهلة فلو رأى هذه الأمور أيضا لصار عدوا لهم وكذبهم وكذا كان ألوف من الناس يكذبونهم.

الثانى: أن هذه الأمور آيات عظيمة، فلو ظهرت لآمن كثير من الروم واليهود على ما جرت به العادة، ألا ترى أنه لما نزل روح القدس على الحواريين وتكلموا بألسنة مختلفة تعجب الناس وآمن نحو ثلاثة آلاف رجل كما جاء فى الإصحاح الثانى من سفر الأعمال: وهذه الأمور أعظم من حصول القدرة على التكلم بألسنة مختلفة[٦].

الثالث: أن هذه الأمور العظيمة لما كانت ظاهرة ومشهورة فيستبعد أن ألا يكتبها أحد من مؤرخى هذا الوقت غير "متى"، وكذا لا يكتب أحد من مؤرخى الزمان

---

(١) وذلك على أساس أن إنجيل متى هو الذى وضح تلك الخوارق أكثر من غيره.

(٢) أى على حسب مترجم إنجيل متى، فإن العلماء متفقون على أن إنجيل متى كتب بالعبرانية ولكنه لم يوجد إلا النسخة المترجمة إلى اليونانية.

(٣) راجع إظهار الحق ص١٥٨.

(٤) متى ٢٧: ٦٢ ـ ٦٤.

(٥) متى ٢٧: ١٩ ـ ٢٥.

(٦) خبر نزول الروح القدس يوم الخمسين أورده الشيخ رحمت الله الهندى للإلزام؛ لأنه ذكر بعد ذلك فى كتابه هذا ـ إظهار الحق ـ كذب هذه الواقعة.

القريب من زمان متى، وإن امتنع المخالف عن تحريرها لأجل سوء الديانة والعناد، فإن الموافقين وغير المعاندين لا يمتنعون لا سيما لوقا الذى هو أحرص الناس على تحرير العجائب، وكان متتبعًا لجميع الأمور التى فعلها عيسى ـ عليه السلام ـ كما يعلم من بدء الإصحاح الأول من إنجيله والإصحاح الأول من سفر الأعمال.. وكيف يتصور أن يكتب الإنجيليون كلهم أو أكثرهم الحالات التى ليست بعجائب ولا يكتب سائر الإنجيليين ولا أكثرهم هذه الأمور العجيبة كلها، ويكتب مرقس ولوقا انشقاق الحجاب ويتركا الأمور الباقية؟[١].

فالعجائب التى ذكرتها الأناجيل واضحة الكذب بالوجوه التى ذكرناها.

شهود الصلب من النصارى

لقد بينا سابقًا أن التلاميذ جميعهم حين تم القبض على المسيح تركوه وهربوا ـ حتى بطرس الذى تبعه من بعيد بعد إنكاره للمقبوض عليه لم نسمع عنه شيئًا فى حضوره المحاكمة وغير ذلك ـ ولم يبق مع المسيح أحد منهم، فلم يحضر ولم يشاهد أحد منهم محاكمة يسوع والحكم عليه، وكذا لم يروه أحد منهم وهو يموت على الصليب حتى يتحققوا من شخصيته ويعرفوه.

ولقد ذكرت الأناجيل أن نساءً من أتباع المسيح كن ينظرن من بعيد.

يقول مرقس (وكانت أيضًا نساء ينظرن من بعيد بينهن مريم المجدلية. ومريم أم يعقوب الصغير ويوسى وسالومة. اللواتى أيضًا تبعنه وخدمنه حين كان فى الجليل. وأخر كثيرات اللواتى صعدن معه إلى أورشليم)[٢].

وبمثل هذا جاء فى إنجيل متى (وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد وهن كن قد تبعن يسوع من الجليل يخدمنه. وبينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوسى وأم ابنى زبدى)[٣].

---

(١) إظهار الحق ص١٥٨، ١٥٩.

(٢) مرقس ١٥: ٤٠، ٤١.

(٣) متى ٢٧: ٥٥، ٥٦.

ويقول لوقا (وكان جميع معارفه ونساء كن قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرن ذلك)[١].

ويقول يوحنا (وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية)[٢] يتبين من هذه الروايات أن نساءً شاهدن حادثة الصلب وهن كن واقفات ينظرن من بعيد.

أننى أتوقف قليلاً عند رواية أن النساء وقفن ينظرن من بعيد، ذلك أن النساء ـ معروف ـ أنهن يتصفن بشدة العاطفة وسرعة البكاء، فهل نتصور أن السلطات الرومانية واليهودية سمحت للنساء بالوقوف وهم يعلمون أنهن أتباع هذا المصلوب؟ وهل سمحت لهن بإحداث أصوات وبكاء؟ وكيف نتصور أن تقف النساء دون التعبير عن شعورهن بالحزن على هذا المصلوب؟ إن الأناجيل لا تحدثنا أن النساء أحدثن أصواتا. فكيف يمكن قبول أن يقفن وينظرن دون أن يحدثن أصواتا؟

على أن شهودهن الصلب لا يعتبر حجة؛ ذلك لأن الأناجيل متفقة على أنهن كن ينظرن من بعيد، ومن المحتمل ألا يكن قد تأكدن من هذا المصلوب ـ على أنه يسوع ـ خاصة وأن الآلام والتعذيب التى وقعت له لاشك أنها أحدثت تغييرًا. فكيف استطعن أن يميزين أن هذا المصلوب هو يسوع؟

وبعلق "باريت" على ما ذكره يوحنا من وجود أم يسوع وغيرها حول الصليب بقوله: "إنه من غير المحتمل أساسًا أن يكون قد سمح بوقوف أقارب يسوع وأصدقائه بالقرب من الصلب"[٣].

وفى تعليق دائرة المعارف البريطانية على اختلاف الأناجيل فى شهود الصلب جاء ما يلى:

(نجد فى الأناجيل الثلاثة المتشابهة أن النساء فقط تبعن يسوع، وأن القائمة التى كتبت بعناية واستفاضة لا تضم والدته وأنهن كن ينظرن من بعيد، ولكن فى يوحنا نجد أن والدته مريم تقف مع مريمين أخريين والتلميذ المحبوب تحت الصليب، ومن

---

(١) لوقا ٢٣: ٤٩.

(٢) يوحنا ١٩: ٢٥.

(٣) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص١٧٦.

تلك الساعة أخذها التلميذ المحبوب إلى خاصته. هذا بينما لا تظهر والدته فى أورشليم حسبما ذكرته المؤلفات إلا قبيل عيد العنصرة[١] وفى رفقة إخوته)[٢].

فالأناجيل الثلاثة مرقس ومتى ولوقا ـ تذكر أن مريم والدة المسيح لم تكن من النساء الواقفات، ولكن يوحنا يذكر أن والدة مريم كانت من الواقفات، وكيف تكون مع الواقفات وهى لم تظهر فى أورشليم إلا بعد قيامة المسيح على رأيكم؟ وهكذا اختلفت الأناجيل مرة أخرى ونقول: أيهما أصح؟

من هذا يتبين أن شهود حادثة الصلب إنما كن ـ على أحسن الفروض ـ نساء شاهدن ما شاهدن من بعيد.

لذلك يقول د: سعد الدين صالح (وأتحدى أن يكون حواريًا واحدًا من حوارى عيسى قد شاهد عيسى على الصليب، فقد أجمعت الأناجيل كلها على أن الحواريين قد تركوا أرض المحاكمة ولم يراه واحد منهم مصلوبًا)[٣].

لماذا صلب المسيح

إن الاعتقاد السائد بين المسيحيين أن تقدمة المسيح إلى الصليب كانت بتدبير من الله سبحانه وتعالى.

يقول باركلى (إن الصليب لم يكن حدثًا عارضًا بل كان فى خطة الله الأزلية ونجد هذا المعنى فى سفر الأعمال المرة تلو مرة[٤]، وذلك ليحفظنا من خطأين خطيرين فى تفكيرنا فى موت يسوع:

أ ـ ليس الصلب مجرد حدث طارئ استخدمه الله عندما فشلت الطرق الأخرى لكنه جزء لا يتجزأ من الله نفسه.

---

(١) راجع أعمال الرسل ١: ١٤

(٢) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(٣) مشكلات العقيدة النصرانية ص١٥٤.

(٤) أعمال الرسل ٢: ٢٣، ٣: ١٨، ٤: ٢٨، ١٣: ٢٩.

ب ـ يجب أن لا يتطرق إلى أذهاننا أن أى شىء عمله يسوع غير اتجاه الله نحو الناس ولا أن نقارن بين لطف يسوع ومحبته وبين غضب الله وانتقامه، فإن الله هو الذى أرسل يسوع[١].

ويقول د/ فهيم عزيز (كانت لآلام المسيح أهمية خاصة فى العهد الجديد، فلم يكن الصليب حادثة جاءت عرضًا لسبب سياسى أو دينى، ولكنه كان بعلم الله السابق ومشورته المحتومة، وليس ذلك فقط، بل إن العلامة الحقيقية لابن الإنسان فى العهد الجديد هو: أنه ينبغى أن يسلم لأيدى الرؤساء والكهنة ويقتل)[٢].

ولما كان الصلب بمقتضى تدبير حكمة الله فإن المسيح فهم هذا التدبير وتلك الحكمة فتقدم ـ كما يعتقدون ـ "إلى الصليب بمنتهى حرية إرادته، لم يكن فى لحظة واحدة مترددًا ولا متراجعًا". بمنتهى حريته وإرادته تقدم[٣] إلى الصليب ذلك لأنه لم يكن يتقدم بنفسه بل ممثلاً عن البشرية كلها.

تقدم المسيح إلى الصليب ممثلاً للبشرية ليدخل فى قضاء إلهى وهو يعلم تمامًا ما هو الحكم الذى سيصير[٤].

فالصلب ـ فى نظرهم ـ كان بمقتضى تدبير حكمة الله والمسيح يعلم ذلك، ولذلك تقدم إلى الصليب بمنتهى حريته لأنه يعلم أن وراء هذا التعذيب وهذا الصلب هدفًا وغاية سامية فما هو هذا الهدف؟ وما هى هذه الغاية؟ أن الهدف الأساسى ـ فى العقيدة المسيحية ـ من تحمل المسيح للآلام هو الكفارة!!!

الصلة بين الكفارة وتحمل الآلام

وقبل أن نشرح معنى الكفارة وما ترمز إليه نتعرض لبيان الصلة بين الكفارة وتحمل الآلام.

---

(١) باركلى: تفسير أعمال الرسل ص٤٥، ٤٦.

(٢) المدخل إلى العهد الجديد ص٨٨.

(٣) وهذا القول لا يتفق مع ما ورد من أن المسيح صرخ على الصليب وقال إلهى إلهى لما شبقتنى وهو تناقض واضح.

(٤) مع المسيح فى آلامه حتى الصلب ص٢٠٨.

إن القاعدة التى تصير عليها نظام الكفارة فى المسيحية ما جاء فى سفر العبرانيين (بدون سفك دم لا تحصل مغفرة)[١] أى بدون ذبيحة لا تحصل مغفرة.

والمسيح هو الذبيحة الحقيقية التى بها حصل البشر على المغفرة.

جاء فى "علم اللاهوت النظامى": والذبيحة بحصر المعنى تشير إلى موت المسيح كفارة على الصليب كأنه مذبوح على مذبح لأجل خطايا العالم، على أن حياة المسيح كانت بالإجمال على سبيل الذبيحة، لأن احتمال المشقات والآلام والأحزان والأحمال المقترنة بحياته على الأرض كانت من نوع الذبيحة كما قال هو نفسه ليس إشارة إلى موته فقط بل إلى كل حياته (أما كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده)[٢] فالذبيحة وإن أشير بها غالبًا إلى موته على الصليب تشتمل على كل ما احتمله فى إتمام عمل الفداء على الأرض[٣].

فالمسيحيون يعتقدون أن المسيح هو الذبيحة الحقيقية التى بها يكفر عن خطايا البشر.

أما الصلة بين الكفارة والذبيحة فيقول باركلى (وهناك صلة بين الكفارة والذبيحة، ففى ناموس العهد القديم كان المخطئ يقدم لله ذبيحة يهدف منها إلى جلب رضا الله وإزالة غضبه ورفع العقوبة عنه، لنفترض أن إنسانًا أخطأ فالخطيئة تفسد العلاقة بينه وبين الله، ولكى تعود العلاقة السليمة يقدم المخطئ ذبيحة)[٤] ويقول إنسطاسى شفيق: والذبائح كانت جزءًا من عبادة الله التى وضعها منذ البدء وعلى ذلك نرى فى الكتاب أن هابيل ونوحًا والآباء وإبراهيم وإسحاق ويعقوب قدموا الذبائح[٥].

فهناك صلة بين الذبائح والكفارة حيث إن ناموس العهد القديم يقرر أن الناس كانوا يقدمون الذبائح وكانوا يهدفون من وراءها إزالة غضب الله سبحانه وتعالى

---

(١) عبرانيين ٩ : ٢٢.
(٢) لوقا ٢٤ : ٢٦.
(٣) علم اللاهوت النظامى ص٨٢٢.
(٤) تفسير رسالة رومية ص٧٣.
(٥) الفداء فى إنجيل لوقا ص٣٩.

وجلب الرضا[١]، وهذه الذبائح جزء من عبادة الله التى وضعها الله لعباده منذ أن خلق الله الإنسان.

أما عن أسباب ترتيب الذبائح ـ فيقول عنها أفلاطون مطران موسكو ـ فى الكتاب المقدس نجد سببين لترتيب الذبائح:

الأول: وهو الأساسى: هو معرفة الإنسان أنه خاطئ أمام الله ومستوجب الموت على المنوال الذى به يمات الحيوان المقدم للذبيحة، ولذا أمر الله أن يضع شيوخ الجماعة أيديهم على رأس العجل[٢] وقد كان على الإنسان أن يطلب فاديًا بمجرد شعوره بالخطية.

والسبب الثانى هو: أن الذبائح الناموسية كانت رسمًا للحمل الذى بلا عيب يسوع المسيح الذى مات على الصليب لأجل خطايانا، فإنه كما يحرك الدم المسفوك الإنسان على الجنود الشفقة هكذا دم ابن الله الطاهر يحرك أباه السماوى الذى غضب على خطايانا، وإذا كان دم الحيوان يقدر أن يطهر من الأقذار الجسدية. فبالأحرى كثيرًا دم يسوع المسيح يقدر أن يطهرنا من أدران الخطية، وهذا ما استنتجه بولس حيث يقول (الناموس كان له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء)[٣].

وقد كانت ذبائح الوثنيين أيضًا نافعة، لأنها كانت تصير لهم كسبب ليعرفوا أنهم مستوجبون العقوبة أمام الله وليسلكوا فى الصراط المستقيم فيبلغوا إلى التبرر[٤].

---

(١) راجع فى ذلك سفر اللاويين ٤: ٢٢ـ٢٤ (إذا أخطأ رئيس وعمل بسهو واحدة من جميع مناهى الرب إلهه التى لا يتبغى عملها وأثم، ثم أُعلم بخطيته التى أخطأ بها يأتى بقربانه تيسا من المعز ذكرًا صحيحًا ويضع يده على رأس التيس ويذبحه فى الموضع الذى يذبح فيه المحرقة أمام الرب. أنه ذبيحة خطية).

(٢) راجع فى ذلك لاويين ٤: ١٥، خروج ٢٩: ١٠ ـ ١٩.

ووضع الأيدى على رأس العجل كان يعنى أنهم هم كانوا مستوجبين للذبح لأجل خطاياهم التى كان العجل المقدم عنهم ذبيحة يقبلها على رأسه، وعلى هذا المنوال كان المصريون أيضًا يقدمون ذبائحهم كما روى هيردوتس. (راجع الخلاصة الشهية فى أخص العقائد الأرثوذكسية ص٦٣).

(٣) عبرانيين ٩: ١٠، ١٠: ١.

(٤) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص٦٣.

فالمسيحيون يعتقدون أن الذبائح فرضت على البشر لأنها تعرف الإنسان أنه خاطئ ومستوجب الموت على المنوال الذى به يمات الحيوان المقدم للذبيحة. وهى ـ أى الذبائح ـ رمز للذبيحة الحقيقية وهو المسيح المصلوب. وإذا كانت الذبائح الحيوانية تذبح من أجل الكفارة. فلماذا إذن الحاجة إلى ذبح المسيح وتحمله للآلام؟

يقول باركلى: إن الذبائح الحيوانية فشلت فى تحقيق الكفارة (لأنك لا تسر بذبيحة وإلا فكنت أقدمها. بمحرقة لا ترضى) [١] (بم أتقدم للرب وأنحنى للإله العلى؟ هل أتقدم بمحرقات بعجول أبناء سنة؟ هل يسر الرب بألوف الكباش بربوات أنهار زيت؟ هل أعطى بكرى عن معصيتى ثمرة جسدى عن خطية نفسى) [٢] لقد شعر الناس أن الذبائح لا تكفر عن خطاياهم ولكن بولس هنا[٣] ـ أى فى الإصحاح الثالث من رسالة رومية ـ يقول إن يسوع المسيح بحياته حياة الطاعة الكاملة وبموته موت الحب الكامل قدم نفسه ذبيحة لله كفرت الكفارة الحقيقية عن الخطية. ويقول بولس إن ما حدث على الصليب فتح الباب للعلاقة السليمة مع الله الأمر الذى فشلت فيه كل ذبيحة حيوانية[٤] فالمسيح ذبح على الصليب ـ فى اعتقاد المسيحيين ـ من أجل الكفارة وذلك لأن الذبائح الحيوانية فشلت فى تحقيق هذه الكفارة.

وهناك سبب آخر يقول عنه أفلاطون مطران موسكو: أما الذبيحة التى كانت تقوم بتقدم الحيوانات فلم تكن كافية لاستعطاف الله، فقبل ذلك ابن الله وسيطنا واحتمل الآلام والموت بدلاً من الإنسان الذى خطئ وحل العقاب الذى احتمله المخلص البرئ لنا محل القصاص الذى كنا نستحقه.

وموت المسيح ذبيحة لأن المسيح قدم ذاته على الصليب وذبح كحمل عادم الشر لكى يستعطف الله[٥].

---

(١) مزمور ٥١: ١٦.

(٢) ميخا ٦: ٦، ٧.

(٣) رومية ٣: ٢٤.

(٤) تفسير رسالة بولس إلى أهل رومية ص٧٣.

(٥) الخلاصة الشهية ص٩٥.

فالمسيح ذبح وتحمل الآلام والتعذيب ـ فى اعتقاد المسيحيين ـ من أجل التكفير عن خطايا البشر، لأن الذبائح الحيوانية فشلت فى التكفير عن الخطية هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن الذبائح الحيوانية لم تكن كافية لاستعطاف الله

وهنا نقف لنقول:

أما أنها فشلت فى التكفير عن الخطية فهذا خطأ، فإن هابيل قدم قربانًا إلى الله والله قبل قربانه بدليل أن أخاه قايين اغتاظ منه وقتله.

يقول سفر التكوين (وحدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قربانًا للرب. وقدم هابيل أيضًا من أبكار غنمه ومن سمانها. **فنظر الرب إلى هابيل وقربانه.** ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر. فاغتاظ قايين جدًا وسقط وجهه..)[1].

والعهد القديم يفيد أيضا بأن الرب قبل ذبائح نوح.

يقول سفر التكوين (وبنى نوح مذبحًا للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة واصعد محرقات على المذبح. فتنسم الرب رائحة الرضا. وقال الرب فى قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضًا من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته. ولا أعود أيضًا أميت كل حي كما فعلت)[2] فلو كانت الخطية ـ أى خطية آدام ـ لا زالت عالقة بأبنائه فإن أبناءه كفروا عن خطاياهم بالذبائح الحيوانية. وهذه الذبائح الحيوانية قبلها الله سبحانه وتعالى، ولو لم تكن هذه الذبائح كافية لما قبلها الله وردها ولا قال (لا أعود أميت كل حى) على أساس أن الموت جزاء الخطية ـ كما تقولون .

وهنا دليل آخر أوضح وهو أن ذبائح موسى وقومه كانت سببا فى نجاتهم من عذاب الرب، فلو لم تكن الذبائح الحيوانية كافية فى التكفير عن الخطية لما نجا موسى وقومه من عذاب الرب، ذلك أن العذاب مترتب على الخطية، فلو لم تكن الذبائح

---

(١) تكوين ٤: ٣ ـ ٥.
(٢) تكوين ٨: ٢٠ ـ ٢١.

الحيوانية كافية فى التكفير عن الخطية لما نجا الله موسى قومه من عذاب الرب، ذلك أن العذاب مترتب على الخطية، فلو لم تكن الذبائح الحيوانية كافية لعذبوا حتى ولو بجزء من هذا العذاب وهو ما لم يقع، فدل على أنها كافية لنجاة الإنسان من العذاب أى كافية للتكفير عن الخطية.

ففى سفر الخروج فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل وقال له اسحبوا وخذوا لكم غنما بحسب عشائركم واذبحوا الفصح، وخذوا باقة زوفا واغمسوها فى الدم الذى فى الطست ومسوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذى فى الطست.. فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين. فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب)[1].

فالذبائح كانت سببا لنجاة موسى وقومه من عذاب الله الذى عذب به المصريين. هذا عن السبب الأول.

أما عن السبب الثانى وهو أن الذبائح الحيوانية ليست كافية لاستعطاف الله فإن معنى ذلك أن الله يستفيد من هذه الذبائح الاستعطاف وعدمه!!! وهل يليق بنا أن نصف الله بأنه محتاج إلى ذبائح لاستعطافه؟ على أننا نقول ـ بنفس المنطق إن ذبائح نوح كانت كافية لاستعطاف الله بدليل أن الله قال (لا ألعن أحدا بعد ذلك ولا أعود أميت كل حى كما فعلت).

وهكذا نرى أن الذبائح الحيوانية كانت تكفى للتكفير عن الخطية ـ على فرض أنها مقصودة لذاتها للتكفير عن الخطية ـ وإن كنا لا نسلم أنها مقصودة لذاتها.

الكفارة وما تعنيه

إن الهدف الأساسى ـ كما يقولون ـ من تحمل المسيح الآلام والتعذيب وموته على الصلب هو الكفارة.

والكفارة هى: "عمل المسيح الذى تم بواسطة طاعته الكاملة اختيارًا لمشيئة الله ولأجل خلاص البشر من لعنة الشريعة ومصالحتهم مع الله. وتلك الكفارة لم تكن لأجل نفسه بل لأجل الجنس البشرى الساقط كما قيل.

---

(١) خروج ١٢ : ٢١، ٢٣.

"فإن المسيح أيضا تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة لكى يقربنا إلى الله"[١] وقيمة تلك الكفارة مبنية على كون ابن الله الأزلى كم قيل هذا هو ابنى الذى به سررت [٢].

ويصح أن ننظر إلى كفارة المسيح ـ كما يقولون ـ من أوجه مختلفة باعتبار نسبتها إلى الله أى إلى محبته وقداسته وعدله. أو باعتبار نسبتها إلى الإنسان أى فعلها فيه ولأجله وقد اصطلح اللاهوتيون على ألفاظ تعبر عن هذه النسب المختلفة، فقيل مثلا إن كفارة المسيح تكفير عن الخطية، وترضية لله، وإيفاء العدل حقه، وأن المسيح تمم عمله الكفارى بالنيابة عنا"[٣].

ويتبني من تعريف المسيحيين للكفارة ما تعنيه آلام المسيح من الكفارة العامة بأوجهها المختلفة.

أوجه كفارة المسيح:

أولا ـ دعوى آلام المسيح تعنى التكفير عن الخطية وما أحدثته (الموت):ـ

كما قلنا سابقا إن المسيحيين يعتقدون أن الإنسان ورث الخطية عن آدم، وأنه لا يستطيع أى إنسان أن يكفر عن هذه الخطية، ولم يستطع أحد سوى المسيح الذى قبل أن يتجسد فى صورة بشرية من أجل أن يتحمل الآلام ويموت على الصليب ليتحمل الخطية، ذلك أنهم يعتقدون أن أجرة الخطية هى الموت، والتكفير عنها لا يتم إلا بواسطة الموت أى موت ابن الله على الصليب.

ولما كان التكفير عن الخطية لا يتم إلا بواسطة المسيح ابن الله فكان لابد ـ كما يقولون ـ أن يتخذ كلمة الله جسدًا بشريا مثل أجسادنا لكى يستطيع أن يتمكن من الموت على الصليب ويرفع حكم الخطية عن الجنس البشرى.

يقول كلايد تارنر: فالمسيح بموته مصلوبا فتح طريق الخلاص للخطاة.

---

(١) ١ ـ بطرس ٣ : ١٨.

(٢) متى ٥ : ١٧

(٣) علم اللاهوت النظامى ص ٨٢٢

إن كلمة الله تقول (أجرة الخطية هى موت[١]) وأكثر من هذا فهى تعلن أن الكل خطاة أمام الله (إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله[٢]) فكيف يستطيع الله إذن أن يخلص أى إنسان ببره ويعضد ناموسه؟

إن صلب المسيح هو الجواب عن هذا السؤال (متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله لإظهار بره فى الزمان الحاضر ليكون بارا ويبرر من هو من الإيمان بيسوع [٣] إن تعليم الكتاب الواضح هو أن موت المسيح كان بديليا[٤]).

إن يسوع المسيح قبل الموت ليس فقط لأجل الإنسان بل بدلا من الإنسان، أى أن ذلك القدوس البار الخالى من كل خطية وعيب وهو الوحيد الذى استطاع أن يتحدى اليهود بالقول (من منكم يبكتنى على خطية[٥]) صار هو نفسه كما يقول بولس خطية لأجلنا لأنه جعل الذى لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه [٦]) فالغرض من هذا الموت هو أن يأخذ يسوع مكاننا كخطاة أمام الآب أى أنه يصبح هو نفسه الذى لم يعرف خطية، خطية لأجلنا، فعلى الصليب أخذ يسوع مركز الإنسان الخاطئ المتمرد، والمجرم العاصى، والمبتعد عن الله، وبالتالى الإنسان المرفوض من الله، وعندما احتل المسيح مكان هذا الإنسان الخاطئ المرفوض، وشرب الكأس إلى نهايتها، وذاق مرارتها وعلقمها القاسيتين (صرخ بصوت عظيم قائلا إيلى إيلى لما شبقتنى[٧]).

فالمسيح بموته على الصليب ـ كما يعتقدون ـ حل محل الإنسانية فى التكفير عن الخطية والتكفير عن عقاب الخطية وهو الموت. (فالموت والخطية قد قهرا على

---

(١) رومية: ٦ : ٢٣.
(٢) رومية: ٣ : ٢٣.
(٣) رومية: ٣ : ٢٤ ـ ٢٦.
(٤) كلايدتارنر: هذه عقائدنا ص ٨٣.
(٥) يوحنا ٨ : ٤٣.
(٦) ٢ـ كورنثوس ٥ : ٢١.
(٧) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٤٦.

الصليب، والرب الذى بلا خطية والذى لم يكن خاضعا للموت اتخذ طبيعة آدم البشرية بتجسده من الروح القدس والعذراء مريم. اتخذ طبيعة بشرية غير محطمة أو مشوهة بالخطية، ثم بذوقه الموت عنا بإرادته حررنا من الخطية والموت[١])

وبذلك يكون الصليب هو الكفارة عن الخطية وعن الموت.

ويعتقدون أن الصلب ليس كفارة عن الخطية الأصلية فقط ـ أى خطية آدم ـ بل كفارة عن الخطايا الفعلية أيضا يقول بولس (وإذ كنتم أمواتا فى الخطايا وغلف جسدكم أحياكم معه مسامحًا لكم بجميع الخطايا[٢]).

بل وأكثر من ذلك ـ فلقد جعلوا موت المسيح على الصليب ليس كفارة عن الخطايا والموت الذى هو أجرة الخطية فقط بل موت المسيح على الصلب أمات الأهواء والشهوات فى الإنسان وأصبح الإنسان بهذا الموت إنسانا جديدا.

يقول الأب متى المسكين (يموت الجسد وتموت فيه كل الأهواء مع الشهوات ويموت العالم من داخل النفس ويخلص الإنسان من طوفان هلاك محيط[٣]).

ولا شك أن هذا لا يتفق مع ما نراه من حالة النصارى قديما وحديثا، فلازالوا هم حالتهم الطبيعية أى من وجود الشر والخير معا ـ ولم تتغير حالتهم بالصورة التى حدثوا عنها وجعلوها علة لموت المسيح على الصليب.

ثانيا ـ دعوى تحمل المسيح الآلام من أجل المصالحة مع الله:

لقد قلنا سابقا ـ إنهم يقولون ـ إن الخطية أحدثت انفصالا بين الله والإنسان وأحدثت عداوة شديدة بينهما والتى بسببها أصبح الإنسان شريرا فاسدا بطبيعته.

وإذا كان المسيح قد مات على الصليب من أجل أن يكفر عن الخطية التى ورثها الإنسان من آدم أو بمعناها العام الشامل للتكفير عن الخطايا الأصلية والفعلية وإماتة الشهوات والأهواء فإن هذا يعنى أن هذا التكفير يعنى المصالحة مع الله ورفع عرى الانفصال بين الإنسان وبين الله.

---

(١) باسيليوس: سر الفداء ص ٢١.
(٢) كولوسى: ٢ :١٣.
(٣) الأب متى المسكين: القيامة والصعود ص ١٨٧.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: إن الغرض من الآلام التى اجتازها السيد هو المصالحة (أى إن الله كان فى المسيح مصالحا العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم وواضعا فينا كلمة المصالحة[١]) هذا هو السبب الذى من أجله صار الله إنسانا وتألم، إنه أراد أن يضع يده فى يد الإنسان الخاطئ، فعلى الصليب علق المسيح كخروف الفصح حمل الله الذى يرفع خطية العالم وبهذه الذبيحة وبهذا الموت استطاع المسيح أن يصالح الله القدوس من الإنسان الشرير الخاطئ، لأن ـ الإنسان كان فى عداوة مستحكمة من الله.

فبالسقوط أعلن الإنسان حربا شعواء ضد الله وضد وصاياه، ولكن الله فى محبته التى لا تقاس جاء إلى الإنسان فى شخص يسوع المسيح ومد يده طالبا المصالحة، لأن الله منذ الأزل وقبل تأسيس العالم قد أحب الإنسان وأحبه إلى المنتهى[٢].

فالمسيح جاء فى صورة إنسان وتحمل الآلام من أجل مصالحة هذا الإنسان مع الله (فالمصالحة يعبر بها عن عمل المسيح باعتبار نتيجته أو مفعول فى إزالة المخالفة بين الله والخطاة ودعيت تلك النتيجة المصالحة[٣]).

يقول بولس (لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيرا ونحن مصالحون نخلص بحياته. وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضا بالله بربنا يسوع المسيح الذى نلنا به الآن المصالحة[٤]).

ويقول (ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلا العداوة به[٥]).

ويقول (وأن يصالح به الكل لنفسه الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما فى السموات[٦]).

---

(١) ٢ كورنثوس ٥ : ١٩.
(٢) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٤٨.
(٣) علم اللاهوت النظامى ص ٨٢٨.
(٤) رومية ٥ : ١٠ ، ١١.
(٥) أفسس ٢ : ١٦.
(٦) كولوسى ١ : ٢٠.

فتحمل المسيح الآلام وصلب من أحل التكفير عن الخطايا، ومن أجل مصالحة الإنسان مع الله، فالصلب ـ كما يعتقدون ـ أزال الخطية التى أبعدت الإنسان عن الله، وأعادت الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى.

يقول جون ستوت: (إن الخطية إذْ أبعدتنا عن الله وحالت بيننا وبينه وفصمت عرى شركتنا معه جاء الصليب فصار هو الكفارة عنها، وفيه كان السداد لدينها ومن ثم عبر بنا هذا العائق الذى كان يحول دوننا وإلهنا، فأحل السلام محل العداوة وأحل الحياة مكان الموت الذى كان ثمرة للخطية[١]) فالمسيح بموته عى الصليب ـ كما يعتقدون ـ رفع الحجاب الذى كان يفصل الإنسان عن الله أى الخطية، وبموته على الصليب أيضا أمات العداوة التى كانت تفصل قداسة الله عن الإنسان.

ثالثا: دعوى موت المسيح على الصليب من أجل إيفاء العدل حقه، وللجمع بين صفتى العدل والرحمة:

لقد قلنا سابقا إن أجرة الخطية الموت ـ كما يقولون ـ وإن عدالة الله توجب أنه لكى ينال الإنسان العفو لابد من التكفير عن هذه الخطية، والإنسان لا يستطيع أن يقوم بهذه الكفارة لأنه يحمل طبيعة خاطئة وفاسدة، والذى يستطيع وحده أن يقوم بذلك هو كلمة الله الذى تجسد فى صورة بشرية من أجل تحمل عقاب الخطية وهو الموت وبذلك يوفى العدل حقه. ففى "علم اللاهوت النظامى" (أن عدل الله يطلب قصاص خاطئ، وأن المسيح أخذ على نفسه ذلك القصاص، وأن المسيح أخذ على نفسه قصاص خطايانا ليوفى العدل حقه بالنيابة عنا[٢]).

ويقول (فغاية كفارة المسيح هو إيفاء عدل الله إيفاءً كاملا لينال بها المؤمنون المصالحة مع الله، والميراث الأبدى فى ملكوت السماء، وقد تمت تلك الغاية بقيام المسيح مقام الخطاة وعمل كل ما يطلبه ناموس الله وعدله من الخاطئ، سواء كان من باب الطاعة أو من باب احتمال لعنة الشريعة وقصاصها، حتى إن الناموس لا

(١) جون ستوت: المسيحية فى جوهرها ص ١٣٢.
(٢) علم اللاهوت النظامى ص ٨٤٨.

يدين بعد ذلك من آمن بالمسيح، لأنه لم يبق بعد للعدل أن يطلب من الخاطئ غير ما عمله المسيح واحتمله لأجل الخطاة. ولا ريب أن عمل المسيح هذا هو إيفاء كاف لسبب ماهيته الذاتية، ولذلك كان للمؤمنين به نصيب فى رحمة الله ورضوانه، فلا يمكن إجراء الدينونية عليه، لأنه لم يبق بعد للعدل ما يطلبه، كما أن الجارم حسب الشرع البشرى هذا إذا احتمل ما يفرضه الشرع جزاء لذنبه لا يبقى عرضة للدينونة لا يعاقب عدلا على ذلك الذنب[١].

فالمسيح بموته على الصليب ـ كما يعتقدون ـ قد دفع ثمن الخطية وبذلك أوفى عدل الله إيفاءً كاملا ولذلك لا ينال عقاب الدينونة ـ أى عقاب دين الخطية ـ كل من آمن بالمسيح ذلك لأن المسيح كفر عنها، وما دام قد كفر عنها فإن الإنسان لا يعاقب على الخطية مرة ثانية وبهذا فقد أوفى العدل حقه.

وكذلك فإن موت المسيح على الصليب ـ كما يعتقدون ـ كان هو الطريق الوحيد للجمع بين صفتى العدل والرحمة. ذلك أن العدل يقتضى المعاقبة على الخطية وللجمع بين هاتين الصفتين تحمل المسيح الآلام وصلب.

يقول إبراهيم لوقا: إن المسيحية تعلم أن الله لكى يجمع بين عدله ورحمته فى تصرفه مع الإنسان عقب سقوطه دبر طريقة فدائه بتجسد ابنه الحبيب وموته على الصليب نيابة عنا، وبهذا أخذ العدل حقه، وتكملت الرحمة فنال البشر العفو والغفران[٢]).

يعتقد المسيحيون أن من صفات الله العدل والرحمة ويمتقضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطية التى ارتكبها أبوهم وطرد بها من الجنة واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها، وبمتقضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر.

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص ٨٤٤.

(٢) المسيحية فى الإسلام ص ١٦٩.

ولم يكن هناك من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيده، وقبوله أن يظهر فى صورة إنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يصلب ظلما ليكفر عن خطيئة البشر[١].

فالطريق الوحيد فى اعتقادهم للجمع بين صفتى العدل التى تقتضى المعاقبة على الخطية، والرحمة التى تقتضى العفو عن السيئات هو موت المسيح ابن الله ليصلب، فبالصلب يتحقق - فى نظرهم - التوافق بين هاتين الصفتين. فبموت المسيح على الصليب أو فى العدل حقه لأنه عوقب بأجرة الخطية - وهو الموت، وبتكفير الخطيئة تتحقق صفة الرحمة أى رحمة الله للبشر إذ كفر عنهم خطيئة آدم بصلب ابنه.

رابعا: دعوى موت المسيح لأجل الخطاة كأعظم دليل على محبة الله للإنسان:

يعتقد المسيحيون - أن موت المسيح لأجل التكفير عن الخطيئة والتى ينتج عنها المصالحة مع الله من أعظم الأدلة على محبة الله سبحانه وتعالى للإنسان.

يقول باركلى (إن موت المسيح لأجلنا هو أعظم برهان على محبة الله لنا، فمن الصعب أن تجد رجلا يموت لأجل شخص صالح، وربما أمكننا أن نجد شخصا يقبل الموت لأجل مبدأ عظيم صالح، وقد نجد من يظهر محبة أكثر بأن يموت لأجل صديق ولكن المذهل فى المسيح هو أنه مات لأجل خطاة أشرار فى حالة العداوة مع الله وليست هناك محبة أعظم من هذا[٢]).

ويقول باسيليوس (إن محبة الله هى القوة المحركة وراء السر الفائق الفهم الخاص بالذبيحة الاختيارية التى قدمها ابن الله المتجسد على الصليب لكى يخلص العالم[٣]).

(والله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا فبالأولى كثيرا ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب[٤]) إن الصليب أسمى تعبير عن محبة الله لنا[٥]).

---

(١) الإنجيل والصليب ص ٦، ٧.
(٢) تفسير رسالة رومية صـ ٩١.
(٣) سر الفداء صـ ٢٠.
(٤) رومية ٥ : ٨، ٩
(٥) سر الفداء ص ٢٠.

فالموت على الصليب فى نظر المسيحيين يحقق العدالة الإلهية وفى نفس الوقت تعبير عن محبة الله سبحانه وتعالى للإنسان.

خامسا: الصلب من أجل الكفارة يفوق الفهم:

بقى أن نقول إنهم يقولون إن صلب المسيح من أجل الخلاص إنما هو يفوق الفهم. لا تستطيع العقول أن تدرك هذا العمل تمام الإدراك.

يقول جون ستوت: على الرغم من أن الصليب هو ذلك الحدث التاريخى الذى تدور فى فلكه سائر أحداث التاريخ فإن عقولنا لتعجز عن إدراكه تمام الإدراك، ومع ذلك فإن اليوم لا محالة آت .. حين ترفع الحجب وتحل الألغاز وتنكشف الأسرار.. فنرى المسيح كما هو ونعيده إلى أبد الآبدين من أجل صنيعه معنا.. أما الآن فإننا كمن ننظر فى مرآة فى لغز، لكن حينئذ وجها لوجه[١].

ويقول باسيليوس (إن كل عمل المسيح الخلاصى وخاصة صلبه على خشبة الصليب وموته الفادى (المنقذ) هو سر يفوق الفهم ويفوق التعبير، وإن معنى هذا السر ومدلوله لا يمكن أن يعبر عنه بلغة العقل البشرى تعبيرا كاملا ودقيقا بدون خطر تشويه هذا السر وتضيق معناه. إن صليب المسيح سيظل أمرا غير مقبول بل ومنفرًا للعقل البشرى بدون عمل النعمة، بينما هو لنا نحن المؤمنين قوة الله غير المغلوبة والفائقة للفهم [٢] فموت المسيح على الصليب من أجل الخلاص - كما يقول المسيحيون - إنما هو سر يفوق العقل البشرى، بل إنه - أى الصلب - حادثة تفوق الفهم والتصور العقلى، لذلك فهم يقولون يجب ألا نفكر فيها بعقولنا وإنما يجب أن نؤمن بها بقلوبنا.

ويقولون إنه يأتى اليوم - يوم القيامة - الذى تنكشف فيه الحقيقة للنفس على وجهها يوم تتجلى كل الأشياء لها يوم القيامة.

وذلك حق فإنهم لا يعلمون حقيقة عقائدهم وحقيقة فسادها إلا يوم أن يحاسبهم الله عليها.

---

(١) المسيحية فى جوهرها ص ١٣٨.

(٢) باسيليوس: سر الفداء ص ٦.

مناقشة دعوى صلب المسيح

أولا ـ إن دعوى صلب المسيح قائمة على أساس روايات الأناجيل التى تحدثت عن الصلب وما يتصل به من أحداث.

والأناجيل بوجه عام لم تسلم من النقد ـ كما بينا فى المدخل العام لهذا الكتاب ـ من حيث فقدان السند المتصل، ومن حيث ما وقع فيها من أخطاء لا يصح أن يوجد مثلها فى كتاب يدعى أصحابه أنه من عند الله. هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فإن نصوص العهد الجديد التى تحدثت عن الصلب وما يتصل به من أحداث متناقضة ومتعارضة، إذ "لم تختلف الأناجيل فى مسألة من المسائل كاختلافها فى تفصيل مسألة صلب المسيح وقتله، فلا تكاد جزئية من الجزئيات فى أحدها تتحد مع الجزئية نفسها فى إنجيل آخر، ولما كانت هذه الأناجيل من تأليف قوم يدعى المسيحيون لها الإلهام، ويعتقدون خلوها من الخطأ كان ينبغى أن تكون كتابتهم فى هذه الحادثة المهمة ـ التى هى مناط النجاة ودعامة الإيمان فى نظرهم ـ متطابقة متوافقة بحيث لا يكون فيها اختلاف أصلا، إذ النفس لا تطمئن إلى الأخذ بروايات إذا اتفقت فى موضع واحد من قصة ـ جاءت فى جميعها ـ فإنها تتخالف فى مواضع كثيرة، وإذا لم يكن الرواى أمينا كل الأمانة كانت الثقة بروايته ضعيفا والتصديق بها غير سائغ[١]".

وفى الحق أن من يراجع الأناجيل وخبرها فى القبض على المسيح وحبسه، ثم محاكمته وصلبه فى زعم النصارى، يجد الاختلاف فى أخبارها اختلافا بينا، ولو كان بعض هذا الاختلاف فى شهادة اثنين يشهدان فى درهم ما ثبت بشهادتهما دعوى، ولا انتصر بها حق[٢] فكيف إذا كان هذا الاختلاف فى عقيدة هى أساس الديانة ورأس عقائدها. فالاختلاف بين الأناجيل فى روايات الصلب يجعلنا لا نثق بها. ذلك أن الاختلاف بينها يوحى بأنه لابد أن يكون واحد منها صادقا والآخر

---

(١) الشيخ عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء ص ٤٣٣، ٤٣٤.

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ١٠٣.

كاذبا، فمن الصادق؟ ومن غير الصادق؟ ولما كان الصادق منها غير متعين فالشك يرد على الجميع، حتى يثبت الصحيح منهما، ويقوم الدليل على صدقه، وهو ما لا يستطيع أحد أن يثبته ويبينه ويوضحه.

(فالشك معلق بها جمعيا مما يجعلنا نسقطها جميعا من مجال الاستدلال، لأن العقلاء يقولون: الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال[١]).

ثانيا: نقول إن الصلب لم يشهده أحد من تلاميذ المسيح، ولا أحد ممن كتبوا الأناجيل والرسائل، ذلك أن الجميع تركوا المسيح وهربوا، وهذا يعنى أن رواياتهم ليست رواية من عاين وشاهد مما يجعلنا نشك فى مصدر هذه الروايات. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى (فإن نصوص العهد الجديد التى تحدثت عن الصلب وما يتصل به من أحداث منقولة نقلا آحاديا [٢] لا يفيد القطع واليقين، ولا تصلح أن تكون مستندا يثبت به أمر من الأهمية مثل مالمسألة صلب المسيح التى يجعلها النصارى أساس إيمانهم وسبب نجاتهم[٣]).

ولذلك يقال النصارى ما ادعيتموه من قتل المسيح وصلبه أتنقلونه تواترا أو آحادا، فإن زعموا أنه آحاد لم يقم به حجة ولم يثبت به العلم الضرورى، إذ الآحاد لا يؤمن عليهم السهو والغفلة والتواطؤ على الكذب، فلا يحتج بها فى القطيعات.

وإن عزوا ذلك إلى التواتر قلنا لهم: شرط التواتر استواء الطرفين فيه والواسطة. وهو أن ينقل الجم الغفير عن الحجم الغفير عن الذين شاهدوا المصلوب وعلموا به ضرورة .. فإن اختل شرط من ذلك فلا تواتر، فإن زعموا أن نقلهم قتل وصلب المسيح بهذه الصفة أكذبتهم نصوص الإنجيل الذى بأيديهم؛ حيث تصرح بأن المأخوذ للقتل كان فى شرذمة يسيرة من تلاميذه، فلما قبض عليه هربوا بأسرهم ولم يتبعه سوى بطرس من بعيد، فلما دخل الدار حيث اجتمعوا نظرت جارية منهم إلى

---

(١) مشكلات العقيدة النصرانية ص ١٥٦.

(٢) راجع فى ذلك الفصل فى الملل والنحل لابن حزم جـ١ ص ٥٨.

(٣) د/إبراهيم سلامة: القرآن وعقائد أهل الكتاب (رسالة دكتوراة مخطوطة بكلية أصول الدين ـ القاهرة) ص ٢٧١.

بطرس فعرفته ـ فقالت: هذا كان مع يسوع، فحلف أنه لا يعرفه، ولا يقول بقوله، وخادعهم حتى تركوه وذهب، وأن شابا آخر تبعه وعليه إزار فتعلقوا به فترك إزاره فى أيديهم وذهب عريانا، فهؤلاء أصحابه وأتباعه. لم يحضر منهم ولا رجل واحد بشهادة الأناجيل، وأما أعداؤه من اليهود الذين تزعم النصارى أنهم حضروا الأمر فلم يبلغوا عدد التواتر، بل كانوا آحادا وأفرادا، وهم أعداؤه فيحتمل تواطؤهم على الكذب على عدوهم، إيهاما أنهم ظفروا به، وأنهم بلغوا أمانيهم فيه، فلا يقبل إخبارهم بقتله وصلبه[1].

فروايات الأناجيل عن الصلب وغيره ليست روايات متواترة، بمعنى أنها لم تتوافر فيها رواية جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب حتى تصل إلى الجمع الذين شاهدوا هذه الحوداث، فحوادث الصلب لم ينقلها جمع عن جمع فضلا عن أن يكونوا صادقين فى رواياتهم، لأن الذين شهدوا هذه الأحداث هم الأعداء فليس من المستبعد أن يكذبوا فى رواياتهم لها مما يجعلنا لا نسلم بها لفقدان التواتر الداعى إلى الثقة.

إن صلب المسيح وما يترتب عليه هو أساس الديانة المسيحية والذى يجب أن يكون هو الأقوى فى التواتر والصدق فى الرواية وهو ما لم يتوافر له مما يجعل الاطمئنان إلى صحته بعيدا كل البعد لأنه لم يتوافر له دواعى الاطمئنان إلى صحته كاملا.

ثالثا ـ إن روايات الأناجيل لحادثة الصلب تثير الشك فى هذه القضية من حيث إن الأناجيل تبين أن الصلب بمقدماته وأحداثه لم يستغرق أكثر من أربع وعشرين ساعة وهو ما لا يمكن حدوثه بحال من الأحوال.

يقول د/حنا جرجس الخضرى "إن الشئ الأول الذى يلفت النظر هو سرعة البت فيها، وتبعا لما ذكر فى الأناجيل لم تستمر محاكمته يسوع أكثر من ٢٤ ساعة، من وقت القبض عليه إلى أن رفع على الصليب، وأما هذه السرعة تساءل الكثيرون: كيف يمكن أن تتم هذه العملية بهذه السرعة؟ وكيف يمكن قضائيا وعمليا أن يقوم

(١) المنتخب الجليل لأبى الفضل السعودى ص ١١١.

يسوع بعمل العشاء الربانى فى العلية، والذهاب إلى جبل الزيتون، والصلاة ثلاث مرات، ثم حضور يهوذا مع الجند للقبض عليه، ثم إحضاره إلى رئيس الكهنة حنان ـ واستجوابه، ثم إحضاره إلى رئيس الكهنة قيافا واستجوابه، ثم إحضاره أمام بيلاطس وبيلاطس يرسله إلى هيردوس، وهيردوس يرجعه إلى بيلاطس، وهذا الأخير يقدمه إلى الشعب مقترحا عليهم اسم باراباس، وأخيرا يسلمه للصلب فيصلب؟ كل هذه الأحداث بما تتضمنه من مناقشات وأسئلة ومداولات قضائية وغير قضائية تمت فى أربع وعشرين ساعة[١]).

ويقول (والمشكلة التى تعترض سبيلنا فى هذه القضية هى: هل يمكننا من الناحية القضائية والناحية العملية تنفيذ هذه الأحداث الكثيرة فى مدة أربع وعشرين ساعة؟)[٢].

الواقع إن مثل هذه الأحداث ـ سواء من الناحية القضائية أو من الناحية العملية ـ لا يحكم أن تحدث فى مثل هذا الوقت القصير، وإن أقل حدث فيها يستغرق مدة تزيد عن هذه المدة، فلو أخذنا مثلا واحدا لتبين ذلك:

إن محاكمة يسوع أمام بيلاطس، والمناقشات التى وقعت فى هذه المحاكمة، ثم الذهاب به إلى الجليل للمثول أمام هيردوس لمحاكمته، والرجوع به من الجليل إلى أورشليم مرة ثانية وصلبه. لا يمكن أبدا التسليم أن هذه الحادثة وقعت فى مدة قصيرة؛ إذ أن الجليل فى الشمال، وأورشليم فى الجنوب، وهى تبعد عنها بأميال مما يستحيل معه أن يذهبوا بيسوع إلى الجليل ثم يرجعوا به فى نفس اليوم، مما يجعل الاعتراض قائما وهو: كيف يمكن أن تحدث هذه الأحداث فى أربع وعشرين ساعة؟ وهو مشكلة تعترض التسليم بصحة هذه القضية وتثير الشك فى صحة حدوث هذه الحادثة.

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٤٣.

(٢) المرجع السابق ص ٣٤٤.

رابعا: وعلى فرض أن صلبا حدث فإن المصلوب ليس بالضرورةأن يكون هو عيسى بن مريم، وهذا أيضا من واقع روايات الأناجيل ذاتها، ويتبين ذلك من وجهين:

الوجه الأول: وقوع أحداث لعيسى بن مريم قبل الصلب تدل على ان هناك تغيرا حدث، مما يتعذر معه التسليم بسهولة بأن يكون عيسى بن مريم قد وقع فى أيدى اليهود والرومان وصلب.

من هذه الأحداث ما يسمى (بحادث التجلى)

إن الأناجيل تروى لنا أن عيسى صعد إلى الجبل ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا ليصلى، وبينما هو يصلى إذ تغير منظر وجه، وابيضت ثيابه فصارت تلمع كالبرق، ونظروا موسى بن عمران، وإيليا فقد ظهرا لهم، وجاءت سحابة فأظلتهم، فأما التلاميذ الذين كانوا معه فوقع عليهم النوم فناموا[١]. وهذا الحدث وقع قبل القبض على يسوع بفترة بسيطة، ويصح أن نقول إن حدوث مثل هذا الحدث فى تلك الفترة لابد وأن يكون لغاية فما هى هذه الغاية؟ ....

يقول صاحب كتاب الفارق بين المخلوق والخالق (وهذا دليل على رفع المسيح فى تلك الساعة وصيانته من يد أعدائه اليهود، وأى مانع يمنع من أن يكون ذلك قد وقع فى اليوم الذى طلبته فيه اليهود أو قبله بيوم أو يومين والرواة تناقضوا واختلفوا فى نقلها كما تناقضوا واختلفوا فى غيرها[٢]) وإلا فما معنى هذا الحدث؟

ومن هذه الأحداث ما روى فى إنجيل يوحنا عند القبض على يسوع: فبينما جاء يهوذا مع الجنود لتسليم يسوع ومعهم المصابيح والمشاعل، خرج إليهم يسوع وقال لهم: من تطلبون؟ أجابوه يسوع الناصرى. فقال لهم يسوع: أنا هو، وكان يهوذا مسلمه واقفًا معهم، فلما قال لهم يسوع إنى أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض، ثم سألهم مرة ثانية: من تطلبون؟ فقالوا يسوع الناصرى، أجاب يسوع:

---

(١) راجع متى ١٧ : ١ ـ ٧ ، مرقس ٩: ٢٨ ـ ٣٦ .

(٢) عبد الرحمن باجة : الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢٨٦.

قد قلت لكم إنى أنا هو [١] .....، من الممكن القول بأن شيئا ما حدث جعلهم يرجعون إلى الوراء ويسقطون على الأرض ... أليس من الممكن القول إن بين رجوعهم وسقوطهم على الأرض، ثم رجوعهم إلى السؤال مرة ثانية أن يكون شيئا ما قد حدث به تغيرت حقيقة المصلوب؟ من الممكن ذلك.

من هذه الأحداث: قول المسيح لتلاميذه (كلكم تشكون فىّ فى هذه الليلة لأنه مكتوب أنى أضرب الراعى فتفترق الغنم فقال بطرس فلو شك جميعهم ما أشك أنا فقال يسوع الحق أقول لك إنك فى هذه الليلة قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات[٢]).

فما معنى قول المسيح كلكم تشكون فىّ؟ إن تنبأ المسيح واقع لا محالة، وإلا لأجازوا إلحاق تنبؤات خاطئة عن المسيح، وهو الأمر الذى لا يمكن أن يصدر عنه.

إن المعنى القريب لهذه النبوءة: أنهم جميعا يشكون فى المسيح هل هو المصلوب أم لا؟ وهذا المعنى أرحم من أن يكون المعنى تشكون فى أقوال المسيح التى هى من صميم العقيدة فهو كفر، وهو مدفوع بوعد المسيح للتلاميذ بأنهم سينالون الحياة الأبدية.

وإلا فما معنى شكهم إذا لم يحمل على هذا المعنى؟

وهذا الشك لابد وأنه قائم على أنهم وجدوا اختلافا بين الشخص المصلوب والمسيح.

وشك التلاميذ يدور حول المصلوب هل هو المسيح أم لا؟

فاليهود يقولون إنهم صلبوا المسيح!! ولكن التلاميذ يشكون فى صلب المسيح.

كل هذه الأحداث ترجح القول بأن تغيرًا ما حدث، وبهذا التغيير يمكن القول إن الله بعنايته نجى عيسى من أيديهم ويدل عليه هذه الأحداث التى ذكرناها.

---

(١) يوحنا ١٨ : ٢ ـ ١٢.

(٢) مرقس ١٤ : ٢٧ ـ ٣١.

الجهة الثانية : الأفعال التى كان يفعلها المصلوب، تختلف عن أفعال وطبيعة عيسى بن مريم.

من هذه الأفعال ما جاء فى الأناجيل من أن المصلوب قد استسقى اليهود فأعطوه خلا ممزوجا بمرارة فذاقه ولم يشربه، ثم نادى إلهى إلهى لم خذلتنى؟ مع أن الأناجيل مصرحة بأن المسيح كان يطوى أربعين يوما وليلة دون طعام وشراب[١]. ومن يصبر على العطش والجوع أربعين ليلة كيف يظهر الحاجة ـ لو كان هو المصلوب ـ والمذلة والمهانة لأعدائه بسبب عطش يوم واحد؟! ... هذا لا يفعله أدنى الناس فكيف بخواص الأنبياء؟ وكيف بالرب تعالى ـ على ما تدعونه؟.

وهذا يدل على أن المدعى للعطش الذى طلب الماء شخص غير عيسى عليه السلام. وكذلك أيضا قول المصلوب (إلهى إلهى لم خذلتنى) كلام يقتضى عدم الرضا بالقضاء وعدم التسليم لأمر الله تعالى، وعيسى عليه السلام منزه عن ذلك، فيكون المصلوب غيره، لا سيما وأنتم تقولون إن المسيح نزل ليؤثر العالم على نفسه ويخلصه من الشيطان ورجسه، فكيف تروون عنه ما يؤدى إلى خلاف ذلك؟ مع روايتكم فى توراتكم أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون عليهم السلام لما حضرهم الموت كانوا مستبشرين بلقاء ربهم فلم يجذعوا من الموت ولم يهابوا مذاقه ولم يعيبوه مع أنهم عبيد الله والمسيح بزعمكم ولد الرب فكان ينبغى أن يكون أثبت منهم، ولما لم يكن ذلك دل على أن المصلوب غيره[٢].

خامسا: إن بعض العقول المسيحية قد أنكرت صلب المسيح:

يقول القس/ عوض سمعان (على الرغم من الأدلة الواضحة التى تثبت أن موت المسيح كان كفارة عنا إلا أن بعض الفلاسفة المنتمين إلى المسيحية أمثال مرقيون وستروس، ورينان، وهولتزمان، ينكرون هذه الحقيقة[٣]).

---

(١) متى ٤ : ٢، مرقس ١ : ١٣، لوقا ٤ : ٢.

(٢) د/محمد شامة: بين الإسلام والمسيحية ص ٢٠٠.

(٣) قضية الغفران فى المسيحية ص ١٣٨.

وتحت عنوان (تاريخ إنكار موت المسيح) قال: ظهر فى القرن الثامن للميلاد فلاسفة أطلقوا على أنفسهم (الغنوسيين) وهى كلمة يونانية معناها أهل العلم والمعرفة ـ أقبلوا على فحص التعاليم المسيحية فأنكروا صلب المسيح، وقالوا إن سمعان القيروانى رضى أن يصلب عوضا عن المسيح، لذلك جعل الله هيئته مثل هيئة المسيح ـ وترك سمعان ليصلب عوضا عنه.

وقال الدوكيتيون: إن المسيح لم يصلب مطلقا إنما تراءى الناس أنهم صلبوه ـ وقد أطلقوا على أنفسهم اسمهم هذا لأنه مشتق من فعل يونانى معناه "يظهر" أو "يتراءى" للدلالة على عقيدتهم.

وإذا رجعنا إلى التاريخ وجدنا أن فكرة عدم صلب المسيح لم تندثر كما اندثر غيرها من أفكار الفلاسفة التى ظهرت فى القرون الأولى للمسيحية، بل كانت تظهر من وقت إلى آخر فى بلدان متعددة بواسطة أشخاص كانوا يدعون العلم والمعرفة.

ففى سنة ١٧٥م قام فريق من نسل كهنة طيبة الورعين الذين اعتنقوا المسيحية وقالوا (حاشا للمسيح من الصلب بل إنه رفع إلى السماء سالما).

وفى سنة ٣٧٠م ظهرت طائفة الهرموسيين لكنها لم تلبث طويلا حتى انقسمت إلى قسمين، فإنقاد الفريق الأول وراء إثناسيوس الرسولى بطريرك الإسكندرية وآمن بصلب المسيح. وانقاد الفريق الآخر وراء الغنوسيين وأنكر صلبه وقال إنه لم يصلب ولكنه شبه للناظرين أنهم صلبوه.

وفى سنة ٥٢٠ م هرب ساويرس أسقف سوريا إلى الإسكندرية فوجد بها قوما من الفلاسفة ينادون بأن المسيح لم يصلب بل شبه للناس أنهم صلبوه.

وفى سنة ٥٦٠م ظهر راهب يدعى (تيودورس) وأنكر بشرية المسيح وبالتالى أنكر صلبه.

وفى سنة ٦١٠ م نادى الأسقف يوحنا ابن حاكم قبرص بأن المسيح لم يصلب بل شبه للناظرين أنهم صلبوه[1]).

---

(١) نقلا عن الأديان فى القرآن ص ٢١٦.

فمن ذلك يتبين أنه فى السنوات الأولى للمسيحية وجد بين قدامى المسيحيين جماعات تنكر صلب المسيح وتؤمن بأن شخصا آخر قد صلب بدلا منه، وهذا يعنى أنه بالرغم من أن النصارى جعلوا عقيدة الصلب والفداء من عقائدهم الأساسية إلا أنهم لم يستطيعوا أن يمنعوا الأصوات التى تنكر هذه العقيدة والتى كانت تعيش فى السنوات الأولى للمسيحية، مما يمكن القول معه بأن هذا الإنكار - على الأقل - له مصدر حقيقى وإلا لما انتشر فى القرون الأولى والقرون التالية.

أو يمكن القول إن صلب المسيح ليس محل إجماع النصارى الأوائل وهو مصدر شك فى صحة صلب المسيح خاصة وأن جميع النصارى الأوائل لم يحضروا صلب المسيح.

مناقشة أسباب صلب المسيح

إن الحقيقة التى لا يمكن الجدال فيها أنه بانتفاء صلب المسيح ينتفى معه الأسباب التى اقترنت بالاعتقاد بصلب المسيح.

ومع ذلك فإننا سنناقش أسباب صلب المسيح، والتى على رأسها كون المسيح صلب من أجل أن يخلص البشرية من خطيئة آدم والخطايا الأخرى، أو يكفر عن الجنس البشرى ما تحمله من الأوزار والخطايا بسبب خطيئة آدم.

أولا - إن هذه العقيدة - عقيدة صلب المسيح من أجل التكفير عن خطيئة آدم - بنيت على أساس فاسد، والمبنى على الفاسد فاسد، ذلك أن أساس هذه العقيدة هو أن خطيئة آدم ليست خاصة به وحده، بل انتقلت بالوراثة إلى كل أبنائه، وهذا الأساس مردود بما جاء فى سفر التثنية: "لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيته يقتل[١]".

وبما جاء فى سفر حزقيال (النفس التى تخطئ هى تموت والابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون[٢]).

وهو مردود بقول المسيح نفسه (يجازى كل واحد حسب عمله[٣]).

---

(١) تثنية ٢٤ : ١٦.
(٢) حزقيال: ١٨ : ٢٠.
(٣) متى ١٦ : ٢٧.

ومضمون هذه النصوص أن كل إنسان مسئول عن عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر وأن كل إنسان يجازى على حسب أعماله فلا يحمل الإنسان وزر أخيه.

يقول عبد الرحمن باجة (ولا أعلم أمة تتلون فى دينها كما تتلون النصرانية، فإن العاقل منهم لو تأمل معنى هذا الكلام من أن كل إنسان مجزى بعمله، كما هو العدل والحق ـ لحكم ببطلان عقيدتهم فى صلب المسيح فداء عن الخطايا وهل بعد تصريح المسيح هذا يقال إنه صار فداء عن العالم بأسره[١]). على أن تحمل كل إنسان لوزره من بداهية القانون الوضعى فكيف بالقانون الشرعى. يقول الشيخ عبد الرحمن الجزيرى: أخطأ آدم فما بال النوع الإنسانى كله يحتمل وزر هذه الخطيئة، مع أن كل الشرائع الإلهية والوضعية لا تأخذ بريئا بجريرة غيره وقد صرح فى توراتهم بأن الأب لا يحمل إثم الابن والابن لا يحمل وزر الأب[٢]).

ويقول د/أحمد شلبى (فى أى شرح يلتزم الأحفاد بأخطاء الأجداد وبخاصة أن الكتاب المقدس ينص على أنه لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيته يقتل[٣]).

فالقول بأن خطيئة آدم انتقلت بالوراثة إلى أبنائه قول مردود بالكتاب المقدس الذى يوضح مسئولية كل إنسان عن عمله وهو بهذا يتفق مع الشرائع الإلهية والوضعية فى أصل وضع العقوبات فى الدنيا والآخرة.

إذ أن أصل وضع العقوبات فى الدنيا والآخرة لا تقصد منها الشرائع الإلهية إلا تأديب الجناة ليكف غيرهم عن ارتكاب الجرائم، فمن المعقول حينئذ أن تقع العقوبة على نفس المجرم وإلا كان وضعها عبثا، فكيف يصح أن يعاقب المسيح ـ بل الإله الذى لم يقع منه جرم على جريرة غيره [٤] فالمعقول أن يعاقب آدم على معصيته لا أن يحملها أبناؤه ويعاقبون عليها وهم لا ذنب لهم. ولقد أوضح سفر التكوين أن آدم

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق ص ١٢٤، ١٢٥.

(٢) أدلة اليقين ص ٢٣٩.

(٣) المسيحية ص ١٥٨.

(٤) أدلة اليقين ص ٢٤٠.

عوقب على خطيئته بأن أخرجه الله من الجنة بعد النعيم الذى كان يعيش فيه، ولا شك أن خروجه منها عقاب كاف لمعصيته التى لا تتعدى الأكل من الشجرة المنهى عنها (فالحرمان من الجنة الفينانة والخروج إلى الكدح والنصب عقاب ليس بالهين، وهذا العقاب قد اختاره الله بنفسه وكان يستطيع أن يفعل بآدم أكثر من ذلك ولكنه اكتفى بذلك[١]).

وهذا دليل على أن خروجه من الجنة هو العقوبة المنوطة بمعصية آدم، وإذا كان آدم قد عوقب على معصيته فكيف يتحمل غيره خطيئة قد دفع هو ثمن ارتكابها أو دفع الكفارة عن هذه الخطيئة؟ ثم أليس من الظلم أن يعاقب الله على الخطيئة مرتين؟

وأليس من الظلم أن يعاقب عليها من لا يفعلها؟

فآدم عوقب على خطيئته كما تقولون بالطرد من الجنة، فهذا يعنى أنه عوقب على المعصية، فلا يتحمل غيره خطيئة قد عوقب عليها وإلا نسبتم الظلم إلى الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

والخلاصة: أن الكتاب المقدس يفيد أن الأبناء لا يحملون وزر الآباء، وهذا يعنى أن عقيدة الصلب قد بنيت على أساس باطل، وما بنى على الباطل فهو باطل.

ثانيا: إن القول باستقلال الصلب فى تخليص الناس من خطيئة آدم بل من الخطايا والذنوب، أو استقلال الصلب فى التكفير عن الخطايا قول غير مسلم به لأنه معارض بما يلى:

١ ـ بما ذكره مرقس فى خاتمة إنجيله من أن المسيح حين ودع تلاميذه قال لهم (كرزوا ـ أى بشروا ـ بالإنجيل للخليقة كلها فمن آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن[٢])، فالإيمان وحده ـ كما صرح المسيح ـ هو المخلص وهو سبب النجاة وعليه فيكون القتل والصلب عبثا.

---

(١) د/ أحمد شلبى: المسيحية ص ١٦١.
(٢) مرقس ١٦: ١٦، ١٥.

٢ ـ بما شهد به المسيح من أن التوبة تستقل بمحو الآثام كقوله (قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل[١]) وعلى ذلك يكون الصلب لا داعى له[٢].

٣ ـ وهو معارض كذلك بقول الأمانة ـ التى هى أصل دين النصارى ـ "نؤمن بمعمودية واحدة لغفران الذنوب" إذ مفاده أن التعميد وحده كاف فى محو الخطايا وغفران الذنوب فلا حاجة لقتل وصلب المسيح لاستقلال التعميد بالخلاص والمعفرة[٣]).

ثالثا: ولنفترض أن المسيح صلب من أجل خطيئة آدم فلنسأل: هل هذا من أجل كل الناس حتى الذين صلبوه ونكلوا به أم من أجل فئة خاصة وهم الذين آمنوا؟ إذا قلتم بل هو لتخليص الذين آمنوا به فقط كما صرح به علماؤهم!! فإن المسعى قد خاب تماما لأن الخطيئة التى انقلبت الطبائع الإلهية من أجلها لا تزال موجودة على أتم معناها وأبشع صورها[٤].

رابعا: إذا كان الإله صلب باختياره ليخلص الذين آمنوا به فقد مهد لهم بذلك السبيل إلى الإباحية المطلقة، لأن يزنون ويلوطون ويقامرون ويقتلون ولا يبالون!! ألم يمت الإله فداء لهم؟ ألم يصلب ليخلصهم من خطيئاتهم؟ وأن هذا الصلب قد قبل فعلا فلا خوف على من آمن بصلب المسيح حينئذ من جريرة مطلقا.

ويظهر أن مثل هذا المعتقد يسهل للناس اعتناق الشيوعية والإباحية فى كل شئ، ولا ريب فى أن دينا يدعو إلى مثل هذه الفوضى لا يكون من عند الله حتما[٥].

خامسا: إذا كان الهدف من رسالة المسيح هو أن يصلب من أجل أن يكفر عن البشرية فلماذا حزن المسيح على الصليب وجزع وصرخ صرخة اليأس وقال

---

(١) مرقس ١ : ١٥.
(٢) المنتخب الجليل ص ١١٤.
(٣) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص ٢٧٥.
(٤) أدلة اليقين ص ٢٤٠.
(٥) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(إلهى إلهى لم تركتنى) إن الواجب أن يكون أكثر فرحا واطمئنانا لأنه بصلبه يكتمل الرسالة التى نزل من أجلها !! فكيف يحزن ويجزع عند الصلب وهو نزل من أجل أن يصلب؟ وهذه الصرخة أيضا تناقض قول النصارى فى أن المسيح قبل الصلب باختياره وحرية إرادة لأنه لو اختاره ما حزن واكتئب هذا الاكتئاب.

سادسا: إذا صحت عقيدة النصارى فى الصلب وخلاص البشرية به .. فلماذا لم يقتل المسيح نفسه أو يطلب من تلاميذه أن يقتلوه قربانا لله بدلا من أن يوقع اليهود فى هذا الإثم العظيم؟ فكأن الله تعالى بعد أن دبر هذه الوسيلة لخلاص الناس من سلطة الشيطان لم يقدر أن يخلص بها أحب الشعوب إليه المفضلين على العالمين الذى خصهم كما يقولون بالوحى والنبوة والمعجزات العظيمة من قديم الزمان، ولم يعتن بأحد غيرهم اعتناءه بهم حتى جعلهم الواسطة الوحيدة لهداية البشر أجمعين إلى دينه الحق !!!! أما كان هؤلاء الناس أولى بالخلاص دون سواهم؟! فلماذا إذًا أوقعهم فى هذا الذنب العظيم بصلبهم المسيح دون إرادته مع أنه كان يمكنه أن يقدم ابنه (هذا البرئ) بدون إيقاعهم فى هذا الإثم الكبير ... ألا يدل ذلك لو صح على أن الشيطان قد نجح فى إهلاك أحباب إلههم وشعبه المختار وعجز هذا الإله عن تخليصهم من مخالبه بعد أن فكر فى ذلك مدة طويلة ثم صلب نفسه ومع ذلك لم تنجح خطته[١].

سابعا: إذا كان صلب الإله ضروريا إلى هذا الحد وهو وقع باختياره وإرادته فلماذا يذم الذين سلبوه؟ ولماذا يقع الجفاء بين اليهود وبين النصارى إلى هذا الحد؟

إن الإنصاف يقضى أن يكون اليهود محل احترام النصارى لأنهم خلصوهم من الخطايا وأحيوهم حياة أبدية[٢].

---

(١) د/ محمد توفيق أفندى صدقى من مقال له بعنوان (نظريتى فى صلب المسيح وقيامته من الأموات)، والمقال فى كتاب عقيدة الصلب والفداء ص ١٠٩).

(٢) أدلة اليقين ص ٢٤٠.

فإذا كان صلب المسيح لتخليص البشرية مهما بهذه الدرجة فلماذا يكره النصارى اليهود ويرونهم آثمين معتدين على المسيح؟.

وتجبنا لهذا الاعتراض حاول بعض نصارى القرن العشرين تبرئة اليهود من دم المسيح ولكن هذا الرأى لم يرق فى نظر الكثيرين فرفض.

ففى المؤتمر الثانى بالفاتيكان [١] فى العصر الحديث سنة ١٩٦٢م والتى استغرقت دورته الأولى من أكتوبر إلى ديسمبر سنة ١٩٦٢ فعقدت دورته الثانية فى سبتمبر ١٩٦٣م ودورته الثالثة فى سبتمبر سنة ١٩٦٤م واستمرت حتى نوفمبر سنة ١٩٦٤م وقد شارك فى أعمال المؤتمر ٢٢٠٠ كارد ينالا (وكان الموضوع الذى عرض فى هذا المؤتمر هو تبرئة اليهود من دم المسيح)، وقد تقدم بالبيان (مشروع وثيقة) الكردينا الألمانى (أغسطين بيا[٢]) وفشل مشروع الوثيقة فى الحصول على الأصوات الكافية لتقرير مبدأ مناقشته فى الدورة الثانية للمجمع المسكونى سنة ١٩٦٣م واقترعت ضده أغلبية ساحقة قيل إنها بلغت ٩٦٪ من مجموع الأصوات فى الاقتراع، ولكن عاد المشروع مرة أخرى إلى الظهور بعد تعديل يسير فى الصياغة عند انعقاد الدورة الثالثة للمجمع وأصدر (المؤتمر القومى للكنيسة الأسقفية البروتستانية فى أمريكا) بيانا يؤيد فيه مشروع الوثيقة .... بينما تلقى المشروع معارضة من أساقفة آخرين وبخاصة من الأساقفة الشرقيين.

وبين المد والجزر تدخل مجلس (الكوريا) ـ الجهاز الإدارى الأعلى للكنيسة الكاثوليكية الذى يشرف عليه البابا شخصيا ـ لإيقاف هذا المشروع المدرج فى جدول الأعمال حرصا على تدعيم الوحدة المسيحية[٣]).

---

(١) المؤتمر الأول فى العصر الحديث سنة ١٨٦٩م.

(٢) هو الكردينال الألمانى (أغسطين بيا) وكان يبلغ من العمر فى ذلك الوقت ٨٣ عاما، وقد درس فى جامعات هولندا والنمسا وألمانيا وتخصص فى اللاهوت والدراسات العبرية وزار ديار الشام ومصر ورسم كاردينالا فى عهد البابا يوحنا الثالث والعشرين وهو من اليسوعيين (راجع: مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٢٦٦).

(٣) فتحى عثمان: مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٢٦٧، ٢٦٨.

ولقد كتب القس إبراهيم سعيد معترضا على هذا المشروع قائلا :

(ليس من حق مجمع الكرادلة أن يجعلوا الإنجيل المقدس كبش فداء مقدم على مذابح السياسة... ذلك لأن نصوص الإنجيل صريحة فى دمغ اليهود بمسئولية صلب المسيح دون سواهم من حكام الرومان وغير الرومان إن أول حكم صدر على المسيح بالصلب هو حكم (قيافا) الكاهن الزائف إذ قال : خير لنا أن يموت واحد من الشعب من أن يموت الشعب بأسره .. ولقد صرخوا - اليهود - بصوت واحد قائلين : دمه علينا وعلى أولادنا وباب السماء كان مفتوحا فاستجابت السماء إلى طلبتهم هذه فجالوا فى الأرض مكروهين منبوذين هم وأولادهم على رغم ما يملكون من جاه وثراه[١].

ويقول عوض سمعان (ليس هناك أى مسيحى حققى يوافق بابا روما على تصرفه هذا، لأن الذى له الحق فى تبرئة اليهود من دم المسيح هو المسيح دون سواه ذلك إذا أراد لأنه هو الذى أسئ إليه، والذى أسئ إليه هو وحده الذى له الحق فى التبرئة، أما قول المسيح للآب (ياأبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون[٢]).

فمشروط بتوبتهم عن جريمتهم وإيمانهم الحقيقى بشخصه كما يتضح من أعمال الرسل (فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا[٣]).

وبما أنهم لم يتوبوا بعد ذلك فإن دمه لا يزال على رؤوسهم ولا بعد أن يعطوا عنه حسابا عسيرا[٤]) وهكذا فإن النصارى يكرهون اليهود كراهية شديدة ويعتبرونهم آثمين معتدين عليهم وزر ودم المسيح حتى يحاسبوا عليه حسابا عسيرا. هذا هو معتقد النصارى.

---

(١) نقلا عن المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٢٧١.
(٢) لوقا ٢٣ : ٣٤.
(٣) أعمال الرسل ٢ : ٣٨ .
(٤) عوض سمعان : قيامة المسيح والأدلة على صدقها ص ٥٦ .

وهنا نسأل لماذا هذه الكراهية إذا كان هدف نزول المسيح ابن الله إلى الأرض هو أن يصلب من أجل البشر؟

إن الواجب على النصارى أن يجلوا اليهود ويحترموهم لا أن يعادوهم ويكنوا لهم كل هذه العداوة ذلك لأنهم هم السبب فى تخليصهم من الذنوب بعد أن صلبوا المسيح، فلماذا يكرهون اليهود؟!! وكيف يتفق هذا مع قولكم بأن وظيفة المسيح الخلاصية تقتضى أن يصلب ليتم الخلاص؟

ثامنا: إذا كان المسيح قد خلص البشرية من خطيئة آدم - أو على حد قول النصارى - خلص الذين آمنوا به، فإن ذلك يعنى أنهم لا يحاسبون يوم القيامة، ولكن الكتاب المقدس يوضح أنهم سيحاسبون ويقفون أمام كرسى الرب للدينونة مما يدل على أن الخلاص المزعوم لم يتحقق وذلك لأنهم سيحاسبون فى الآخرة على ما أسلفوا فى دنياهم من خير وشر.

يقول بولس - عما يكون من حساب يوم القيامة - (دينونة الله العادلة الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله. أما الذين بصبر فى العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الأبدية. وأما الذين هم من أهل التحزب ولا يطاوعون للحق بل يطاوعون للإثم فسخط وغضب، شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر اليهودى أولا ثم اليونانى. ومجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح ... ليس عند الله محاباة[1]).

ويقول (لأنه لابد أننا جميعا نظهر أمام كرسى المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرا كان أم شرا[2]) إن هذه النصوص تظهر أنه لابد وأن يكون هناك جزاء ومحاسبة لجميع الناس ولجميع أفراد البشر - وأنتم من البشر -، وإذا كان هناك جزاء ومحاسبة لجميع الناس ولكم على حسب الأعمال، فإن معنى

---

(١) رومية ٢ : ٥ : ١٠ .
(٢) ٢ كورنثوس ٥ : ١٠.

ذلك أن المسيح لم يخلص أحدًا وإلا لما وقع لهم الحساب والجزاء. (فهذا الرب الذى نزل لخلاصكم وحصل له ما وصفتم لم يحصل لكم خلاص به وما تم له مراد:

إن كان خلاصكم من محن الدنيا فأنتم باقون على ما أنتم عليه من طباع البشر وتحمل الضرر، أو من عهدة التكاليف فها أنتم بالصلاة والصيام مخاطبون وعلى فعل الآثام تعاقبون[١]).

على أنه يلزم من القول بخلاص العالم بصلب المسيح أن يكون وجود النيران عبثا ولاحاجة لوجودها، مع أن كل الشرائع قد جاءت بها وأجمعت على وجودها.

ومما يؤكد ما تقدم ـ من محاسبتهم ومعاقبتهم على ذنوبهم فى الآخرة ـ قول المسيح (أيها الحيات أولاد الافاعى كيف تهربون من دينونة جهنم[٢]) حيث صرح بأنه لا مهرب لهم من النار ولا مفر لهم منها أسوة بسائر الخلائق فلم يفدهم الإيمان بصلبه شيئًا[٣]).

وهكذا تبين لنا من المناقشة بطلان القول بأن المسيح صلب من أجل الخلاص أو من أجل التكفير عن خطيئة آدم والخطايا الأخرى.

تاسعا: هذا ما كان من القول بصلب المسيح من أجل خطيئة آدم وهو قول متهافت كما بينا.

أما القول بأن خطيئة آدم قد أحدثت الموت فى آدم ونسله، والمسيح بموته على الصليب حل محل الإنسانية وحمل عقاب الخطيئة وهو الموت، فهو قول متهافت أيضا ذلك أن آدم مات واستوفى بذلك جزاء خطيئته، فما فائدة موت المسيح مرة ثانية؟ إذا قالوا إنه من أجل الموت الذى انتقل بالوراثة إلى أبناء آدم فهو قول مردود بما سبق، ولقد ناقش الدكتور/ محمد الفرت تلك الفكرة فى رسالته للدكتوراة باستفاضة نذكر بعضها لتعم الفائدة.

يقول د/ محمد الفرت: إن هذه العملية إنما كانت تتم ـ على فرض التسليم بوجود الموت نظير الخطيئة كما زعموا ـ لو أن آدم لم يمت جزاء الخطيئة، أما وأن آدم قد

---

(١) المنتخب الجليل ص ٤٠ .

(٢) متى ٢٣ : ٣٣.

(٣) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص ٢٧٦.

مات واستوفى بذلك جزاءه، فموت المسيح إذن باطل لأنه خلا من الفائدة المزعومة بالمرة. وربما قالوا أو هو ما زعموه: بأن المراد بالموت هنا موت الخطيئة، وهو الهلاك الأبدى ـ أى الخلود فى الجحيم ـ لا الموت الجسدى، لأن آدم لم يمت فى يوم الخطيئة نفسه، بل عاش حتى بلغ تسعمائه وثلاثين سنة[١]. ولكن هذا الوهم على فرض التنزل لمجادلته غير مقبول، لأن آدم يعتبر قد مات فى نفس يوم الخطيئة لأن هذه المدة كلها لا تساوى عند الله يوما واحدا لقول بطرس (أيها الأحباء إن يوما واحدا عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد[٢]).

ثم إننا لو قصرنا اليوم على أيامنا هذه للزم الخلف فى وعد الله وفى قوله حيث لم يمت آدم الموت الأبدى المزعوم كما قال فى سفر التكوين (لأنك يوم تأكل منها موتا تموت[٣])، كما لم يمت الموت الجسدى لأنه لم يمت فور ارتكابه الخطيئة فى ذات اليوم المقدر كأيامنا والذى ارتكب فيه آدم الخطيئة اللهم إلا أن يكون قد مات حكما لا حقيقة وانتهى الأمر بذلك وإذن فلا وجه لموت المسيح مطلقا[٤]).

ويقول (على أن موت يسوع المقول به بدلا عن آدم إنما هو موت صليبى، وهذا يعين على أن المراد بالموت هو الموت الجسدى وليس غير. ولو سلمنا أن المراد به الهلاك الأبدى ـ أى الخلود فى الجحيم ـ لكان اللازم إذن أن يموت المسيح هذا الموت عينه ـ أى موت الهلاك الأبدى ـ حيث إنه النائب الشرعى عن آدم والبشر كما قيل وهو القائم مقامهم فى ذلك وحيث إنه لم يحصل ذلك النوع من الموت ولم يكن هو المراد فما تم الفداء ولا حصل الخلاص ولا وجد لنيابة المسيح أثر ولا ظهر لرحمة الله أثر ولا كان لعدل نفوذ، وكان موت المسيح إذن ظلما، لأن الموت الجسدى غير مراد

---

(١) تكوين ٥ : ٥.

(٢) ٢ بطرس ٣ : ٨.

(٣) تكوين: ٢ : ١٧.

(٤) عقيدتا الصلب والتثليث فى المسيحية وموقف الإسلام منهما (مخطوط بكلية أصول الدين ـ القاهرة، ص ٢١١.

هنا، ولو كان مرادًا لأجزأ موت آدم عن نفسه، لأنه هو الموعود بذلك وليس يسوع المسيح، ويكون بذلك قد تم وعد الله ونفذ عدله بدون مشكلة[١]).

ويقول (على أنه يتحتم لإتمام عملية الخلاص أن يكون الميت هو حقيقة الجانب الإلهى فى المسيح والمدعو ابنا متجسدا والمعبر عنه باللاهوت، حيث إنهم يقررون أن الفادى لا ينبغى أن يكون إنسانا وإنما يجب أن يكون لاهوتا مقدسا طاهرا، بل إن الفداء من الجانب الإلهى هو جوهر الفكرة وصميم العقيدة، وإذا حصل ذلك فقد مات الابن الإله على الصليب، وفيه من الشناعة ما ينبو عنه كل فكر، إذ كيف يصح أن يموت الإله الكامل الحى الباقى من أجل بشرية فانية خاطئة مدنسة. على ان المسيحية لا تقول بموت اللاهوت حالة موت الصليب تنزيها للإله الابن عن النقص وعلوا بقدره عن الفناء ..... وعلى ذلك لا يعدو الأمر أن يكون الموت موت الجسد وهذا ما لقيه آدم كما سبق الكلام وانتهى بذلك أمره إن صحت فكرة الموت لقاء الخطيئة[٢]).

فالقول بأن المسيح قبل الموت على الصليب من أجل أن يحمل عقاب الخطيئة عن البشر (وهو الموت) قول متهافت، ذلك أن آدم قد مات ولقى جزاء عمله، وعلى ذلك فلا فائدة من موت المسيح على الصلب.

وكذلك أيضًا القول بأن ـ موت المسيح على الصلب ـ من أجل أن يرفع الموت عن الجنس البشرى قول متهافت لأن الواقع يكذبه، فما زال الناس يولدون ويموتون، وما زال سلطان الموت قائما، فأين مالصلب المسيح من أثر فى هذا الأمر الذى يقال إن المسيح صلب من أجل أن يحمل أجرة الخطية وهو الموت؟

عاشرا: أما القول بأن الخطيئة أحدثت عداوة بين الله والإنسان، وصلب المسيح هو الذى أعاد مصالحة الإنسان مع الله فهو قول مردود بما جاء فى الكتاب المقدس الذى يوضح: أن الله قريب من عباده يجبر كسرهم ويقيل عثراتهم ويقبل توبتهم.

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٢.

(٢) المرجع السابق ص ٢١٣.

ففى المزمور (قريب هو الرب من المنكسرى القلوب[١]) وأيضا (الرب قريب لكل الذين يدعونه الذين يدعونه بالحق. يعمل رضى خائفيه ويسمع تضرعهم فيخلصهم[٢]).

ويقول إشعياء (اطلبوا الرب ما دام يوجد ادعوه وهو قريب. ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره وليتب إلى الرب فيرحمه وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران[٣]).

وجاء فى سفرإرميا (ألعلى إله من قريب يقول الرب ولست إلها من بعيد[٤]).

فالله سبحانه وتعالى لم يبتعد عن الإنسان حتى يحتاج الإنسان للمصالحة مع الله وذلك عن طريق صلب المسيح.

والله سبحانه وتعالى أرسل رسلا وأنبياء للبشر يوجهونهم ويدعونهم إلى عبادة الله، ولقد آمن بالرسل والأنبياء كثير من البشر، والله سبحانه وتعالى أيد المؤمنين ونجاهم، فلقد نجى الله نوحا ومن آمن معه من الطوفان والهلاك، معنى ذلك أن الإنسان ليس فى عداوة مع الله وإلا لما نجى الله قوما وأهلك آخرين، فلو كان هناك ما يسمى بالعداوة بين الإنسان والله لأهلك الله الناس أجمعين.

ولكن الله نجى المؤمنين مما يؤيد القول بأن الله لم يترك المؤمنين به بل هو معهم بالفضل والتأييد والإحسان.

على أننا نقول أيضا: إن الصليب لم يقض على الآثام والشرور التى سببت وتسبب العداوة بين الله والإنسان، فالشرور والآثام لازالت توجد فى دنيا الناس ولم يقض عليها نهائيا، وعلى ذلك فالقول بأن صلب المسيح من أجل المصالحة مع الله قول مردود.

أحد عشر: أما قولهم بأن الصلب كان للجمع بين صفتى العدل والرحمة فهو قول باطل (إذ أن هذه العملية ـ صلب المسيح ـ لم يتحقق بها عدل ولا رحمة، لأنه

---

(١) مزمور: ٣٤ : ١٨.
(٢) مزمور ١٤٥ : ١٨، ١٩.
(٣) إشعياء ٥٥ : ٦،٧.
(٤) إرميا ٢٣ : ٢٣.

ليس من العدل فى شئ أن يؤتى ببرئ غير مذنب ويطوق إثم جريمة جناها سواه، كما أن عقاب غير الآثم ليس فيه رحمة، وبخاصة إذا كان المعاقب من شأن الجبلة أن تشمله بالرحمة ولو مع الذنب، فالابن البار غير الآثم أولى.

وعلى قول المسيحيين: قد بقى الله تعالى مجردا من صفتى العدل والرحمة من زمن عصيان آدم إلى أن اهتدى إلى تلك الحيلة التى ظهرت قبيل خلق المسيح عيسى بن مريم[١]). تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

(فأى عدل وأى رحمة فى تعذيب غير مذنب وصلبه؟

قد يقولون إنه هو الذى قبل ذلك. ونقول لهم: إن من يقطع يده أو يعذب بدنه أو ينتحر مذنب ولو كان يريد ذلك.

وإذا كان المسيح ابن الله: فأين كانت عاطفة الأبوة ؟ وأين كانت الرحمة حينما كان الابن الوحيد يلاقى دون ذنب ألوان التعذيب والسخرية ثم الصلب مع دق المسامير فى يديه؟.

ثم من هذا الذى قيد الله جل جلاله وجعل عليه أن يلزم العدل وأن يلزم الرحمة وأن يبحث عن طريق للتوفيق بينهما؟[٢]).

"وأين كان عدل الله ورحمته منذ حادثة آدم حتى صلب المسيح؟ ومعنى هذا أن الله ظل ـ تعالى عن ذلك ـ حائرا بين العدل والرحمة آلاف السنين حتى قبل المسيح منذ حوالى ألفى عام أن يصلب للتكفير عن خطيئة آدم[٣]. فصلب المسيح لم يتحقق فيه العدل ولا الرحمة لأن أهم صفات العدل أن يحاسب كل إنسان على عمله ولا يعاقب غيره عليه.

كما أنه ليس من الرحمة أن يعاقب إنسان على خطيئة لم يرتكبها.

وبهذا يتبين فساد القول بالصلب، وفساد الأسباب التى جعلوها غاية لصلب المسيح.

---

(١) قصص الأنبياء ص ٤٣١، ٤٣٢.
(٢) المسيحية صـ ١٥٨ .
(٣) المرجع السابق ص ١٦٠.

مصدر عقيدة الصلب من أجل خلاص البشرية

لقد تبين أن صلب المسيح من أجل التكفير عن خطايا البشر عقيدة باطلة، وذلك لأن الكتاب المقدس يوضح أن كل إنسان محاسب على عمله، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، ولا يحمل إنسان وزر غيره الجانى بل النفس التى تخطئ هى التى تعاقب.

وعلى هذا فهذه العقيدة ليست من دين المسيح فى شئ ويبدو أنها وردت إلى المسيحية من عقائد أخرى.

يقول شارك جنيبير: ومن المرجح أن الأحداث الخاصة بالصلب كانت قد فقدت الكثير من وضوحها فى ذاكرة المؤمنين قبل تحرير الأناجيل، وأنها تأثرت فى مخيلتهم بالأساطير المختلفة الشائعة فى الشرق، ثم إنها فسرت تفسيرات غيرت وجددت فى جوانب كثيرة أساسية منها[١]) فلقد تأثر المسيحيون بالأساطير الشرقية فى القول بصلب المسيح وفى تحديد معانى صلب المسيح.

وكان مضمون هذه الأساطير الشرقية يدور حول فكرة إله يموت ليسير بأتباعه نحو الخلود وهذه الفكرة تسربت إلى ضمير المجتمعات المسيحية أو على الأقل تلك المتأثرة بالفكر اليونانى[٢].

فعقيدة الصلب والفداء عقيدة وثنية محضة سرت إلى النصارى من الوثنيين كما بينه علماء أوربا الأحرار ومؤرخوهم وعلماء الآثار والعاديات منهم فى كتبهم[٣]).

فلقد وجد بين الهنود فى عقائدهم أن كرشنا إله صلب من أجل الخلاص وكذلك بوذا.

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٢٩.

(٢) المرجع السابق ص ٥٢.

(٣) محمد رشيد رضا: عقيدة الصلب والفداء ص ٣٢.

قال دوان فى كتابه (خرافات التوراة وما يقابلها من الديانات الأخرى ما ترجمته (إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جدا عند الهنود الوثنيين وغيرهم[١]) وذكر الشواهد على ذلك منها قوله: (ويعتقد الهنود بأن كرشنا المولود البكر الذى هو نفس الاله فشنو، والذى لا ابتداء ولا انتهاء له على رأيهم ـ تحرك حنوًّا كى يخلص الأرض من ثقل حلمها فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه[٢]) وذكر "دوان" أن السيد "مور" قد صور كرشنا مصلوبا كما هو مصور فى كتب الهنود مثقوب اليدين والرجلين وعلى قميصه صورة قلب الإنسان ملعقة ووجدت له صورة مصلوبا وعلى رأسه إكليل من الذهب[٣]).

ومعروف أن هذه الصورة هى التى صور بها المسيح فى الأناجيل عند صلبه.

وقال العلامة (هوك) ويعتقد الهنود ـ الوثنيون ـ بتجسد أحد الإلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن الناس من الخطيئة.

وقال العلامة القس جورد كوكس (ويصفون ـ أى الهنود ـ كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتا؛ لأنه قدم شخصه ذبيحة، ويقولون إن عمله هذا لا يقدر عليه أحد سواه[٤]).

ولا شك أن هذه المعتقدات لا تختلف عن معتقدات المسيحية بصلب المسيح الإله من أجل الخلاص.

وكذلك اعتقد الهنود البوذيون أن بوذا هو الطبيب العظيم، ومخلص العالم، والممسوح، والمسيح المولود الوحيد، وغير ذلك، وأنه قدم نفسه ذبيحة؛ ليكفر آثام البشر ويجعلهم ورثاء ملكوت السموات، وبولادته ترك كافة مجده فى العالم ليخلص الناس من الشقاء والعذاب.

---

(١) العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص ٣٦.
(٢) المرجع السابق ص ٣٨.
(٣) المرجع السابق ص ٣٩.
(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

قال هوك (إن بوذا بنظر البوذيين إنسان وإله معا وأنه تجسد بالناسوت فى هذا العالم، ليهدى الناس ويفديهم ويبين لهم طريق الأمان، وهذا التجسد اللاهوتى يعتقده كافة البوذيين، كما يعتقدون أن بوذا هو مخلص العالم[١]).

وقال ماكس مولر (البوذيون يزعمون أن بوذا قال : دعوا كل الآثام التى ارتكبت فى هذا العالم تقع على كى يخلص العالم[٢]).

وقال العلامة وليمس (الهنود تقول - ومن رحمته (أى بوذا) تركه الفردوس ومجيئه إلى الدنيا من أجل خطايا بنى الإنسان وشقائهم، كى يبررهم من ذنوبهم ويزيل القصاص عنهم الذى يستحقونه[٣]).

ولقد وجدت أيضا عقيدة الصلب من أجل الفداء بين الصينيين. قال دوان: كان الفداء بواسطة التألم والموت لمخلص إلهى قديم العهد جدا عند الصينيين، وأن أحد كتبهم المقدسة يقول عن "تيان" (إنه القدوس الواحد ذو الفضائل السماوية والأرضية وأنه سيعيد الكون إلى البر وأنه يعمل ويتألم كثيرا، ولابد له من اجتياز تيار عظيم تدخل أمواجه إلى نفسه وأنه الوحيد القادر على أن يقدم للرب ذبيحة تليق به... فالناس يقدمون أنفسهم ذبيحة من أجل اكتساب قوتهم، والفلاسفة لاكتساب جاه وشهرة والأمراء لتثبيت عيالهم، أما القدوس (تيان) فلأجل الناس يموت كى يخلص الصالح، ويقولون عنه أيضا إنه واحد مع الله منذ الأزل قبل كل شئ[٤]).

وكذلك وجدت هذه العقيدة بين المصريين فقد اعتقدوا أن (أوزوريس) تحمل الآلام والاضطهاد من أجل الخطايا فهو مخلص الناس.

قال بونويك (يعد المصريون أوزوريس أحد مخلصى الناس وأنه بسبب جدّه لعمل الصلاح يلاقى اضطهادًا ومقاومته للخطايا يقهر ويقتل[٥]).

وقال العلامة دوان إن تألم وموت أوزوريس هما السر العظيم فى ديانة المصريين[٦]) وكذلك اعتقد الفارسيون فى (مثرا) أنه إله توسط بين الله والناس وأنه

---

(١) المرجع السابق ص ٤٢.
(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة.
(٣) العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص ٤٢.
(٤) المرجع السابق ص ٤٣.
(٥) المرجع السابق ص ٤٤.
(٦) المرجع السابق ص ٤٤.

من أجل خلاصهم تألم. وكذلك أيضا عبد المكسيكيون إلها مصلوبا دعوه المخلص والفادى[١]).

فلقد كانت عادة تقديم البشر ذبيحة لأجل الفداء منتشرة فى أرجاء العالم قبل المسيح بمئات السنين.

يقول ول ديورانت (والظاهر أن التضحية بالإنسان قد أخذ بها الإنسان فى كل الشعوب تقريبا فتظهرها هنا يوما وهنالك يوما. فقد وجدنا فى جزيرة كارولينا فى خليج المكسيك تمثالا كبيرا معدنيا أجوف لإله مكسيكى قديم فوجدنا فيه رفات كائنات بشرية لا شك أنها ماتت بالحرق قربانا لله.

وكلنا نسمع عن "بلخ" الذى كان الفينيقيون والقرطاجنيون وغيرها من الشعوب السامية حينا بعد حين يقدمون له القرابين من بنى الإنسان[٢]) فلقد وجدت عادة التضحية بالإنسان بين الشعوب، وهذه العادة قديمة قبل وجود المسيح. يقول العقاد: (تدل الأحافير على قدم الضحايا البشرية فى العبادات التى سبقت عهد الساميين بوادى النهرين وبقاع الهلال الخصيب وأنها بقيت إلى ما بعد وفود الشعوب السامية إلى تلك البقاع[٣].

مما سبق يتبين أن التضحية بالإنسان الذى هو إله ومخلص منتشرة فى معظم الشعوب القديمة التى سبقت المسيحية.

"وأن قصة الصليب - كما يقول آرثر فندلاى - قيلت قبل عيسى على ستة عشر إلها مخلصا، وقصص حياتهم على الأرض من المهد إلى اللحد ثم البعث كلها متشابهة، وكأن كل ديانة ترث من سابقتها ونتيجة لهذا نشأت فكرة الفداء[٤]".

والمسيحية نمت وانتشرت فى هذه البلاد التى كان ينتشر فيها التضحية بالإنسان الإله المخلص، ولا شك أن السابق يؤثر على اللاحق، فالمسيحية لابد أنها تأثرت

---

(١) المرجع السابق ص ٤٧.

(٢) قصة الحضارة الجزء الأول من المجلد الأول ص ١١٤.

(٣) العقاد: إبراهيم أبو الأنبياء ص ١٧٢.

(٤) آرثر فندلاى: الكون المنشود ص ٧٨ ترجمة/ على راضى، نقلا عن (محمد فى التوراة والانجيل والقرآن ص ١٥٩).

بهذه العقائد، خاصة وأن المسيح لم يقل عن نفسه إنه إله مخلص ولم تقم الأدلة الواضحة على صلبه. فالمسيحية تأثرت بالأمم السابقة لها فى الاعتقاد بأن المسيح صلب وأن صلبه هذا كان للتكفير عن خطايا البشر. ولقد وجدت هذه الفكرة صدى بين أتباع المسيح الجدد من اليهود اليونانيين الذى آثروا البقاء فى بلاد اليونان وتأثروا بأفكارهم، وكان تمسكهم بيهوديتهم أقل من يهود فلسطين[1]، وكان من أهم الأفكار التى تأثروا بها هى تلك العقيدة السائدة فى بلاد اليونان والرومان وبين الهنود والفرس والمصريين وغيرهم، والتى كان فحواها أن الإله يصلب من أجل أن يكفر عن خطايا البشر. وبفضل هذه العقيدة أيضا اكتسبت المسيحية أنصارا جددا وعددا كبيرا من اليونان والرومان الذين وجدوا فيها ما هو مألوف لديهم ولا يخرج عن نطاق أفكارهم.

وبهذه العقيدة أيضا كان للمسيحية مسار آخر هو الانتشار الواسع بين الوثنيين الذين ألفوا هذا النوع من العقائد.

وهكذا لم تسلم عقيدة صلب المسيح من النقد الذى يخرجها عن دائرة الحقيقة التاريخية، ولذلك فهى مستمدة من عقائد الوثنيين، حيث استقى النصارى هذه العقيدة من الوثنيين ولم يضيفوا إليها شيئا سوى استبدال أسماء الآلهة المخلصين باسم عيسى وقدموها للناس على أنها هى العقيدة التى جاء بها عيسى عليه السلام.

---

(١) راجع الباب الأول.

الفصل الرابع

دعوى قيامة المسيح
وأهميتها للخلاص المسيحى

تمهيد:

إن الاعتقاد المسيحى السائد أن المسيح صلب، ودفن، وبعد دفنه قام من القبر بعد ثلاثة أيام. ففى الإقرار بالإيمان (وفى اليوم الثالث قام المسيح من بين الأموات بالجسد الذى تألم فيه عينه وبه أيضا صعد إلى السماء)[١].

وقيامة المسيح ركن هام فى المسيحية [٢]. لذلك يقول بولس (إذا لم يكن المسيح قد قام قباطلة كرازتنا وباطل أيضا إيمانكم)[٣].

فلولا القيامة ـ كما يقول باركلى ـ لما قامت للكنيسة قائمة، وبدون قيامة كان يسوع مجرد ذكرى تخبو تدريجيا[٤].

ويقول جون لوريمر (القيامة التى لولاها ما كان يمكن أن يكون للكنيسة وجود بالمرة، فهى التى جعلت معنى لموته ولكل شئ فعله وقاله قبل ذلك.

فعندما قام السيد من الأموات عرف أتباعه من هو ومن هم وماذا يجب أن يفعلوا) [٥] فقيامة المسيح هى من أسس الاعتقاد المسيحى بل تكاد تكون هى مركز الدائرة فى المسيحية، ولولاها ـ كما يقولون ـ لبطل التبشير بالمسيحية، ولبطل الإيمان بالمسيحية، وهى التى أضفت على أفعال وأقوال المسيح معنى جديدًا.

والقيامة هى التى جعلت لموت المسيح معنى، وعلى ذلك فإن القيامة لها دور أساسى فى عقيدة الخلاص المسيحية إذ هى التى فسرت موت المسيح على الصليب.

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص ٩٠٩ .

(٢) تفسير رسالة رومية ص ١٦٠.

(٣) ١ كورنثوس ١٥ : ١٤،١

(٤) تفسير أعمال الرسل ص ٥٨.

(٥) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة ص ٤٢.

فالخلاص المسيحى لا يتوقف عند موت المسيح على الصليب بل يمتد إلى قيامة المخلص. وهذا ما نبينه فى هذا الفصل إن شاء الله.

وسنذكر فى هذه الفصل:

أولاً: أحداث قيامة المسيح كما روتها الأناجيل.

ثانياً: أهمية قيامة المسيح فى المسيحية.

ماذا بعد صلب المسيح فى التصور المسيحى

أولا: الدفن:ـ

بعد ما تحدثت الأناجيل على أن المسيح قد مات على الصليب أشارت إلى عملية الدفن حيث ذكرت أن يوسف الرامى[١] تقدم بطلب إلى بيلاطس يطلب جثة المصلوب ذلك لأن الشريعة اليهودية كانت تقضى بألا تبيت جثة المحكوم عليه بالإعدام على آلة التعذيب.

يقول سفر التثنية (وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه فى ذلك اليوم. لأن المعلق ملعون من الله. فلا تنجس أرضك التى يعطيك الرب إلهك نصيبا)[٢].

وكان القانون الرومانى يجيز لذوى المحكوم عليه بالإعدام أن يطالبوا بجسده ويأخذوه وهذا مما حفز يوسف على طلب جسد المسيح من بيلاطس ليتمكن من دفنه قبل دخول السبت، وقد تطوع للقيام بدفن جسد يسوع دفنا لائقا فنزل بيلاطس على رغبته وقد كان يملك بقرب الجلجثة بستانا نحت فيه قبرًا ليدفن فيه، وبعد أن لف جسد يسوع بكتان نقى وضعه فيه، ثم دحرج حجرًا كبيرًا على باب القبر ومضى[٣].

---

(١) يوسف الرامى: من الرامة مدينة لليهود (لوقا ٢٣ : ٥١) وكان مشيرا غنيا (متى ٢٧ : ٥٧) ورجلا صالحا بارا (لوقا ٢٣ : ٥٠ وعضوا فى مجلس السنهدريم.

(٢) تثنية ٢١: ٢٢، ٢٣.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ١١١٨.

يقول مرقس عن هذه الحادثة :-

(ولما كان المساء إذ كان الاستعداد. أى ما قبل السبت. جاء يوسف الذى من الرامة مشير شريف وكان هو أيضا منتظرا ملكوت الله فتجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعا فدعا قائد المئة وسأله هل له زمان قد مات. ولما عرف من قائد المئة وهب الجسد ليوسف. فاشترى كتانا فأنزله وكفنه بالكتان ووضعه فى قبر كان منحوتا فى صخرة ودحرج حجرا على باب القبر. وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسى تنظران أين وضع؟)[١].

ولقد اختصر (متى) ما فى(مرقس) إلا أنه أضاف أيضا بعض التفاصيل فلقد غير قول (مرقس) على يوسف الرامى بأنه (مشير يوسف) إلى قوله (رجل غنى)، كذلك فإن "متى" حذف ما ذكره (مرقس) عن استفهام بيلاطس من قائد المئة عن موت يسوع، كما يبين (متى) أن القبر المستخدم - هو ما عرف فيما بعد باسم قبر يوسف وذلك من قوله (ووضعه فى قبره الجديد الذى كان قد نحته فى الصخرة ثم دحرج حجرا كبيرا على باب القبر ومضى)[٢].

فإنجيل (متى) يبين أن القبر الذى وضع فيه جسد المصلوب (قبره - أى قبر يوسف - الذى نحته من الصخر) بينما يبين (مرقس) أنه وضع جسد المصلوب فى "قبر" ولم يضف القبر إلى نفسه ما يدل على أنه ليس قبره.

ويتفق لوقا مع مرقس فى أن يوسف وضع جسد المصلوب فى (قبر غير قبره) ولكنه يختلف معه فى وصف القبر الذى وضع فيه هل هو جديد أم لا؟ فبينما لم يشر "مرقس" إلى ذلك - ولو كان القبر جديدا لأشار إليه - نجد (لوقا) يؤكد أن جسد المصلوب وضع فى قبر جديد حيث لم يكن أحد وضع قط[٣].

ويختلف يوحنا عن الأناجيل الثلاثة فى روايته عن القبر، إذ يؤكد أنه كان فى الموضع الذى صلب فيه بستان، وفى البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد[٤] فلم تشر الأناجيل الثلاثة إلى أن ذلك القبر كان فى البستان الذى أشار إليه يوحنا.

---

(١) مرقس ١٥ : ٤٢ - ٤٧.
(٢) راجع متى ٢٧ : ٦٠.
(٣) لوقا ٢٣ : ٥٣.
(٤) يوحنا ١٩ : ٤١.

ويختلف يوحنا عن الأناجيل الثلاثة أيضا فى قولها إن يوسف الرامى هو الذى تكفل وحده بدفن جسد المصلوب، إذ يبين (يوحنا) أن (نيقود يموس)[١] اشترك مع يوسف فى عملية الدفن، فيقول (جاء يوسف وأخذ جسد يسوع وجاء أيضا نيقوديموس الذى أتى أولا إلى يسوع ليلا وهو حامل مزيج مر وعود نحو مئة منًا فأخذا جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الأطياب كما لليهود عادة أن يكفنوا[٢]).

مما سبق يتبين أن الأناجيل اختلفت فى عملية الدفن ـ أى دفن جسد المصلوب ـ من نواحى عدة: ـ

١ ـ مرقس، متى، لوقا: الذى استلم جسد المصلوب وقام بعملية الدفن يوسف الرامى وحده. بينما يذكر يوحنا: أن نيقوديموس اشترك مع يوسف الرامى.

٢ ـ يذكر مرقس وحده استفهام بيلاطس من قائد المئة عن موت يسوع. بينما لا تذكر الأناجيل شيئا عن ذلك.

٣ ـ يختلف متى عن مرقس ولوقا فى روايتهما عن القبر، إذ يؤكد "متى" أن القبر الذى وضع فيه جسد المصلوب كان قبر يوسف الرامى، ولا يذكر لوقا ومرقس عن ذلك القبر سوى أنه كان قبرا منحوتا ولم يضفه إلى يوسف، ويختلف يوحنا عن الأناجيل الثلاثة فى روايته عن القبر، إذ يبين أنه كان فى موضع قريب من البستان الذى صلب فيه المصلوب.

٤ ـ يتفق لوقا ويوحنا فى أن القبر الذى وضع فيه المصلوب كان جديدا حيث لم يستخدم قط، ولا يذكر متى ومرقس عن ذلك شيئا.

هذا إلى جانب اختلافات أخرى يتحير إزاءها العقل ويتساءل: بأى رواية نأخذ؟ وأى رواية نرفض؟ وهل يثبت بهذه الاختلافات عقيدة يطمئن إليها العقل؟!!!

---

(١) نيقوديموس: اسم يونانى معناه (المنتصر على الشعب) وهو فريسى وعضو فى السنهدريم، وكان واحدامن رؤساء اليهود، دافع عن يسوع فى السنهدريم لما هاجمه الفريسيون (يوحنا ٧ : ٥١) وبعد أن مات يسوع عمل على تطيب جسده بالمر ودفنه) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٩٨٨.

(٢) يوحنا ١٩ : ٣٩، ٤٠.

ثانيا: ما قيل من زيارة النساء للقبر واكتشافهن لقيامة المسيح:-

تقول الأناجيل إن بعض النساء اشترين أطيابا ومواد تحنيط لكى يدهن ويحنطن جسد يسوع الذى كان موضوعا فى القبر، ثم قامت النساء بزيارة القبر الذى دفن فيه المصلوب ولكنهن فوجئن بأن المسيح قد قام.

يقول مرقس (وبعدما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطا ليأتين ويدهنه، وباكرا جدا فى أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس. وكن يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر. فتطلعن ورأين أن الحجر قد دحرج لأنه كان عظيما جدا. ولما دخلن القبر رأين شابا جالسا عن اليمين لابسا حلة بيضاء فاندهشن. فقال لهن لا تندهشن أنتن تطلبن يسوع الناصرى المصلوب. قد قام. ليس هو ههنا. هو ذا الموضع الذى وضعوه فيه. لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل. هناك ترونه كما قال لكم. فخرجن سريعا وهربن من القبر لأن الرعدة والحيرة أخذتاهن ولم يقلن لأحد شيئا لأنهن كن خائفات[1]).

فالنساء خرجن من أجل أن يدهن جسد المصلوب، وكان ما يدور بأفكارهن هو من يدحرج لهن الحجر الذى كان قد وضع على القبر، ولكنهن رأين الحجر قد دحرج فدخلن القبر ورأين شابا لابسا حلة بيضاء أخبرهن أن المسيح الذى تطلبونهن قام من القبر، وأمرهن أن يذهبن ليبلغن ذلك إلى تلاميذه كى يتمكنوا من مقابلته فى الجليل.

هذه هى رواية مرقس عن زيارة النساء واكتشافهن قيامة المسيح.

أما رواية (متى) عن هذه الزيارة فإنها تبدأ برواية أن اليهود ذهبوا إلى الحاكم الرومانى وطلبوا منه أن يرسل حراسا لضبط القبر.

ولقد انفرد (متى) بهذه الرواية.

---

(١) مرقس ١٦ : ١ - ٨.

يقول متى (وفى الغد الذى بعد الاستعداد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين: ياسيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حى إنى بعد ثلاثة أيام أقوم. فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتى تلاميذه ليلا ويسرقونه ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات . فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى. فقال لهم بيلاطس عندكم حراس. اذهبوا واضبطوه كما تعلمون. فمضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر [١]) ثم يذكر "متى" زيارة النساء للقبر [٢].

وهى تختلف عن رواية (مرقس) فيما يأتى:

١ ـ وأول اختلاف هو أن (مرقس) ذكر أن الزائرات من النساء ثلاثة (مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب، وسالومة) بينما يذكر (متى) أن اثنتين فقط هما اللتان قامتا بالزيارة (مريم الجدلية، ومريم الأخرى).

٢ ـ اختلفت رواية (متى) عن رواية (مرقس) فى دحرجة الحجر.

يذكر (مرقس) أن النساء كن يقلن فى أنفسهن أو فيما بينهن من يدحرج لنا هذا الحجر، ثم تطلعن فوجدن أن الحجر قد دحرج، ومضمون هذه الرواية أن الحجر قد دحرج وحده بدون أن يفعل ذلك أحد.

ولكن "متى" يبين (أن زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب) ومضمون هذه الرواية أن ملاك الرب هو الذى قام بدحرجة الحجر.

٣ ـ اختلفت رواية (متى) عن رواية (مرقس) فى الشخص الذى رأته النساء جالسا عند القبر، فبينما يذكر (مرقس) (أن النساء رأت شابا جالسا عن اليمين لابسا حلة بيضاء).

نجد أن متى يذكر أن ملا ك الرب هو الذى كان جالسا وكان منظره كالبرق ولبسه أبيض كالثلج.

---

(١) متى ٢٧ : ٦٣ ، ٦٦.

(٢) متى ٢٨ : ١ ، ١٠.

٤ ـ اختلفت رواية (متى) عن رواية (مرقس) فى تصويرها لحالة النساء إثر دحرجة الحجر. فبينما يذكر (مرقس) أن النساء اندهشن.

نجد أن (متى) يذكر (أن المرأتين اللتين قامتا بالزيارة ـ حسب رواية متى ـ خافتا) ولا شك أن الدهشة خلاف الخوف!!

٥ ـ اختلفت رواية (متى) عن رواية (مرقس) فى بيانها للرسالة التى حملتها النساء، هل قمن بتبليغها أم لا؟

فبينما يذكر (مرقس) (ولم يقلن لأحد شيئا لأنهن كن خائفات).

نجد أن (متى) يخبر أن المرأتين اللتين قامتا بالزيارة (خرجتا سريعا.. لتخبرا التلاميذ).

• وهكذا نرى اختلافا واضحا بين الإنجيلين، فأيهما الصادق؟ وأيهما الكاذب؟.ولا يمكن التسليم بأحدهما دون الآخر لأن الصادق منهما غير متعين!!

وكذلك أيضا نجد أن رواية (لوقا) لحادثة زيارة النساء للقبر [١] تختلف عن الروايتين السابقتين فى بعض الأمور [٢] وإليك أهمها: ـ

١ ـ يختلف إنجيل لوقا عن الإنجيلين السابقين فى بيان عدد النساء اللاتى قمن بالزيارة، مرقس: مريم الجدلية، ومريم أم يعقوب، سالومة.

متى: مريم المجدلية، مريم أم يعقوب فقط.

لوقا: أن نساءً كثيرات كن قد تبعن يسوع وقد أتين إلى القبر ومعهن أناس.

٢ ـ يختلف إنجيل لوقا عن الإنجيلين السابقين فى الشخص الذى كان يوجد عند القبر.

مرقس: شاب واحد عند القبر.

متى: ملاك الرب هو الذى كان جالسا عند القبر.

---

(١) لوقا ٢٧ : ١ ـ ١٠.

(٢) أوردنا الاختلاف بين الأناجيل فى هذه الحادثة باستفاضة لأن الأناجيل هى الأساس فى إثبات عقيدة القيامة (أى قيامة المسيح من القبر) ونحن نقول: هل مع وجود هذه الاختلافات الواضحات البينات يثبت عقيدة؟

لوقا: وإذا رجلان وقفا بثياب براقة.

٣ ـ يختلف إنجيل لوقا عن الإنجيلين السابقين فى تبليغ النساء للرسالة.

مرقس: أن النساء لم يخبرن أحدا لأنهن كن خائفات.

متى: أن المرأتين خرجتا لتخبرا التلاميذ.

لوقا: أن النساء قدمن تقريرًا كاملاً للتلاميذ (ورجعن من القبر وأخبرن الأحد عشر الباقين بما حدث فى الزيارة كلها).

أما عن رواية يوحنا لهذه الزيارة فإنها مختلفة كل الاختلاف عن الأناجيل الثلاثة فى عناصرها الرئيسية، حيث إنه يذكر أن مريم هى التى قامت وحدها بزيارة القبر، وأنها ذهبت إلى سمعان بطرس وإلى يوحنا التلميذ الذى كان يحبه المسيح وأخبرتهما أن اليهود أخذوا السيد من القبر، فخرج بطرس والتلميذ الآخر إلى القبر ووجدا الأكفان موضوعة فعرفا أن المسيح قام من القبر.

يقول يوحنا (فى أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكرا والظلام باق فنظرت الحجر مرفوعا عن القبر. فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه [١] وقالت لهما أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه؟ فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأتيا إلى القبر. وكان الاثنان يركضان معا. فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولا إلى القبر، وانحنى فنظر الأكفان موضوعة ولكنه لم يدخل. ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ونظر الأكفان موضوعة والمنديل الذى كان على رأسه ليس موضوعا مع الأكفان بل ملفوفا فى موضع وحده. فحينئذ دخل أيضا التلميذ الآخر الذى جاء أولا إلى القبر ورأى فآمن. لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغى أن يقوم من الأموات. فمضى التلميذان إلى موضعهما[٢]. فهذه الرواية تختلف كل الاختلاف عن الروايات السابقة، وبيان هذه الاختلافات واضح وظاهر.

---

(١) هو: يوحنا بن زبدى الصياد، وسمى التلميذ الحبيب لأن يسوع ـ كما يقولون ـ كان يحبه بنوع خاص، ويدل على ذلك أنه أخذ من يسوع أجل وديعة إذ أوصاه بأمه (راجع قاموس الكتاب المقدس) ص ١٨٠٩.

(٢) يوحنا ٢٠ : ١ ـ ٩

ولكننا نقف عند قول يوحنا عن التلميذين إنهما حينما وجدا الأكفان موضوعة آمنوا أن المسيح قام، لأنهما لم يكونا بعد يعرفا الكتاب أنه ينبغى أن يقوم من الأموات.

فإن هذه الفقرة واضحة التعارض بما جاء فى الأناجيل من أن المسيح كان يعلمهم أنه بعد ثلاثة أيام سيقوم. تقول الإناجيل (وابتدأ المسيح يعلمهم أن ابن الإنسان - المسيح - ينبغى أن يتألم كثيرا ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل. وبعد ثلاثة أيام يقوم. وقال القول علانية)[1].

فكيف نوفق بين تلك الرواية التى تقول إن التلميذين اللذين هما أحب التلاميذ إلى المسيح لم يكونا يعرفا الكتاب، وبين هذه الرواية التى تقول إن المسيح علمهم ذلك؟ وما دام قد علمهم وأعلمهم بقيامته مؤكدا على أنها من أهم تعاليمه وعقائده فلابد أن يكونا عارفين بها متيقنين من حدوثها !!! وكيف لا يعرف بطرس رئيس التلاميذ ذلك.؟ مع أن إنجيل "متى" يوضح أن الكتبة والكهنة ذهبوا إلى بيلاطس وأخبروه بأن التلاميذ تقول بأن المسيح سيقوم بعد ثلاثة أيام!! ألا ترى أن هناك تعارضا بين هذه الروايات لا يمكن دفعه بأى حال من الأحوال؟

وهكذا نرى الاختلاف بين الأناجيل الأربعة فى هذه الحادثة التى يثبت النصارى منها قيامة المسيح. ونحن نقول: هل تثبت عقيدة بهذا الاختلاف الذى يوحى بالتناقض والتضارب؟ ونقول لهم: أى الروايات صادقة؟ وأى الروايات كاذبة؟

ولما كانت الصادقة منها غير متعينة فالشك يرد على الجميع، والدليل إذا تطرق إليه الشك سقط به الاستدلال.

وقبل أن ننتهى من هذه النقطة نسأل : ما الهدف من زيارة النساء؟

يقولون: كان الهدف من زيارة النساء دهن جسد المسيح.

وهذا السبب فى نظر الباحثين غير كاف.

---

(١) راجع مرقس ٨ : ٣١-٣٣، متى ١٦ : ٢١ ، ٢٣ ، لوقا ٩ : ٢٢ .

يقول نينهام (إن الدافع المقترح لهذه الزيارة يدعو على أى حال إلى الدهشة، فمن الصعب أن نثق فى أن الغرض من زيارة النساء كان دهان جسم إنسان انقضى على موته يوم وليلتان وإن أغلب المعلقين يرددون ما يقوله (مونتفيورى) من أن السبب الذى تعزى له هذه الزيارة غير محتمل البتة)[١].

فالدافع الذى ذكر فى الأناجيل لزيارة النساء للقبر فى نظر الباحثين غير كاف بل غير محتمل البتة.

فهذه الحادثة يحوطها الشك من كل جانب.

موقف التلاميذ إزاء ما قيل من قيامة المسيح

إن الاعتقاد المسيحى أن المسيح صلب، وبعد صلبه أخذ جسده يوسف الرامى، دفنه، ولم ينته الأمر عند هذا الحد، بل بعد دفنه قام من بين الأموات، والنساء هن اللاتى اكتشفن قيامة المسيح، وعقب اكتشافهن خرجن ليخبرن التلاميذ بذلك. ونذكر فى هذا المقام موقف التلاميذ ـ كما روته الأناجيل ـ بعدما علموا ذلك من النساء اللاتى قمن بزيارة القبر.

ولقد ذكر إنجيل لوقا وإنجيل يوحنا الانطباع الأول للتلاميذ حين علموا بقيامة المسيح يقول لوقا (ورجعن ـ أى النساء الزائرات ـ من القبر وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله. وكانت مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن اللواتى قلن هذا للرسل.. **فتراءى كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدقوهن** فقام بطرس وركض إلى القبر فانحنى ونظر الأكفان موضوعة وحدها فمضى متعجبًا فى نفسه مما كان)[٢] يتبين لنا من رواية (لوقا) أن التلاميذ تلقوا نبأ قيامة المسيح بفتور واضح وتراءى لهم أن هذا الكلام كالهذيان ـ أى غير حقيقى ـ ولم يصدقوا النساء اللاتى أخبرن بأن المسيح قام، بل إن رئيس التلاميذ (بطرس) نفسه قام إلى القبر لينظر جسد المصلوب فلم يجده فتعجب أى بعد ما نظر القبر خاليا غير مصدق للقول بقيامة المسيح.

---

(١) نقلا عن المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٢٨٧.

(٢) لوقا ٢٤ : ٩ ، ١٢.

وهنا نسأل: كيف لا يصدق التلاميذ قول النساء ؟ مع أن المسيح قد أخبرهم سابقا - على حسب رواية الأناجيل - أنه سوف يتألم كثيرا ويرُفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل، وبعد ثلاثة أيام يقوم، وقال القول علانية حتى علم بذلك أيضا كهنة اليهود فذهبو إلى بيلاطس وأمروه بحراسة القبر.

إن تعليم المسيح للتلاميذ بأنه سيقوم بعد ثلاثة أيام يعتبر - لو حدث - من العقائد التى يجب أن تكون معلومة لجميع التلاميذ، أى أنها تعتبر أمرا معلوما من الدين بالضرورة، وهذا يعنى أنه إذا جاءت النساء بخبر قيامة المسيح فإنهم - أى التلاميذ - أقرب الناس إلى أن يتلقوا الخبر بالقبول بدون شك فى صدق النساء ... ذلك لأنهم يعلمون ذلك مسبقا بل يعتقدون ذلك مسبقا وذلك على حسب رواية الأناجيل؟ فإذا وجدنا بعد ذلك أن التلاميذ تلقوا خبر قيامة المسيح كالهذيان غير مصدقين فإن النتيجة التى لا مفر من التسليم بها هى: - إما أن ذلك الحوار الذى قيل إنه جرى بين المسيح وتلاميذه وتنبأ فيه بقتله وقيامته بعد ثلاثة أيام لم يحدث على الإطلاق، وأن ما نجده عن ذلك الحوار فى الأناجيل إنما هو إضافات أدخلت إليها فيما بعد وهذا يعنى أن الأناجيل محرفة وغير مقدسة.

أو أن المسيح أخبر بأنه سيقوم ولكن التلاميذ لم يصدقوا هذه النبوءة ولم يعتقدوا بها حتى نسوها وأبعدوها عن أذهانهم، ثم فوجئوا بإخبار النساء لهم بقيامة المسيح فلم يصدقوهن، ولا شك أن عدم التصديق بنبوءة المسيح التى على أساسها تثبت عقيدة القيامة كفر وخروج عن الملة!!!

أو أن نقول: إما أن المسيح لم يتنبأ بشئ وتكون رواية الأناجيل عن تلقى التلاميذ لقيامة المسيح بأنهم لا يعرفون أن المسيح ينبغى أن يقوم رواية صحيحة، وعلى هذا فيكون كلامكم فى القيامة غير صحيح لأنها ليست من عقائد المسيح.

أو أن نقول إن المسيح تنبأ بنبوءة ولكن هذه النبوءة لا تعنى قيامته من الأموات ولكن تعنى شيئاً آخر مثل رفعه إلى السماء قبل الصلب وتكون بذلك روايات الأناجيل عن عدم معرفة التلاميذ بأن المسيح سيقوم روايات صحيحة، وعلى ذلك يكون اعتقادكم بالقيامة غير صحيح لأن المسيح لم يتنبأ بها.

ولذلك نجد أن إنجيل يوحنا عندما يروى الانطباع الأول للتلاميذ عند سماعهم لخبر قيامة المسيح يبين أنهم لم يكونوا يعرفون أنه ينبغى أن يقوم.

يقول يوحنا (لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغى أن يقوم من الأموات[١]).

ويتبين من هذه الرواية، والرواية السابقة أن تلاميذ المسيح تلقوا القول بقيامة المسيح على أساس أنه كلام كالهذيان، ـ ولم يصدقوه ـ حتى بطرس نفسه بعد ما رأى الأكفان موضوعة فى القبر لم يصدق ومضى متعجبا، وهذا يدل أن التلاميذ شكوا فى القول بقيامة المسيح.

وإذا كان التلاميذ الذين عاصروا المسيح وسمعوا منه شكوا فى هذا القول، فأولى بالشك غيرهم الذين لم يعاصروا المسيح ولم يسمعوا منه[٢].!!!

ومما يدل على أن التلاميذ كانوا يشكون فى حدوث قيامة المسيح من الأموات أنها بدأت تنتشر ببطء وسط المجموعة المسيحية الأولى حتى إنهم لم يذيعوا خبرها إلا بعد خمسين يوما[٣].

يقول الأستاذ أحمد عبد الوهاب (ولقد بدأت روايات قيامة المسيح من الأموات تنتشر ببطء شديد وسط المجموعة المسيحية الأولى، بسبب إنكار تلاميذ المسيح وحوارييه ـ وعلى رأسهم بطرس ـ لتلك الروايات، وشكهم فيها، وعدم إيمانهم بوجود أدنى صلة بين رسالة المسيح الحقة التى تلقوها من معلمهم وبين فكرة القيامة من الأموات التى صارت واحدة من ركائز العقائد المسيحية فيما بعد؛ من أجل ذلك تأخر الإعلان عن قيامة المسيح وظهوره سبعة أسابيع، فلم يذع خبرها بين عامة المسيحيين إلا بعد خمسين يوما كما تقول رسالة الأعمال[٤].

---

(١) يوحنا ٢٠ : ٨ ، ٩.

(٢) هذه الأقوال على فرض التسليم بأنه صلب ودفن وقام.

(٣) راجع سفر أعمال الرسل الاصحاح الثانى.

(٤) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٢٨٦.

لذلك يقول أحد المسيحيين (لا ينكر أى دارس أن الكنيسة ولدت يوم الخمسين[١]).

أدلة المسيحين على قيامة المسيح ومناقشتها

يقول د/حنا جرجس الخضرى:

إن قيامة المسيح من الأموات مشكلة من المشاكل اللاهوتية التى أثارت عبر التاريخ جدلا حارا ومناقشات طويلة مختلفة ومتنوعة وأسئلة لا حصر لها ، ومن الأسئلة التى طرحها اللاهوتيون وغير اللاهوتيين بخصوص قيامة السيد من الأموات: هل قيامة المسيح من الأموات هى حقيقة واقعية أم أسطورة؟)[٢].

جاء فى (علم اللاهوت النظامى) إجابة على مثل هذا السؤال: لم تذكر قيامة المسيح فى الكتاب المقدس على سبيل مجرد الخبر بأمر حادث، بل على أنها حقيقة أساسية فى الإنجيل قال بولس (إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا إيمانكم[٣]، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل أيضا إيمانكم أنتم بعد فى خطاياكم)[٤].

ولقد ذكر علماء المسيحية الأدلة على كون قيامة المسيح حقيقة أساسية وأهمها ما يأتى.

أولاً: إنباء المسيح نفسه بها[٥]: -

فلقد ذكروا أن المسيح أخبر بقيامته من بين الأموات مرات عديدة قبل تعرضه للآلام وأن الأناجيل ذكرت هذه الأخبار.

- من ذلك إشارة المسيح لقيامته بآية يونان[٦].

---

(١) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة ص ٤٧.
(٢) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٥٠.
(٣) ١ - كورنثوس ١٥ : ١٤، ١٧.
(٤) علم اللاهوت النظامى ص ٩٠٩.
(٥) المصدر السابق ص ٩٠٩، راجع أيضا: قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٩.
(٦) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص ٩٩.

فلقد روت الأناجيل أن الكتبة والفريسيين طلبوا من المسيح أن يريهم آية (فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى. لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام ثلاث ليال)[١].

فالمسيح قد أخبرهم ـ كما يدعون ـ أنه سيعطى آية يونان والتى هى كما جاءت فى سفره الخاص به (وأما الرب فأعد حوتا عظيما ليبتلع يونان. فكان يونان فى جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، فصلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت .... وأمر الرب الحوت فقذف يونان إلى البر[٢]).

ومضمون هذه الرواية أن يونان بقى فى الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ثم أمر الرب الحوت بأن يقذف يونان إلى البر (والمسيح أخبر بهذه الآية لأنها ترمز إلى موته وقيامته[٣]) أى أنه يخبر عما سيقع له من الموت والقيامة.

ومن الواضح أنه لكى تتحقق هذه النبوءة يجب أن يبقى المصلوب فى بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال، ولكن إذا رجعنا إلى ما تذكره الأناجيل عن أحداث الصلب والقيامة لوجدنا أن المصلوب أنزل من على الصليب مساء الجمعة (يوم الصليب) (ولما كان المساء إذ كان الاستعداد أى ما قبل السبت جاء يوسف الذى من الرامة ..... فأنزله وكفنه بالكتان ووضعه فى قبر كان منحوتا فى صخرة ودحرج حجرا على باب القبر[٤]).

وقد اكتشف تلاميذ المسيح وتابعيه أن ذلك القبر كان خاليا من الميت فى الساعات الأولى من فجر يوم الأحد، وفى هذا يقول متى (وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر .... فأجاب الملاك وقال

---

(١) متى ١٢ : ٣٨ ، ٤٠ ، ١٦ : ٤، مرقس ٨ : ١١ ، لوقا ١١ : ٢٩، ٣٢.
(٢) يونان ١ : ١٧، ٢ : ١ـ١٠.
(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ١١٢٧.
(٤) مرقس ١٥ : ٤٢ـ٤٦.

لمرأتين... ليس هو هنا لأنه قام كما قال)[١] وكذلك يقول يوحنا (وفى أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكرا والظلام باق فنظرت الحجر مدفوعا عن القبر[٢]).

وبعملية حسابية بسيطة نجد أن عدد الأيام التى قضاها الميت فى بطن الأرض فى القبر يساوى يوما واحدا (يوم السبت)، وعدد الليالى التى قضاها الميت فى بطن الأرض (القبر) يساوى ليلتين، ليلة السبت وجزء من ليلة الأحد على أحسن الفروض[٣].

وبذلك تستطيع أن نقول: إنه يستحيل تحقيق هذه النبوءة فما بقى فى قلب الأرض ثلاثة أيام، وثلاث ليال، بل يوما واحدا، وليلتين، وما قام بعد ثلاثة أيام فهذه أغلاط ثلاثة[٤].

فالاستشهاد (بآية يونان) على أنها إخبار من المسيح عن نفسه بالصلب والقيامة خطأ ؛ لأنه لكى تتحقق كان يجب أن يبقى المصلوب فى القبر ثلاثة أيام وثلاث ليال وهو ما لم يحدث فتبين كذب القول وعدم صحته، وتبين كذب الاستشهاد بهذه الرواية.

ونقول لهم ـ بجانب أنه لا يصح الاستشهاد بها على إخبار المسيح عن صلبه وقيامته ـ إما أن يكون المسيح قد أخبر بأنه سيعطى آية يونان، ولكنه أخطأ وكذب فى هذه النبوءة، لأنه لم يبق فى القبر ثلاثة أيام وثلاث ليال، ولو سلموا بهذا فإن ذلك يعنى أنهم ينسبون الكذب إلى المسيح، وكيف يجوز على الإله أن يكذب؟!!!

أو أن المسيح لم يخبر عن هذه الآية وتكون الأناجيل هى التى أضافتها إلى المسيح، وهذا كفر أيضا فإضافة أقوال إلى المسيح من غير أن يقلها كفر بالديانة.

---

(١) متى ٢٨ : ١ ـ ٦.

(٢) يوحنا ٢٠ ـ ١.

(٣) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ١٠١.

(٤) إظهار الحق ص ٢٥٩.

• ومن أدلتهم فى إخبار المسيح عن القيامة ما روى [١] فى الأناجيل من أن المسيح أخبر تلاميذه:

(أنه ينبغى أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيرا من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفى اليوم الثالث يقوم ... وقال القول علانية[٢]).

ولقد ورد مثل هذا القول فى الأناجيل كثيرا [٣] واتخذ النصارى من هذا القول دليلا على إخبار المسيح عن موته وقيامته، ولكن هذا القول كان يصح لو لم يحدث من تلاميذ المسيح ما حدث حينما أخبرتهم مريم عن قيامة المسيح، ذلك أنهم ـ كما بينا سابقا ـ لم يصدقوا ما قالت، وقابلوا الكلام كالهذيان هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن هذا القول معارض بما جاء فى إنجيل يوحنا بأنهم لم يكونوا يعرفون أنه ينبغى أن يقوم، فكيف يمكن التوفيق بين القول بأن المسيح يعلم تلاميذه أنه جاء أورشليم ليقتل ويقوم وبين ما روى فى إنجيل يوحنا (أنهم لم يكونوا يعرفون الكتاب أنه ينبغى أن يقوم[٤])؟!!

ثانيا: القبر الفارغ ووجود الأكفان:ـ

إن قصة القيامة تبدأ فى الأناجيل الأربعة بذهاب النسوة باكرا جدا فى صباح يوم الأحد إلى القبر، فما أن أتين إلى القبر حتى ذهلن، إذ لم يجدن جسد السيد مسجى فيه وهكذا كانت الحقيقة الأولى الواضحة الجلية أن القبر كان فارغا[٥].

فالأناجيل توضح بأن القبر الذى وضع فيه جسد يسوع بعد الصلب وجد فى فجر يوم الأحد فارغا خاليا وخاويا، وأن لفائف الكتان والأربطة التى لفى بها جسد

---

(١) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٩/قيامة المسيح والأدلة على صدقها ص ٦، كلايدتارنر: هذه عقائدنا ص ٩١، ص ٩٢.

(٢) متى ١٦: ٢١ ـ ٢٣، مرقس ٨: ٣١ ـ ٣٣، لوقا ٩: ٢٢.

(٣) متى ١٧: ٩ ـ ٢٣، ٢٠: ١٩، ٢٧: ٦٣، مرقس ٩: ٩، ٣١، ١٠: ٣٤، ١٤: لوقا ١٨: ٣٣، يوحنا ٢: ١٩، ٢١.

(٤) يوحنا ٢٠: ٩.

(٥) جون ستوت: المسيحية فى جوهرها ص ٦٦.

يسوع وربطت حول رأسه وجدت موضوعة بكيفية جعلت التلميذ المحبوب ـ يوحنا ـ يوقن بأن جسد المخلص خرج من هذه اللفائف والأربطة بطريقة معجزة من دون أن تحل اللفائف أو تفك الربط[١].

وقد أوضح الملاك حقيقة القبر الفارغ بالقول إنه قام[٢].

فوجود القبر خاليا من أدلة النصارى على قيامة المسيح.

وقد حاول بعض قادة اليهود ورؤسائهم أن يفسروا حقيقة القبر الفارغ بأن ادعوا بأن تلاميذه سرقوا الجسد[٣].

ولكن النصارى يقولون فى بطلان هذا! إن تلاميذ يسوع نادوا بالقيامة محققين إياها بالرغم عما جلبت عليهم هذه المناداة بالسجن والقتل[٤].

فمجمل القول فى هذا الدليل: أن وجود القبر فارغا مع وجود الأكفان دليل على أن المسيح قام من بين الأموات.

وقد كان يكفى فى مناقشتنا لهذا الدليل ما أوردناه سابقا عن التناقض الواضح بين الأناجيل حين روت زيارة النساء للقبر.

ولكننا نزيد على ذلك بأن نقول:

إن إنجيل متى ـ كما قلنا سابقا ـ انفرد بين أصحاب الأناجيل بذكر تلك الواقعة التى تقول بأن اليهود طلبوا إلى بيلاطس أن يقيم حراسة على قبر المسيح حتى لا يسرقه تلاميذه ويذيعوا فى الناس أنه قام من بين الأموات حسبما كان يتحدث بذلك فيكون من ذلك فتنة وفساد كبير، وقد ترك بيلاطس إلى اليهود أن يتولوا هم بأنفسهم حراسة القبر وضبطه.

ولو صحت هذه الواقعة ـ وهى صحيحة عندهم ـ لما أمكن القول بقيامة المسيح أبدا، ولما أمكن وجود شاهد يشهد لهذه القيامة، ذلك أن أقوى الأدلة على قيامة

---

(١) يوحنا ٢٠ : ٥ ـ ٨.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٩.

(٣) متى ٢٨ ـ ١٢ ـ ١٥.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٩.

المسيح هى شهادة أولئك الشهود من تلاميذه وأتباعه الذين ذهبوا إلى القبر فى اليوم الثالث ودخلوه فوجدوه خاليا من الجسد ووجدوا الأكفان موضوعة كما هى حسب ما كان الجسد موضوعا فيها.

وهنا تثور أسئلة من كل جهة!!!

أين كان الحراس الذين أقامهم اليهود على القبر؟ وأين كان اليهود الذين وقفوا يتصيدون تلاميذه الذين كان من المتوقع أن يحوموا حول القبر ولا يقاربونه؟ وأين حرص اليهود على حراسة القبر وضبطه؟ إن العهد لم يتطاول بالحراس وأشباه الحراس الذين قاموا على القبر ومن حوله .. إنها ساعات معدودة، فكيف ينفذ تلاميذ المسيح إلى القبر؟ بل كيف يغدون إليه ويروحون أفرادا وجماعات ينظرون فى القبر بل ويدخلون إلى داخل القبر ويفتشون فى محتوياته دون أن يلقاهم من يقول لهم إلى أين؟ أين كان اليهود؟ وأين كان حراس اليهود؟

وإذا كان لأحد التلاميذ أن يتسلل إلى القبر - وهذا مستحيل استحالة مطلقة فكيف يتكرر هذا العمل علانية ويتتابع تلاميذ المسيح يدخلون ويشاهدون الآثار التى خلفها المصلوب وراءه!!

ألا يسارع اليهود والحراس إلى سد هذه الثغرة!! أو يعيدون الحجر إلى موضعه؟ ألا يحولون بين أىٍّ من الناس وبين الاقتراب منه؟

ولم إذن كان تخوفهم من تلاميذ المسيح؟ ولم كان سعيهم إلى بيلاطس لحراسة القبر وضبطه؟[1].

فحراسة القبر من اليهود تبعث على الشك فى زيارة النساء وحدوث الزيارة من التلاميذ ودخولهم القبر ورؤيته فارغا، والدليل إذا تطرق إليك الشك سقط الاستدلال به.

ثالثا: دعوى ظهور المسيح لكثيرين :-

تروى الأناجيل أن المسيح ظهر لكثيرين بعد قيامته، وهذا الظهور لدى النصارى من أقوى الأدلة على قيامة المسيح.

---

(١) المسيح فى القرآن والتوارة والإنجيل ص ٤٤٩.

ولقد تحدثت الأناجيل عن هذا الظهور.

وأول ما يلفت النظر فى رواية الأناجيل لظهور المسيح هو:

أن قصة الظهور فى إنجيل مرقس الذى هو أقدم الأناجيل القانونية ـ تعتبر من أبرز المشاكل التى أثيرت بين علماء المسيحية حول إنجيل مرقس [١] إذ أن النسخة القانونية

---

(١) إن من أبرز المشاكل حول إنجيل مرقس خاتمته التى تتكلم عن ظهور المسيح، ولخص عالم الكتاب المقدس د/ فهيم عزيز هذه المشكلة فيقول: (فى النسخة العربية ينتهى الإنجيل عند (١٦ : ٢٠) ولكن هناك مشكلة كبيرة بخصوص الأعداد ٩ ـ ٢٠ من هذا الإصحاح وتتخلص المشكلة فى أمرين:ـ

الأمر الأول: هل هذه الأعداد (٩ ـ ٢٠) أصيلة فى الإنجيل بمعنى هل كتبها "مرقس" فى نهاية إنجيله ليختتمه؟ ظهر هذا السؤال لعاملين مهمين جدا.

الأول: هو أن أهم مخطوطتين قديمتين وهما الفاتيكانية والسينائية لا توجد بهما هذه الأعداد، وكذلك مخطوطات أخرى أقل أهمية منها، إلى جانب ذلك عدد كبير من الترجمات المعتمدة مثل السريانية والآرامية.

الثانى: الاختلاف الواضح فى الأسلوب بين الأعداد (٩ ـ ٢٠) وبقية الإنجيل والكلمات المستعملة فيه، وكذلك فإن من يدقق الدراسة يندهش لما يبديه عدد (٩) بخصوص مريم المجدلية كأنها ذكرت للمرة الأولى فى الإصحاح لأنه يحاول التعريف بها فى نفس الوقت الذى يذكرها فى العدد الأول على أنها شخصية معروفة ولا تقل فى ذلك عن مريم أم يعقوب وسالومة. على أساس هذين الاعتبارين فقد اعتقدت الغالبية العظمى من الدارسين أن هذه النهاية ليست من وضع البشير نفسه وأنها قد أضيفت إلى الإنجيل بعد ذلك.

الأمر الثانى: وهو أن العدد (٨) الذى يظن العلماء أن نهاية الإنجيل لا يصلح أن يكون نهاية، فالترجمة الحرفية له تنتهى بكلمة (لأنه)، ولا يعقل أنه ينتهى كتاب هكذا، وليس ذلك فقط بل كيف يمكن لمرقس وهو الإنجيلى الذى يظهر رسالة الإنجيل فى أول كتابه وأن ملكوت الله قد جاء ينهى هذا الكتاب نفسه بوصف حالة النساء بأنهن كن خائفات. إن المنطق لا يقبل ذلك وعلى هذا الأساس ينتهى الدارسون إلى النتيجة المنطقية بأن مرقس لم يترك إنجيله هكذا لابد وأنه كتب له نهاية ولكنها فقدت لسبب ما كأن قطعت الورقة أو تشوهت الكتابة وإلا فإن مرقس عندما وصل إلى العدد (٨) حدثت له حادثة منعته من التكملة. إن كل شئ جائز إلا أن ينتهى الإنجيل بنهاية عدد (٨) ويلوح أن أحد الكتبة الأقدمين أضاف النهاية الصغيرة لكى يتفادى النقص الموجود فى النسخة التى بيده، ثم أضيفت النهاية الكبرى لإعلان ظهور المسيح لتلاميذه وإرساله لهم وذلك فى أسلوب مختصر يحتوى على ظهورات كثيرة فى أعدد قليلة بخلاف الأناجيل الأخرى.

هذا ما يؤكده الغالبية العظمى للدارسين) أ. هـ. المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٣٠، ٢٣١ وهذا يعنى أن الفقرات التى تتحدث عن ظهور المسيح ليست أساسية فى إنجيل مرقس الذى هو أقدم الأناجيل القانونية، ذلك أن مرقس لم يكتبها بل كتبها غيره، وذلك لأن النسخ القديمة الأصلية تنتهى قبل بيان فقرات الظهور. هذا بجانب أن أسلوب هذه الفقرات (٩ ـ ٢٠) يختلف تماما عن أسلوب الإنجيل كله ولهذا يؤكد علماء الكتاب المقدس أن خاتمة إنجيل مرقس ليست من عمل مرقس كاتب الإنجيل.

لإنجيل مرقس تنتهى عند الإخبار بقيامة المسيح (١٦ : ٨). أما ما يوجد الآن فى إنجيل مرقس من روايات الظهور فإنه من المتفق عليه بين علماء المسيحية أن مرقس لم يكتبها بل كتبها غيره.

فإنجيل مرقس الذى هو أقدم الأناجيل القانونية والذى هو المصدر الأساسى لإنجيلى متى ولوقا [١] لم يذكر شيئا عن ظهور المسيح.

هذا بجانب أن روايات الأناجيل لظهور المسيح ـ شأنها كشأن روايات الأناجيل للعقائد المسيحية الأخرى ـ مليئة بالتناقضات والاختلافات الواضحة والتى لا يمكن معها إثبات حق دنيوى فضلا عن إثبات عقيدة.

جاء فى إنجيل مرقس:

وبعد ما قام باكرا فى أول الأسبوع ظهر أولا لمريم المجدلية التى كان قد أخرج منها سبعة شياطين. فذهبت هذه وأخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون ويبكون. فلما سمع أولئك **أنه حى وقد نظرته لم يصدقوا**.

وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم وهما يمشيان منطلقين إلى البرية. وذهب هذان **وأخبرا الباقين فلم يصدقوا ولا هذين**.

أخيرا ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام [٢].

---

(١) إن إنجيل مرقس أقدم الأناجيل القانونية لذلك كان مصدرا رئيسيا "لمتى" و"لوقا" يقول د/ فهيم عزيز (فى الدراسات التقوية والتفسيرية للأناجيل يبدأ الدراسون عادة بإنجيل (متى) لأنه هو الأول فى الترتيب المكانى بالنسبة لها أما الدراسون دراسة علمية فيبدأون بإنجيل مرقس لأنهم يعتقدون أنه هو الذى كتب أولا زمنيا وأن كاتبى الإنجيلين الأول (متى) والثالث (لوقا) قد اتخذاه مرجعا لهما فى كتابة إنجيلهما. المدخل إلى المعهد الجديد ص ٢١٥.

وتقول دائرة المعارف البريطانية إن القول بأن متى ولوقا استخدما إنجيل مرقس أصبح على وجه العموم مسلما به. نقلا عن حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر ص ١٦ ، المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٤٦.

(٢) مرقس ١٦ : ٩ ـ ١٤.

ومضمون الرواية أن المسيح ظهر أول ما ظهر لمريم المجدلية فذهبت لتخبر التلاميذ بقيامة المسيح وظهوره. ولكن التلاميذ لم يصدقوها، ثم ظهر المسيح لاثنين من تلاميذ المسيح فذهبا ليخبرا باقى التلاميذ فلم يصدقوهما، وأخيرا ظهر المسيح للأحد عشر تلميذا ووبخهم على عدم إيمانهم وعدم تصديقهم لقيامته وظهوره.

ولكن رواية (متى) عن ظهور المسيح تختلف عن هذه الرواية. يقول متى:

"وفيما هما - أى مريم المجدلية ومريم الأخرى - منطلقتان لتخبرا تلاميذه إذا يسوع لاقاهما وقال سلام لكما. فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له. فقال لهما يسوع لاتخافا. اذهبا قولا لإخوتى أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يروننى... وأما الأحد عشر تلميذا فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع. ولما رآوه سجدوا له **ولكن بعضهم شكوا**"[1].

وكما يظهر فإن رواية (متى) تختلف عن رواية (مرقس) فيما يلى:-

١ - رواية مرقس أن الظهور كان أولا من نصيب مريم المجدلية وحدها بينما رواية (متى) أن الظهور الأول كان من نصيب مريم المجدلية ومريم الأخرى.

٢ - تنفرد رواية متى بذكر ألوان التقديس التى وقعت من مريم المجدلية ومريم الأخرى تجاه يسوع حين ظهوره لهما.

٣ - تختلف رواية (متى) عن رواية (مرقس) فى بيانها لنوع الرسالة التى حملتها مريم، فعلى حسب رواية مرقس أن مريم ذهبت لتخبر التلاميذ بظهور المسيح، بينما نجد فى رواية (متى) أن مريم المجدلية ومريم الأخرى ذهبتا إلى التلاميذ لتأمرهم بأن يذهبوا إلى الجليل ليروا المسيح.

٤ - على حسب الرواية الأول (مرقس) كان الظهور الثانى من نصيب اثنين من التلاميذ - لم تبين الرواية من هما - بينما على حسب الرواية الثانية (متى) نجد أن الظهور الثانى من نصيب الأحد عشر تلميذا.

٥ - على حسب الرواية الأولى: أن التلاميذ لم يصدقوا قيامة المسيح حين أخبرتهم بذلك مريم المجدلية، وحين أخبرهم بذلك أيضا الاثنان اللذان ظهرا لهما المسيح بعد مريم المجدلية، ثم ظهر لهم المسيح ووبخهم على عدم تصديقهم.

---

(١) متى ٢٨ : ٩ - ١٧.

أما على حسب الرواية الثانية فإن بعض التلاميذ بعد ظهور المسيح لهم شكوا فى كون هذا الذى ظهر لهم هل هو المسيح معلمهم أم لا؟

ونعود فنقول: هل يثبت بهذه التناقض عقيدة؟

على أن رواية (لوقا) لقصة الظهور تختلف كل الاختلاف عن الإنجيلين السابقين فى بيان ظهور المسيح وكأنها قصة جديدة، وسأذكر هذه الراوية كاملة لبيان ذلك:-

يقول (لوقا) "وإذا اثنان منهم كانا منطلقين فى ذلك اليوم إلى قرية بعيدة عن أورشليم ستين غلوة [١] اسمها عمواس... وفيما هما يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشى معهما. **ولكن أمسكت أعينهما من معرفته.** فقال لهما ما هذا الكلام الذى تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين. فأجاب أحدهما الذى اسمه كليوباس وقال له هل أنت متغرب وحدك فى أورشليم ولم تعلم الأمور التى حدثت فيها فى هذه الأيام. فقال لهما وما هى. فقالا المختصة بيسوع الناصرى الذى كان إنسانا نبيا مقتدرا فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعوب ..... فقال لهما أيها الغبيان والبطيئا القلوب فى الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء. أما كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده. ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب، ثم اقتربوا إلى القرية التى كانا منطلقين إليها وهو تظاهر كأنه منطلق إلى مكان أبعد. فألزماه قائلين امكث معنا لأنه نحو المساء وقد مال النهار. فدخل ليمكث معها. فلما اتكأ معهما أخذ خبزا وبارك وكسر وناولهما. فانفتحت أعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما.... فقاما فى تلك الساعة ورجعا إلى أورشليم ووجدا الأحد عشر مجتمعين هم والذين معهم. وهو يقولون إن الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان. وأما هما فكانا يخبران بما حدث فى الطريق وكيف عرفاه عند كسر الخبز، وفيما هما يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه فى وسطهم وقال لهم سلام لكم **فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحا. فقال لهم ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار فى قلوبكم انظروا يدى ورجلى إنى أنا هو. جسونى وانظروا فإن الروح**

---

(١) غلوة: مقياس يونانى الأصل يبلغ ٦٠٦ أقدام إنجليزية. راجع قاموس الكتاب المقدس ص٦٦١.

ليس له لحم وعظام كما ترون لى . وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون قال لهم أعندكم ههنا طعام فناولوه جزءا من سمك مشوى وشيئا من شهد عسل. فأخذ وأكل قدامهم"[1].

وهذه الرواية كما ترى ليس فيها أى وجه من الاتفاق مع الروايتين السابقتين.

وليس هذا فقط بل إن رواية يوحنا عن ظهور المسيح تختلف أيضا عن الأناجيل الثلاثة فى قصة الظهور. وسنذكر أيضا هذه الرواية ليتبين هذا الاختلاف.

يقول يوحنا "أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجا تبكى. وفيما هى تبكى انحنت إلى القبر فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحدا عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعا. فقالا لها ياامرأة لماذا تبكين . قالت لهما إنهم أخذوا سيدى ولست أعلم أين وضعوه. ولما قالت هذه **التفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفا ولم تعلم أنه يسوع. فقال لها يسوع يا امرأة لماذا تبكين. من تطلبين. فظنت تلك أنه البستانى فقالت له ياسيد إن كنت أنت قد حملته فقل لى أين وضعته وأنا آخذه. قال لها يسوع يامريم. فالتفتت تلك وقالت له ربونى الذى تفسيره يامعلم.** فقال لها يسوع لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى. ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم. فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب وأنه قال لها هذا، ولما كانت عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ **مجتمعين لسبب الخوف من اليهود**[2] جاء يسوع ووقف فى الوسط وقال لهم سلام لكم. ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه.ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب. فقال لهم يسوع أيضا سلام لكم. كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا. ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياه تغفر له. ومن أمسكتم خطاياه أمسكت. أما توما أحد الاثنى عشر الذى يقال له التوأم

---

(١) لوقا ٢٤ : ١٣ ـ ٤٣.

(٢) إذا كان التلاميذ يغلقون على أنفسهم بسبب الخوف من اليهود فكيف صح لكم القول بأن التلاميذ زاروا قبر المسيح وهم يعلمون أن اليهود حراس على القبر؟!!!

فلم يكن معهم حين جاء يسوع. فقال له التلاميذ الآخرون قد رأينا الرب فقال لهم إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير وأضع إصبعى فى أثر المسامير وأضع يدى فى جنبه لا أومن.

وبعد ثمانية أيام كان تلاميذه أيضا داخلا وتوما معهم. فجاء يسوع والأبواب مغلقة ووقف فى الوسط وقال سلام لكم. ثم قال لتوما هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدى وهات يدك وضعها فى جنبى ولا تكن غير مؤمن بل مؤمنا. أجاب توما وقال له ربى وإلهى قال له يسوع لأنك رأيتنى ياتوما آمنت. طوبى للذين آمنوا ولم يروا"[١].

ثم يذكر يوحنا أن يسوع ظهر للتلاميذ مرة ثالثة فيقول:

(بعد هذا أظهر يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية. ظهر هكذا.... ولما كان الصبح وقف يسوع على الشاطئ. ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون أنه يسوع. فقال لهم يسوع ياغلمان ألعل عندكم إداما أجابوه لا فقال لهم ألقوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن فتجدوا. فألقوا ولم يعودوا يقدرون أن يجذبوها من كثرة السمك. فقال ذلك التلميذ الذى كان يسوع يحبه لبطرس هو الرب. فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب اتزر بثوبه لأنه كان عريانا وألقى نفسه فى البحر. وأما التلاميذ الآخرون فجاءوا بالسفينة لأنهم لم يكونوا بعيدين عن الأرض إلا نحو مئتى ذراع وهم يجرون شبكة السمك. فلما خرجوا إلى الأرض نظروا جمرا موضوعا وسمكا موضوعا عليه وخبزا. قال لهم يسوع قدموا من السمك الذى أمسكتم الآن. فصعد سمعان بطرس وجذب الشبكة إلى الأرض ممتلئة سمكا كبيرا مئة وثلاثا وخمسين. ومع هذه الكثرة لم تتخرق الشبكة. قال لهم يسوع هلموا تغدوا. ولم يجسر أحد من التلاميذ أن يسأله من أنت. إذ كانوا يعلمون أنه الرب. ثم جاء يسوع وأخذ الخبز وأعطاهم وكذلك السمك. هذه مرة ثالثة ظهر يسوع لتلاميذه بعد ما قام من الأموات[٢]).

---

(١) يوحنا: ٢٠ : ١١ ـ ٢٩.

(٢) يوحنا ٢١ : ١ ـ ١٤.

• وهكذا نجد اختلاف هذه الرواية عن الروايات الثلاث السابقة.

ولقد حرصت على الإتيان بروايات الأناجيل هنا كاملة لبيان الاختلاف الواضح بين الروايات الأربع إذ أن كل رواية تختلف كل الاختلاف عن الرواية الأخرى حتى يتعذر معه بيان من أول من ظهر له المسيح؟ وكيف؟ ومتى؟

كل هذه الأسئلة تجد لها جوابا فى كل إنجيل يختلف عن الإنجيل الآخر، وكأن كل إنجيل قد كتب عن حادثة غير الحادثة التى كتب عنها الإنجيل الآخر، لذلك يتعذر على أى باحث أن يبين أوجه الاتفاق بين الروايات الأربع.

والملفت للنظر فى هذه الروايات ـ بجانب الاختلاف والتناقض هو موقف التلاميذ إزاء علمهم بظهور المسيح.

فالروايات جميعها متفقة أن حالة من عدم التصديق أو الإنكار أو الشك أو عدم معرفة المسيح انتابت التلاميذ عند علمهم بظهور المسيح أو عند ظهور المسيح لهم.

فعلى حسب رواية مرقس: أن التلاميذ لم يصدقوا مريم المجدلية والاثنين الآخرين حين أخبروهم بظهور المسيح.

وعلى حسب رواية (متى) أن بعض التلاميذ انتابهم الشك بعد ما ظهر لهم المسيح.

وعلى حسب رواية (لوقا) فإن الاثنين اللذين قابلا المسيح بعد ظهوره لم يعرفاه إلا بعد أن أعلن هو عن شخصه، وكذلك حين ظهر للأحد عشر تلميذا ووقف فى وسطهم جزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحا، فقال لهم ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار قلوبكم؟ فلم يصدقوا أنه المسيح ونظروا إليه متعجبين حتى كشف عن شخصيته.

وعلى رواية يوحنا فإن مريم المجدلية ـ التى هى على حسب روايات الأناجيل هى التى نظرت من بعيد على المسيح وقت الصلب [1] ـ يظهر لها المسيح ولم تعرفه وظنته

---

(١) وهنا يحق لنا أن نضع علامات استفهام كيف لم تستطع مريم أن تتعرف عليه وهو واقف أمامها؟ بينما ادعيتم أن مريم هذه شاهدة على صلبه إذ نظرته من بعيد؟! كيف لم تعرفه وهو قريب منها تنظره من قريب؟ بينما شهدت بمعرفته وبصلبه وهو بعيد عنها تنظره من بعيد وقد تغيرت ملامحه تبعا للتعذيب الذى تعرض له؟ إن ذلك لمنطق عجيب!!!

أنه البستانى، وكذلك توما أحد الاثنى عشر حين أخبره التلاميذ بظهور المسيح قال لهم لا أومن حتى أبصر فى يديه المسامير، وهذا يدل على مدى عدم ثقته فى كلام التلاميذ!!! وعلى الشك فى الظهور نفسه!!!

وكذلك على حسب رواية يوحنا لم يعرف التلاميذ المسيح حينما ظهر لهم فى المرة الثالثة، وهنا نتعجب كيف لا يعرفه التلاميذ وهو قد ظهر له مرتين قبل ذلك ووقف فى وسطهم وأكل معهم؟!!!

كل ذلك يدل على أن التلاميذ لم يصدقوا أول الأمر بظهور المسيح، ولم يعرفوه حين ظهر، وكل ذلك يجعلنا نتساءل: هل المسيح معروف لهم أم لا؟

يقولون: نعم، بل وأخبرنا أنه لابد أن يتألم ويقتل ويقوم بعد ثلاثة أيام!!! إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يصدق التلاميذ بظهور المسيح؟ ولماذا لم يعرفوه حين ظهر لهم وساروهم الشك والجزع والخوف؟

وهنا يحق لنا أن نقول: إذا كان التلاميذ لم يصدقوا بظهور المسيح وشكوا فى كونه ظهر ولم يعرفوه حين ظهر لهم وهو الذى عاش فى وسطهم وأكل معهم وآمنوا به وبأقواله قبل أن يحمل على الصليب والتى منها إخباره لهم بما سيحدث ويقع له.

وإذا كان هؤلاء شكوا مع كل هذا، فأولى بغيرهم ـ الذين لم يروا المسيح. ولم يجلسوا معه، ولم يتتلمذوا على يديه، ولم يؤمنوا به، أن يشكوا فى هذه الظهور ولا يصدقوه، خاصة وأن الروايات التى تروى هذا الظهور مختلفة غير متفقة على أية جزئية من جزئيات هذا الظهور.

إذا كان الأمر كذلك فكيف يكون الظهور دليلا على قيامة المسيح وهو لا دليل عليه يؤيده بل كل الشكوك تحوم حول إثباته!!

إن شيئا لا يمكن إثباته بكل وضوح لا يمكن أن يعتبر دليلا لشئ آخر.

رابعا: التغير الذى حدث فى حياة التلاميذ [١]:-

يقول القس جبرة الحلو (فقبل أن يرى التلاميذ يسوع المقام وقبل أن يسمعوه كانوا فى حالة ذريعة من اليأس والخوف، أما عندما رأوا المسيح المقام، وعندما سمعوه، وعندما حل عليهم الروح القدس الذى أرسله إليهم، حدث تغير عجيب معجزى فى حياتهم، فتحولوا من اليأس إلى الرجاء، ومن الخوف إلى الثقة والاطمئنان، وانطلقوا ينادون بالمسيح المصلوب المقام غير هيابين ومن دون خوف أو وجل[٢]).

ويقول: جون ستوت: "ولعل هذا التغير الذى طرأ على أشخاص التلاميذ هو أكبر البراهين جميعا على حقيقة القيامة... وهو تغيير يبدو لنا طبيعيا لا تصنع فيه ولا اصطناع له ولم يكن بد من حدوثه، وإننا لنشاهده تلقائيا دون أن توجه إلينا دعوة لمشاهدته أو دون لفت للأنظار إليه... كما لعلها قد لفتت فيما سلف إلى القبر الفارغ والأكفان المسجاة على الوضع الذى كانت به عند الدفن، وإلى مرات ظهور الرب والذى كان من نصيبهم الصالح أن يروه، وما كان هناك من ردود فعل للقيامة عليهم، ولعلنا أن نلمح من فورنا ذلك التطور الذى نال التلاميذ بالمقارنة بالحالة التى كانوا عليها عند موت المسيح ثم الصورة التى صاروا إليها بعد القيامة، فالأناجيل ترينا التلاميذ عندموت المسيح وقد أوشكوا أن ينهاروا، وترينا رجالا كادوا أن يسقطوا فرائس لليأس والقنوط وخيبة الأمل وضياع الرجاء وتزعزع اليقين، ولكن الصورة منذ سفر الأعمال تتغير وتتبدل وتنقلب رأسا على عقب وإذا بأولئك الجزعين المرتعدين المنزوين خلف الأبواب المغلقة(بسبب الخوف من اليهود) يخرجون فى وضح النهار وقد وضعوا أرواحهم على أكفهم من أجل اسم الرب يسوع"[٣].

فلقد حدث أن تغيرت حالة التلاميذ بعد قيامة المسيح وظهوره - كما يعتقدون - وهذا التغيير دليل - فى نظرهم - على صحة قيامة المسيح.

---

(١) راجع فى ذلك: المسيحية فى جوهرها ص ٨٦، قيامة المسيح والأدلة على صدقها ص ٢٥، قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥٠.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥٠.

(٣) المسيحية فى جوهرها ص ٨٦.

ونحن نقول: ولعل حالة التلاميذ التى صورتها الأناجيل حين علموا بالقيامة والظهور تنقض هذا الاعتقاد، إذ أنهم شكوا فى قيامة المسيح وشكوا فى ظهوره.

والقول الصائب والصحيح فى سبب تغير حالة التلاميذ هو: أنه الاعتقاد بصلب المسيح وقيامته هو الذى أحدث هذا التغيير لا أن صلب المسيح وقيامته هو الذى أحدثه، ذلك لأن الصلب والقيامة ليس لهما من الأدلة الكافية لإثباتهما فضلا عن أنهما ليس لهما من أدلة وشهود، ولذلك يعتقد (بولتمان) ـ أحد رواد المدرسة اللاهوتية الألمانية فى القرن العشرين ـ (أن ميلاد الإيمان فى قلوب التلاميذ بقيامته يعتبر قيامة)[1].

يبين أن القيامة شئ حدث فى إيمان التلاميذ.

فتغير حالتهم نتيجة لأنهم اعتقدوا أن المسيح صلب وقام لا أنه صلب وقام فى الحقيقة، ولعل انتهاء حياة المسيح فجأة من بين التلاميذ كان هو السبب فى اليأس الذى انتابهم إذ أنهم ـ كما قلنا ـ كانوا يؤملون فيه أنه المسيح المخلص الذى يخلصهم مما هم، ولكن فجأة تنتهى حياته بدون أن يخلصهم، وبدون أن يحقق لهم شيئا، وهنا انتابتهم حالة من القلق بسبب ما يدور بخلدهم.

وهذا يعنى أنهم مهيئين لمن يخفف لهم هذا اليأس وهذا القلق بشرط أن يعلل لهم انتهاء حياة المسيح تعليلا يتفق مع ما كانوا يأملونه فى المسيح، فكان أن دخل بولس المسيحية وأدخل فيها أن المسيح صلب وأنه لم يصلب عبثا وإنما صلب وقام من أجل خلاص البشرية.

وهذا التعليل هو الذى غير حالتهم، وذلك لأن اعتقادهم فى المسيح ـ فى نظرهم ـ أصبح له الهدف الذى كانوا ينتظرونه.

فالاعتقاد بقيامة المسيح هو الذى غير حالة التلاميذ لا أن قيامة المسيح هى التى غيرتهم ذلك أن صلب المسيح لم يقم عليه الأدلة، وكذلك القيامة، ولكن الذى أدخل هذه العقائد بولس، وأول شهادة عن القيامة جاءت من رسائل بولس.

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٥١.

يقول د/ جورج كيرد: (إن أول شهادة عن القيامة لم تعطها الأناجيل لكنها جاءت من رسائل بولس، وعلى وجه الخصوص رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس - الإصحاح الخامس عشر - التى كتبت قبل أقدم الأناجيل بعشر سنوات على الأقل)[١].

فهو الذى أدخل الاعتقاد بقيامة المسيح، وهو الذى جعلها أساس إيمان التلاميذ، وأساس التبشير بالمسيحية يقول بولس "إذا لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم"[٢].

وهكذا نرى أن أدلتهم على قيامة المسيح لم ترو غليلا ولم تشف عليلا ولم يثبت بها قيامة المسيح.

أهمية قيامة المسيح فى المسيحية وصلتها بالخلاص

إن قيامة المسيح عقيدة أساسية فى المسيحية وركيزة ضرورية حتى إنه بدون قيامة المسيح (لا تكون المسيحية سوى وهم لا جدوى منه)[٣].

(ولولا قيامة المسيح لما قامت الكنيسة المسيحية على الإطلاق)[٤].

وقيامة المسيح هى المنطلق الأساسى الذى بنى عليه الإيمان المسيحى كله، فالإيمان بالمسيح يعنى الإيمان بالقيامة[٥].

فأهم ما فى المسيحية قيامة المسيح؛ أذ أنه لا وجود للمسيحية بدون قيامة، وعلى أساس القيامة بنى المسيحيون عقيدة الخلاص من نواحى عدة.

١ - قالوا إن قيامة المسيح دليل على ألوهيته:

فكما قلنا إن طريق الخلاص المسيحى يبدأ من حيث كون المخلص إلها تجسد فى صورة بشرية من أجل الخلاص، وذلك لأن البشر لا يستطيعون أن يقوموا بخلاص

---

(١) نقلا عن المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٢٨٧.

(٢) ١ كورنثوس ١٥ : ١٤.

(٣) سر الفداء ص ٣٠.

(٤) تفسير سفر الأعمال صـ٤٧.

(٥) القيامة والصعود صـ٤٢.

أنفسهم، لأن طبيعتهم التى ورثوها عن آدم فاسدة، لذلك كان القول بألوهية المخلص هو الطريق الوحيد والصحيح للخلاص فى اعتقاد النصارى.

والقيامة كأساس للمسيحية والمحور الرئيسى فيها يقولون إنها برهان قوى على ألوهية المسيح.

يقول الأب متى المسكين (القيامة آخر وأهم معجزة فى حياة المسيح إذ يتعلق عليها بالفعل برهان ألوهيته[١]).

ويقول باركلى (ولكن القيامة كانت برهانا قويا على ألوهية المسيح وأنه رب الحياة وأنه حى إلى الأبد ... لقد كانت القيامة البرهان الذى ما بعده برهان أن الله كان فى المسيح ومعه)[٢].

(فالقيامة تدل على أن المسيح هو ابن الله ظهر فى الجسد وهو المخلص الذى أنبأت به الأنبياء)[٣].

ويقول د/ حنا جرجس الخضرى (وعن طريق هذه الحادثة ـ القيامة ـ قد ثبت أن يسوع هو المسيا ابن الله لأنه فى أثناء إقامة الرب على الأرض بيننا كان لاهوته محتجبا فى الناسوت، وأصبح ابن الله فى خلال هذه المدة غير معروف كابن الله إلا من الآب، ولكن بالقيامة وعن طريقها ينزاح الحجاب فنرى لاهوته ومجده، ويصبح معروفا ومعترفا به كابن الله، فحتى التلاميذ الذين كانوا يشاركونه الحياة لم يستطيعوا أن يدركوا هذا الأمر العظيم إلا بعد القيامة[٤].

ويقول دنيس كلارك(إن حقيقة قيام يسوع من الموت وإظهار نفسه لتلاميذه حيا وتكرار ذلك طوال أربعين يوما بعد قيامته لأقوى دليل على أنه المسيح وابن الله)[٥].

فالمسيحيون يعتقدون أن القيامة أقوى دليل على ألوهية المسيح.

---

(١) المرجع السابق صـ ١٨٢.
(٢) تفسير أعمال الرسل صـ٥٨ .
(٣) علم اللاهوت النظامى صـ٩١٠.
(٤) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٧٥.
(٥) سيرة المسيح وتعاليمه ص ٢٦٤.

والذى جعل القيامة دليل الألوهية هو بولس أيضا.

يقول كلايد تارنر (لقد صرح بولس بأن قيامة يسوع هى البرهان الأكبر على لاهوته فقال (عن ابنه الذى صار من نسل داود من جهة الجسد وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات يسوع المسيح ربنا)[١] [٢].

فالقيامة تظهر لاهوت المسيح ـ كما يعتقدون ـ على أساس أن قدرة التغلب على الموت ليست من صفات البشر، فكون المسيح تغلب على الموت وقام فهذا دليل على أنه يختلف عن سائر بنى البشر (فقيامة المسيح من القبر كانت البرهان العلنى على أنه يختلف عن سائر بنى البشر)[٣].

يقول جون ستوت (إننا حين نقدم البرهان على أن يسوع الذى من الناصرة قام من الأموات فإننا ندلل بالتالى على أنه ـ دون أدنى ريبة أوشك ـ فريد عجيب تفرد بذاته مما كان له من شبيه أو ضريب)[٤].

فالمسيح بالقيامة يختلف عن سائر البشر، وما دام يختلف عن سائر البشر فهو يتصف بالألوهية ـ كما يعتقدون ـ وما دام يتصف بالألوهية فهو المخلص الذى يقوم به الخلاص الصحيح لفساد الطبيعة البشرية الموروثة.

٢ ـ ارتباط الصلب بالقيامة: ـ

تظهر أهمية القيامة بالنسبة لعقيدة الخلاص عند المسيحيين من حيث ارتباط الصلب بها أو ارتباطها بالصلب، فالمخلص لابد وأن يتحمل الآلام ويصلب من أجل البشرية، ولكن هذه الآلام لم تفد فائدتها ـ فى خلاص البشرية ـ إلا بعد الانتصار على هذه الآلام بالانتصار على الموت بعد الصلب ولا يكون ذلك إلا بالقيامة ، فالقيامة مرتبطة بالصلب من حيث إنها تظهر انتصار المخلص على الآلام بعد تحملها وبهذا يكتمل عمل المسيح الكفارى فى العقيدة المسيحية.

---

(١) رومية ١ : ٣، ٤.

(٢) كلايدتارنر: هذه عقائدنا ص ٨٧.

(٣) سيرة المسيح وتعاليمه ص ٢٦٨.

(٤) المسيحية فى جوهرها ص ٦٧.

فالصلب والقيامة مرتبطان ترابطا لا ينفك لأنهما يظهران بهذا الارتباط أن المسيح تم عمله الكفارى وخلص البشرية.

يقول باسيليوس عن هذا الارتباط (وفى الحقيقة فإن موت المسيح على الصليب مرتبط بلا انفصال مع قيامته، ولا يمكن التفكير فيه ـ فى موته ـ بدون قيامته.

إن موته شرط لازم لقيامته وهو أيضا الطريق إلى هذه القيامة، والمسيح نفسه يعلمنا هذا "الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير) [١].

وفى التقوى الأرثوذكسية نجد أن تكريم الصليب مرتبط بلا انفصال مع تمجيد القيامة "نكرم صليبك أيها السيد ونمجد قيامتك[٢]").

ويقول الأب متى المسكين عن هذا الارتباط (فقوة القيامة ومجدها تنعكس على الصليب والدم فتغطيها بالمهابة والجلال، كالسحابة النيرة التى غطت المسيح على الجبل المقدس فجعلت وجهه لامعا كالشمس وثيابه بيضاء كالنور.. هكذا بالقيامة نرى الصليب والدم فى حالة تجلى) [٣].

وهكذا تظهر أهمية القيامة بالنسبة لعقيدة الخلاص المسيحية من حيث إنه إذا كان تحمل الآلام والصلب شرطين لازمين للمخلص فإن هذه الآلام لم تفد فائدها إلا بالقيامة إذ "أن مسيحا ميتا لا يمكن أن يكون مخلصا، فقيامته أكدت أن الله قبل عمله الكفارى على الصليب" [٤].

يقول د/فهيم عزيز (إنه يجب أن ننظر إلى الموت ليس فى ذاته بل فى ضوء القيامة التى هى ختم الله على أن يسوع برغم هذا الموت صار ربا ومسيحا)[٥]. فيجب ـ كما

---

(١) يوحنا ١٢ : ٢٤.

(٢) سر الفداء ص ٢٨.

(٣) مع المسيح فى آلامه حتى الصليب ص ١٠٠.

(٤) كلايدتارنر: هذه عقائدنا ص ٩٢.

(٥) المدخل إلى العهد الجديد ص ٩٤.

يقولون ـ أن ينظر إلى موت المسيح وصلبه فى ضوء القيامة التى تبرز انتصاره على الموت وانتصاره على تحمل الآلام.

(فقد أظهر يسوع المسيح بقيامته أنه غلب الموت وكيف كان ممكنا أن يضبط الموت المتسلط على الحياة)[١].

وبانتصار المسيح على الموت يكون الخلاص للبشر.

ففى آدم مات الجميع بآدم حيث انتقل الموت إلى الجميع.

أما فى المسيح فقد قام الجميع، بالمسيح انتقل الجميع من الموت إلى الحياة[٢].

(فالمسيح بقيامته أباد الخطيئة التى سببت الموت لآدم ونسله ذلك أن المسيح بقيامته انتصر على الموت الذى سببته الخطيئة وعليه فإن القيامة أعادت الحياة الجديدة للإنسان التى لا سلطان للموت عليها)[٣].

وهكذا نرى أهمية أخرى للقيامة بالنسبة للخلاص المسيحى.

٣ ـ القيامة وترتيبها فى عمل الخلاص:ـ

القيامة هى أساس عمل الخلاص، فهى وإن جاء ترتيبها فى النهاية إلا أنها قوة كائنة فى المسيح قبل أن يصلب، فهى فى نظرهم البداية والنهاية.

يقول الأب متى المسكين:

القيامة هى الأساس الذى بنى عليه المسيح خلاص الإنسان، لأنه على أساس القيامة قبل الرب الصليب، وعلى أساس القيامة قبل الرب أن يموت .... فى الترتيب الزمنى للحوادث نجد أن القيامة لاحقة وتالية للصلب والموت، ولكن فى المنطق الإلهى والترتيب الطبيعى بالنسبة لجوهر المسيح نجد القيامة قوة كائنة فى المسيح قبل الصلب وقبل الموت بحيث لو لم تكن القيامة من صميم طبيعة المسيح وكائنة فيه قبل

---

(١) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص ١٠٠ .

(٢) سر التدبير الإلهى ص ١٦٨.

(٣) المسيح حياة النفس ص ١٩٤.

أن يتقدم للصلب والموت لصار له الصليب خشبة لعنة ولصار الموت له كقصاص شخص وحاشا لله... ولكنه إذا كان قادرا أن ينزل على الصليب فى أية لحظة صار احتماله وقبوله للصلب فخرًا لا لعنة.

وإذا كان قادرا على أن يقوم من الأموات فى أية لحظة صار قبوله للموت تكفيرا عن قصاص آخرين هكذا صار الصليب كفارة وصار الموت فداء فالقيامة هى جوهر الصليب، فهى جوهر الكفارة، والقيامة هى شرط الموت، فهى شرط الفداء)[١].

فالقيامة فى المسيحية هى أساس عمل الخلاص كله فعلى أساسها تحمل المخلص الآلام.

والقيامة هى جوهر الكفارة، وهى شرط الفداء، وهى قوة كائنة فى المسيح قبل أن يصلب، وليس هذا فقط، بل بالقيامة يكون كمال العمل الكفارى وبالقيامة يتم عمل المسيح الخلاصى يقول باسيليوس (إن عمل المسيح الخلاصى وانتصاره على الموت والجحيم يظهر بقوته الفعالة وببرهان واضح فى القيامة لذلك فإن قيامة المسيح هى كمال العمل الخلاصى وأعلى مرحلة فى هذا العالم الذى عمله الرب المتجسد[٢]". لذلك جاء فى علم اللاهوت النظامى (لو لم يكن المسيح قد قام خاب كل مسعى الفداء)[٣].

وهكذا يتبين أهمية القيامة بالنسبة للخلاص المسيحى.

مناقشة دعوى قيامة المسيح وبيان مصدرها

أولا : إن دعوى قيامة المسيح مبنية على أساس أنه صلب

ولقد تبين فى الفصل السابق أن الأدلة غير كافية لإثبات الصلب. هذا فضلا عن أن أدلة نفى الصلب قوية وقائمة.

---

(١) القيامة والصعود ص ٢٤ ، ٢٥

(٢) سر الفداء صـ٢٩.

(٣) علم اللاهوت النظامى ص ٩١٠.

وعليه فالأساس الذى قامت عليه دعوى القيامة باطل، وما قام على الباطل فهو باطل هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن الأدلة التى أوردها النصارى لإثبات دعوى القيامة أدلة متهافتة لا تقف أمام النقد كما بينا ذلك فى موضعها.

وعليه فإن دعوى القيامة ليست لها من الأدلة القوية الكافية لإثباتها.

وعلى فرض التسليم بدعوى قيامة المسيح فإننا سنناقشها.

ثانيا: إن دعوى القيامة ثابتة لديهم بروايات الأناجيل.

ولكن هذا مردود بما بيناه من الاختلاف الصارخ والتناقض الواضح بين روايات الأناجيل لحادثة القيامة.

وهذا التناقض وذلك الاختلاف يسقط الاستدلال بها جميعا هذا فضلا عن أن هذا الاختلاف لا يثبت به عقيدة.

فدعوى ثبوت القيامة بالأناجيل باطلة وذلك لوجود التناقض والتضارب بين رواياتها ولقد أحس علماء المسيحية بهذا التناقض وهذا الاختلاف الواقع بين روايات الأناجيل لقصة القيامة والظهور فجعلوا يلتمسون الأسباب لذلك.

يقول د/حنا جرجس الخضرى: (وإن كانوا فى تسجيلهم لهذه الحادثة ـ القيامة ـ قد كتبوا بأسلوب قد يظهر للبعض أن فيه شيئا من عدم الانسجام والتوافق، فإن الأمر الأساسى هو أن كل كاتب من هؤلاء الكتاب الأربعة يروى قصة القيامة كما فهمها)[1].

وهذا القول لا يقف أمام النقد وذلك لأن الاختلاف الواقع فى الأناجيل إنما هو اختلاف فى رواية الأحداث لا فى فهم الأحداث.

وهناك سبب آخر ذكره علماء المسيحية لهذا التناقض.

يقول عوض سمعان: (إن كلا من كتبة الإنجيل كتب عن المسيح إلى شعب يختلف عن الشعب الذى كتب إليه الآخر من جهة الجنسية والثقافة والعادات، (فمتى) كتب

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٥٠.

للعبرانيين، (ومرقس) كتب للرومانيين، (ولوقا) كتب لليونانيين، (ويوحنا) كتب للجميع، وعلى الأخص الفلاسفة الذين كانوا يبحثون فى سر اللوغوس.

كما كتب كل واحد منهم عن المسيح من ناحية تختلف عن تلك التى كتب عنها غيره، فـ(متى) كتب عن المسيح بوصفه الملك الذى تنبأت عنه التوراة من قبل، (ومرقس) كتب عنه بوصفه الشخص الذى كرس نفسه وكل دقيقة من وقته لتنفيذ مشيئة الله، (ولوقا) كتب عنه بوصفه ابن الإنسان الذى تجلت فيه الإنسانية بكمالها الذى يريده الله، ويوحنا كتب عنه بوصفه الكلمة أو "اللوغوس" الذى يعلن الله من الأزل إلى الأبد)[١].

ويقول الأنبا يوأنس وغيره (إن الداعى لوجود أربع بشائر أن بشارة متى كتبت لليهود، وبشارة مرقس للرومان، وبشارة لوقا لليونان، وبشارة يوحنا للعالم أجمع، وأن (متى) كتب عن المسيح الملك، ومرقس كتب عن المسيح صانع المعجزات.

ولوقا عن المسيح المخلص، ويوحنا كتب عن المسيح ابن الله)[٢].

ويقول القس إبراهيم سعيد (أجمع البشيرون الأربعة على تقرير هذه الحقيقة ليس المسيح فى القبر لأنه قام كما قال، لكن كلاً منهم كتب عن القيامة وظهور المسيح للتلاميذ من وجهة نظره الخاصة، (متى) كتب عن ظهور المسيح فى الجليل لأنه كتب عن المسيح الملك، ولوقا كتب عن ظهوره فى أورشليم لأنه كتب عن المسيح مخلص جميع الأمم مبتدئا من أورشليم.

ويوحنا كتب عن ظهوره فى اليهودية والجليل لأنه كتب عن المسيح ابن الله الأبدى صخر الدهر، ومرقس كتب عن ظهور المسيح للتلاميذ فى فترات متقطعة ليشدد عزائمهم للقيام بالخدمة التى تنتظرهم، لأنه كتب عن المسيح الذى جاء ليخدم البشرية ويرفعها إلى مستوى الكمال، كل هذا لكى يوقع البشيرون الأربعة

---

(١) قيامة المسيح والأدلة على صدقها ص١١٨.

(٢) الدين المسيحى للمرحلة الثانوية سنة ١٩٦١ ص ١١٢.

نعمة مشعبة متنوعة العناصر لأنشودة القيامة المجيدة، فلئن تنوعت رواياتهم إلا أنها لا تتناقض[١].

وهكذا نرى أن علماء المسيحية يحاولون تبرير الاختلاف بين الأناجيل فى رواياتها للقيامة والظهور بأنه نتيجة لأن كلا منها كتب لشعب خاص وكتب عن المسيح من وجهة خاصة.

وهذا أشبه بالتعلات[٢]. التى لا تناقش ولا تقوى أمام النظر المنطقى المستقيم، ولكنها تقبل فى الخطابيات، فهى كالزهرة ترى وتشم، ولكن لا تعرك، وذلك لأن هذا التوفيق يقوم على قضيتين: إحداهما أن كل إنجيل كتب لغرض معين لا يشمل فى عمومه ما كتب له الإنجيل الآخر.

وثانيهما: أن كلا ذكر المكان الذى يتفق مع غرضه

وإذن فلا اختلاف فى الخبر.

وهذا الكلام فيه نظر فى مقدمته ونتيجته، وذلك لأنه لو كان (متى) يخبر عن المسيح الملك، ولوقا عن المسيح المخلص، وهكذا لكان كل إنجيل مغايرا للأناجيل الأخرى تمام المغايرة، مباينًا له تمام المباينة، لأنه يكتب فى موضوع يخالف ما يكتب فيه الآخر، وإن كان الشخص واحدا، كأن يكتب عن شخص بارز فى السياسة والقانون، فكاتب يكتب عنه سياسيًا، وآخر يكتب قانونيا فالموضوع يختلف، وإن كان الشخص متحدا، ولكنا لا نجد فى الأناجيل فى مجموعها ذلك التغاير.

وعلى فرض تسليم تلك القضية لا نستطيع أن نسلم القضية الثانية، وهى أن الجليل يناسب المسيح الملك، وأورشليم تناسب المسيح المخلص، وهكذا. فلماذا اختصت هذه بالملك وتلك بالخلاص؟ إن ذلك التخصيص تحكم لا يعتمد على منطق.

---

(١) نقلا عن /محاضرات فى النصرانية ص١٢٧، ١٢٨.

(٢) العَلّة: ما يتلهى به جمع (علاّت). المعجم الوسط جـ٢ ص ٦٢٣.

وعلى فرض صحة المقدمتين، فإن النتيجة لا تبنى عليهما، لأن النتيجة اختلاف ذكر الأمكنة فى حادثة معينة والشهادة بها، فأحد الشهود يقول: إنه رآه فى الجليل وآخر يشهد بوجوده بين التلاميذ فى فترات منقطعة، وثالث يشهد بوجوده فى أورشليم وإذا اختلف الشهود فى مكان حادثة معينة كان اختلافهم سببا للظنة فى الشهادة واتهام الشهود فيها.

ولئن قيل إن المسيح ظهر فى الأمكنة التى ذكرت، بيد أن كلا ذكر ما رأى، ولم يكن رآه فيها جميعا كان الكلام مستقيما، ولكن يكون معناه أن كل إنجيل لم يذكر حال المسيح كاملة، ويحتمل أن يكون الجميع لم يذكروها كاملة على هذا الأساس، ويكونوا قد نسوا حظا مما ذكروا به)[١].

فالأسباب التى التمسوها لتعليل هذا الاختلاف غير مقنعة وغير كافية لرد هذا التناقض، ويبقى القول بأن الأناجيل متناقضة متضاربة فى روايات القيامة والظهور، وهذا التناقض يجعل التسليم بهما غير مقبول.

(ترى لو شهد شهود بواقعة من الوقائع واختلفوا فى توقيتها هذا الاختلاف .. أتقبل شهادتهم ويطمئن قلب القاضى اليهم؟)[٢].

وهل يطمئن قلب وعقل الإنسان للتسليم والإيمان بعقيدة اختلف أصحابها فى رواياتها اختلافا بينا بحيث لا نجد لهم أوجه اتفاق فى رواياتهم لها!!

ثالثا: وإذا سقطت دعوى القيامة سقط ما تدل عليه من ألوهية المسيح، وعلى فرض التسليم بثبوت القيامة فإننا نقول إن القول بأن قيامة المسيح تدل على ألوهيته قول باطل، وذلك لأن المسيح لم يختص - على فرض أن قام - وحده بالقيامة من الأموات، فقد قام كثيرون من الأموات - كما يروى الكتاب المقدس - مثل قيام ألعازر من موته[٣].

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٢٩.

(٢) المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ص ٤٥٣.

(٣) يوحنا ١١ : ١ - ٥٤.

وكذلك قيام كثيرين من الموت بعد أن طال رقادهم وتحللت أجسادهم وصارت رمادًا وذلك على يد نبى الله حزقيال[١].

قد يقال: إن قيامة هؤلاء كانت بأشخاص آخرين أقاموهم من موتاهم، ولكن المسيح قد أقام نفسه فهذا يدل على ألوهيته بخلاف الأشخاص الآخرين.

يقول هانى رزق (إن المسيح أحيا نفسه وقام من بين الأموات)[٢].

فيقال لهم: هل أحيا نفسه وهو حى أو وهو ميت؟

فإن قالوا: أحيا نفسه وهو حى قلنا لهم: هذا تهافت وتحصيل للحاصل. وإن قالوا: أحيا نفسه وهو ميت.. قلنا: قد لزمكم المحال، لأن الموجد للحياة لا يتصور أن يكون ميتا[٣].

على أن يلزمهم أيضا على القول بأن المحيى للميت إله أن يكون حزقيال إلها.

وإن يكون إيليا إلها[٤]..

وذلك لأنهما أقاما أمواتا كثيرة.

وبذلك ينتفى القول بأن القيامة تدل على ألوهية المسيح.

رابعا: يقال فى الرد على القول بأن القيامة أبرزت الانتصار على الموت والمسيح بقيامته قد أباد الخطيئة، بمعنى أنها ـ أى القيامة ـ انتصار على حالة الفساد التى كانت فى الإنسان بسبب الخطيئة!!

يقال لهم: هل غيرت قيامة المسيح حياة البشر؟ وهل تحولت تلك القيامة بطبائعهم التى كانوا عليها إلى طبائع أخرى لا تفعل الشر ولا تواقع الإثم؟

إن شيئا من ذلك لم يحدث، فالناس هم الناس فى خيرهم وشرهم قبل قيامة المسيح وبعدها... فأين هى تلك الأعمال العظيمة التى يعملها "المخلص" ليثبت بها قيامته من الأموات ومباشرة سلطاته التى كانت له عند أبيه قبل الصليب؟

---

(١) حزقيال ٣٧ : ١ ـ ١٠.

(٢) هانى رزق: يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته ص ١٦٢.

(٣) الشيخ يوسف الدجوى: الجواب المنيف فى الرد على مدعى التحريف ص ٢٥٧.

(٤) ملوك أول ١٧ : ٢٠ ـ ٢٤.

وهذه أوربا المسيحية وأمريكا المسيحية.... أين عمل المسيح فيهما؟ وأين هدايته لهما؟ لقد تحول الناس هناك إلى عباد مال وتجار حروب... فهل لهذا أو بهذا جاء المسيح؟

قد يقال: إن مسيحية الغرب ليست هى مسيحية المسيح، وأن القوم هناك غيروا من وجهها، وبدلوا من تعاليمها، ومن ثم فلا يحسبون على المسيحية، ولا يضافون إلى المسيح؟

ونقول: وأين إذن عمل المخلص فى هؤلاء الذين يتفلتون من يده ويلقون بأيديهم فى أحضان الشيطان؟[1].

فإذا كانت القيامة قد أبادت الخطيئة وأعادت الإنسان إلى حالة ما قبل الخطيئة، فالواجب أن يعيش الناس أبرارا بلا خطية ولا إثم، ولكن هذا لم يحدث، فلم تحدث القيامة أى نوع من أنواع البعد عن الخطيئة والإثم.

وخير شاهد على ذلك ما نراه من حال النصارى قديما وحديثا.

وعليه فبطل القول بأن المسيح بقيامته انتصر على الموت الذى هو أجرة الخطيئة، وبطل القول بأن قيامة المسيح تعنى الخلاص من الخطيئة، فالناس لازالوا هم الناس بالخير والشر، والحياة والموت، والسلام والعداوة، والفرح والحزن.... إلى آخره.

خامسًا: لم يبق أمامنا بعد ذلك إلا أن نبين مصدر هذه العقيدة وذلك بعد أن تبين بطلانها كعقيدة مسيحية ـ من جميع النواحى فالأساس الذى قامت عليه باطل، والأدلة باطلة ـ والروايات متناقضة، كل ذلك يوحى بأن هذه العقيدة ليست من عقائد المسيح، وأن لها مصدرًا آخر غير تعاليم المسيح.

والناظر فى تاريخ الأديان يجد أن الاعتقاد بإله متجسد يموت ثم يبعث من أجل خلاص البشرة كانت منتشرة فى البلاد الشرقية والرومانية قبل ظهور المسيح.

---

(١) المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ص ٤٠٠.

يقول شارل جنيبير (فإن النظرة الأولى إلى الحياة الدينية فى الشرق الأسيوى ـ من بحر إيجة إلى ما بين النهرين ـ تبين أن عددا معينا من الآلهة كان يحتل مكان الصدارة فيها خلال العهد الأول لقيام المسيحية وكان بين هذه الآلهة أوجه شبه لا تحصى إلى درجة أنها امتزجت وتوحدت فى بعض الأحيان وكان أهمها:

أتيس فى بلاد الفريجيين، وأدونيس فى الشام، وملكارت فى فينيقيا، ثم تموز ومردوك فى ربوع ما بين النهرين، وأوزوريس بمصر، وعلينا إذا أردنا الإنصاف أن نذكر الإله الفارسى ميثرا الذى بدأت شهرته فى تلك العصور بين رحاب الإمبراطورية الرومانية، وكان القوم الذين يرتحلون من إقليم إلى آخر ينقلون معهم عباداتهم وعقائدهم الدينية [١]).

ويقول (وإن الخاصية التى تثير الانتباه لآلهة المنطقة عند دراسة تاريخهم الأسطورى لهى تلك التى بمقتضاها يموتون فى موسم معين من السنة ثم يبعثون بعد ذلك فى موسم معين فيشعلون فى نفوس المؤمنين بهم مشاعر الأسى العميق ثم يستثيرون لديهم مظاهر الفرح... ونلاحظ إلى جانب هذا أن هؤلاء الآلهة ليسوا فى حد ذاتهم بالآلهة العظماء البالغين فى العظمة بل إنهم يشبهون البشر من قريب فى الكثير من أحوالهم وذلك على الأقل) [٢].

ويقول (لقد تطورت أسطورة موت وبعث الإله هذه بتطور الشعور الدينى.

وفيما يل الخطوات المختلفة التى يسيرها الإله ـ فى مخيلة الناس إذ ذاك ـ للقيام بهذا الدور.

يتعذب الإله تماما كما يتعذب الإنسان ثم يموت كما يموت الإنسان ولكنه يتغلب على العذاب وعلى الموت إذ يبعث من جديد، وأتباعه يمثلون رمزا ويجددون كل عام بشكل ما مأساة حياته على الأرض، وهم مع هذا يؤمنون بأنه يتمتع بحياة

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٧٠، ٧١.

(٢) المرجع السابق ص ٧٢.

السعادة فى ديار الخلد الإلهية منذ ذلك اليوم الذى فيه حقيقة فى الماضى السحيق)[١].

فالديانات الشرقية القديمة التى انتشرت فى بلاد اليونان والرومان كانت تؤمن بأسطورة تعذيب الإله وموته ثم قيامته.

ففى الديانة المصرية كانت أسطورة أوزوريس التى تبين موت أوزوريس وبعثه.

يقول توملين: ولو كنا نكتب عن تاريخ تفصيلى لعلم الأسطورة المصرية لابد وأن نحتاج فى هذه الحالة إلى سرد قصة موت أوزوريس وطفو جسده فى النيل وانتشال إيزيس أخته وزوجته لجثته، وتقطيعها إربا إربا على يد أخيه ست، وتجميع إيزيس لأشلائه وبعثه بعد ذلك للحياة.

هذه القصة التى بقيت بعد الحضارة المصرية وصارت جزءا من الأساطير عند الإغريق والرومان ولم تنقرض بعد قيام المسيحية)[٢].

وكذلك أيضا نجد هذه الأسطورة عند البابليين.

فلقد كانت أسطورة موت الإله وبعثه شائعة بينهم أيضا.

يقول د/ فيليب حتى: كان البابليون فى عيد رأس السنة يقيمون تمثيلية ترمز إلى موت الأرض وقيامة مردوك من الموت خالق الكون وواضع نظامه)[٣].

وكذلك أيضا: اعتقد الفريجيون فى أتيس مخلصهم وإلههم، ويعتقدون أنه قتل ظلما ثم قام من بين الأموات[٤].

يقول أرنست كيللت: لسوف أعطى هنا ملخصا لأسطورة أتيس وطقوس عبادته لأن هذا لم يؤثر فقط بعمق فى المسيحية بل لأنه كان منتشرا فى أغلب أجزاء الإمبراطورية الرومانية، ولقد حدثت قيامة أتيس فى يوم الخامس والعشرين من

---

(١) المرجع السابق ص ٧٤.

(٢) توملين: فلاسفة الشرق ص ٤٧.

(٣) د/فيليب حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ٥٨.

(٤) العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص ١١١.

مارس بدء الربيع وهو نفس اليوم الذى قام فيه المسيح من الأموات حسب أقوال كثير من المسيحيين.

لقد كان أتيس شابا من فريجية ابن الأم الكبرى (سيبيل) ولد من عذراء[١].

وكانت أيضا أسطورة موت الإله وبعثه منتشرة وشائعة بين الفرس.

فلقد كانوا يعتقدون أن (مثرا) مخلصهم وهو الوسيط بين الله والناس ـ وكانت عبادته شائعة فى بلاد الفرس والأرمن وآسيا الصغرى ـ مات قتيلا ثم قام من بين الأموات[٢].

وكذلك أيضا اعتقد الهنود بقيامة كرشنا من الموت وصعوده إلى السماء، وكذلك الاعتقاد بقيامة بوذا من الأموات[٣].

ولقد كانت أسطورة موت الإله أدونيس وقيامته منتشرة فى بلاد الشام فالمخلص أدونيس (ويدعى تموز أيضا) بعد ما قتلوه قام من بين الأموات[٤].

وهكذا فإن الديانات الشرقية تؤمن بأسطورة موت الإله وقيامته من أجل البشر وهذه الأسطورة انتشرت فى بلاد اليونان والرومان قبل ظهور المسيحية.

فلما ظهرت المسيحية فى هذه البلاد تأثرت بهذه الأسطورة.

يقول شارل جنيبير (إن آثار الأسطورة الشرقية القديمة التى تدور حول فكرة إله يموت ثم يبعث ليسير بأتباعه نحو الخلود تسربت إلى ضمير المجتمعات المسيحية أو على الأقل منها تلك المتأثرة بالفكر اليونانى، فلم يلبث عيسى أن تحول بها من مسيح يهودى وشخصية محلية لا أثر فيها للتراث اليونانى ولا يفهمها أهل اليونان إلى عيسى المسيح السيد والمنقذ ابن الله)[٥].

---

(١) حقيقة التبشير ص ٨١.

(٢) العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص ١١١.

(٣) المرجع السابق ص ١٠٦.

(٤) المرجع السابق ص ١٠٨.

(٥) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٥٢.

فانتقلت هذه الأسطورة إلى المسيحية وتحول فقط اسم بطل الأسطورة.

فأصبح فى المسيحية هو المسيح عيسى بطل أسطورة الموت ثم القيامة.

وهكذا فإن عقيدة قيامة المسيح من بين الأموات قبس من الوثنية التى كانت تعتقد قبل ظهور المسيحية بموت إلهها المخلص وقيامته خاصة وأن الأدلة على إثبات هذه العقيدة غير قائمة، وعليه فلا مفر من القول بأن المسيحية تأثرت بالوثنية تأثرا واضحا.

وهذا التأثر هو السبب فى اعتقاد النصارى بأن المسيح هو ابن الله المخلص الذى قتل وصلب ثم قام.

وبذلك يتبين لنا أن الخلاص المسيحى القائم على تجسد ابن الله وقتله وصلبه وقيامته إنما هو اعتقاد وافد إلى المسيحية من الوثنية.

وعليه فعقيدة الخلاص ليست مسيحية وإنما هى وثنية.

فالديانات الوثنية كانت تعتقد فى تجسد إله مخلص للبشرية يقتل ويقوم من أجل الخلاص، والمسيحية تأثرت بهذه المعتقدات وجعلتها من عقائدها الرئيسية.

الفصل الخامس

الشعائر المصاحبة لعقيدة الخلاص

أهمية الأسرار فى المسيحية

يعتقد المسيحيون أن غاية الديانة المسيحية خلاص الإنسان نفسا وجسدا من حكم الشريعة الإلهية ومن سلطة الخطية ومحبته لها، وجعله يحيا حياة مقدسة تنتهى بالحياة الأبدية السماوية، وهذا الخلاص يقصد للأفراد أولا بتجديد القلوب وإيقاظ النفس إلى حياة الإيمان والطاعة، ثم للجماعات، ثم للجنس البشرى، ومن نتائجه إصلاح أحوال العالم وإرجاع الحق والعدل والإنصاف إلى حياة البشر عموما.

والوسائط العظمى لإتمام ذلك هى: التجسد وعمل الفداء.

والواسطة المنظورة العظيمة لأجل إجراء كل ذلك هى الكنيسة[١].

ولهذه الكنيسة فرائض مختصة بها تسمى غالبا وسائط النعمة وهى:

١ ـ الكتاب المقدس أى كلمة الله التى حل وقصد الكنيسة نشر تعاليمها للعالم والكرازة بها وبيان القديسين بواسطتها.

٢ ـ أسرار الكنيسة والصلاة[٢].

فالكنيسة هى الواسطة المنظورة لإعطاء الناس الخلاص، وهذا الكنيسة لها فرائض من التزم بها منحته الخلاص وهذه الفرائض: الكتاب المقدس، والأسرار.

ففى أصول الإيمان أن الوسائط الخارجية الاعتيادية التى بها يمنحنا المسيح فوائد الفداء هى فرائضه، وعلى الخصوص: الكلمة، والسرّان، والصلاة، وهذه جميعها تجعل فعالة للمختارين لأجل خلاصهم[٣].

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص ١٠٦٤.
(٢) المرجع السابق ص ١٠٧٢.
(٣) شرح أصول الإيمان ص ٤٤٩.

وسنقتصر هنا على بيان الأسرار لأن هذا الفصل خصصناه لها.

والسر: ترجمة للكلمة اليونانية (Mustarion) وهى تعنى فى استعمالها اليونانى الأصلى الطقوس السرية والتعاليم المختصة بها لتفسيرها وكيفية إقامتها، وقد ارتبطت هذه الكلمة بالديانات السرية حيث كان يقوم الشخص ببعض الطقوس ويستلم بعض التعاليم السرية وبذلك يصبح شخصا كاملا روحيا[١].

والسر فى المسيحية يعنى: عمل مقدس ينال به المؤمنون تحت علامات منظورة أو حسية نعمة الروح الكلى قدسه غير المنظور[٢].

أو "هو نعمة غير منظورة يحصل عليها المؤمن بفضل الروح القدس بممارسة طقس ظاهر ذى علاقة بها على يد كاهن شرعى[٣][٤]".

ويتبين من هذا التعريف أن فى الأسرار وجهين: وجه منظور، ووجه غير منظور، الوجه المنظور: هو العمل الخارجى الذى يجريه خادم الكنيسة (الكاهن) المنظور فى المعمودية الماء وما يفعله الكاهن.

وغير المنظور: الفاعلية التى بها يغسل الله المعمد داخليا ويطهر نفسه من الخطية الجدية)[٥]. وهذا يعنى أن السر عند المسيحيين يتضمن النعمة التى يدل عليها وأنها تمنح بواسطة العمل الخارجى، أى أن فى الأسرار قوة ذاتية تجعلها فعالة فى إيصال الفوائد الخلاصية إلى الذين يقبلونها[٦].

---

(١) د/فهيم عزيز: الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ٤٥.

(٢) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص ١٢٢.

(٣) الكاهن الشرعى: هو راعى الكنيسة وهو ينال هذه الدرجة بعد أن ينال سر الكهنوت التى سنبينه فى هذا الفصل.

(٤) الدين المسيحى للمرحلة الثانوية سنة ١٩٦١ ص ١٤٧.

(٥) الخلاصة الشهية ص ١٢٣.

(٦) علم اللاهوت النظامى ص ١١٣٧.

فالسر له قوة ذاتية يمنح الإنسان النعمة ـ أى نعمة الله بخلاصهم ـ.

وهذا هو معتقد الكاثوليك والأرثوذكس فى الأسرار، وذلك بخلاف الكنيسة الإنجيلية التى تعتبر الأسرار عبارة عن رموز للدلالة على نعمة الله.

فالأسرار تعنى فى نظر الكنيسة الإنجيلية رموزا مقدسة، وختوم عهد النعمة أقامها الله رأسا للدلالة على المسيح وفوائده، ولإثبات نصيبهم فيه، وأيضا لوضع فرق ظاهر بين أعضاء الكنيسة وسائر العالم، ولأجل ربطهم بخدمة الله فى المسيح حسب كلمته. والأسرار تصير وسائط فعالة للخلاص ليس بقوة فى ذاتها ولا فى خادمها ولكن بمجرد بركة المسيح وفعل روحه القدس فى الذين يقبلونها بالإيمان[١].

ورغم هذا الاختلاف فى حقيقة الأسرار فإن الكنائس جميعها متفقة على أن الأسرار من فرائض الكنيسة وأن (أسمى عمل للكنيسة إرشاد المؤمنين إلى خلاص نفوسهم)[٢].

وذلك لا يكون إلا بممارسة الأسرار أو الشعائر المسيحية، ومن هنا يبرز أهميتها فى المسيحية عامة، ولعقيدة الخلاص خاصة تلك العقيدة التى نتناولها بالدراسة ـ حيث إن هذه الأسرار على حسب معتقد الأرثوذكس والكاثوليك وسائط لازمة لمنح الخلاص.

وعلى حسب المعتقد الإنجيلى إنها رموز إلى عمل الله الفدائى وإلى الخلاص من الخطيئة، ومن هنا وجب أن نتناول هذه الأسرار بالبحث لما لها من صلة بالبحث سواء أكانت وسائط لازمة أم رموزا فهى لها صلة وثيقة على كلا المعتقدين.

---

(١) المصدر السابق ص ١١٣٦.

(٢) الدين المسيحى للمرحلة الثانوية ص ١٤٦.

الأسرار المتفق عليها بين الكنائس

لقد أجمع المسيحيون على المعمودية والعشاء الربانى كفريضتين من فرائض الكنيسة واختلفوا فيما عدا ذلك.

يقول القس إلياس مقار (تتفق المذاهب المسيحية فى مختلف العصور والأجيال على الإيمان بفريضتى المعمودية والعشاء الربانى[١]. ولكن الكنائس الكاثوليكية والارثوذكسية لم تكتف بالسرين بل زادت عليها خمسة أسرار فصارت سبعة والتى زادتها هى[٢]:

١ ـ سر المسحة أو الميرون[٣].

---

(١) قضايا المسيحية الكبرى ص ٤٨٩.

(٢) علم اللاهوت النظامى ص ١١٣٧، الدين المسيحى للمرحلة الثانوية ص ١٤٧ (جاء فى التعليم الرومانى (الكاتيكزم ـ الذى يشرح ويقر قوانين مجمع ترنت الذى ألف بايعاز بيوس الرابع وأشهر بأمر البابا بيوس الخامس سنة ١٥٦٦م، وقد عقد المجمع بأمر بيوس الرابع بقصد مقاومة نجاح الإصلاح وقد استمر من سنة ١٥٤٥م ـ إلى سنة ١٥٦٣ ـ فلماذا الأسرار هى سبعة لا أكثر ولا أقل؟ هذا الأمر قد يتضح لنا بنوع من الأنواع المقنعة، ومن ذلك الأمور التى تتناسب بالمقايسة من الحياة الطبيعية إلى الحياة الروحية فسبعة أشياء تبان لنا أنها ضرورية ولازمة للإنسان لكى يقدر أن يعيش ويحفظ حياته وتكون مفيدة له وللجمهور، وهى هذه أنه يولد، وينمو، ويقتات، وإن سقط فى المرض يشفى وتتشدد قوى ضعفه، ثم الأشياء التى تخص الجمهور بأن الولاة والحكام لا تنقص منه أصلا الذين بحكمهم وسلطانهم يتدبر الشعب، وأخيرا أن يكثر الجنس البشرى ويحتفظ بالزيجة الناموسية فهذه جميعها تبان أنها موافقة ومطابقة إلى حياة الإنسان الذى يعيش لله بالنفس ومنها يتضح بسهولة عدد الأسرار. الكاتيكزم الرومانى قرار ٢ فقرة ١ راجع علم اللاهوت النظامى ص ١٧٧، ص ١١٣٧.

(٣) سر المسحة أو الميرون ويسمى أيضا سر التثبيت وهو سر به ينال المسيحى بعد المعمودية ختم موهبة الروح القدس التى تثبته وتقويه فى الحياة الروحية ولفهم حقائق الإيمان، وقد أشار إلى ذلك يوحنا بقوله (أما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شئ ... فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم المسحة عينها عن كل شئ وهو حق وليست كذبا كما علمتكم تثبتون فيه)١. يوحنا ٢ : ٢٠، ٢٧.

وقد مارس الرسل هذا السر بوضع الأيدى على المعتمدين لنوال موهبة الروح القدس، وكان وضع الأيدى خاصا بالرسل وحدهم فى صدر الكنيسة (أعمال الرسل ٨ : ١٤ ـ ١٧، ١٩ : ٦). =

٢ ـ سر التوبة أو الاعتراف[١].

٣ ـ سر مسحة المرضى أو الزيت المقدس[٢].

٤ ـ سر الزيجة[٣].

= ولكن لما اتسع نطاق الكرازة وامتد إلى أقاصى الأرض لم يكن فى وسع الرسل أن يطوفوا كل الأقطار لوضع أيديهم على المعتمدين، ومنحهم موهبة الروح القدس ولهذا أرشدهم الروح القدس أن يعوضوا عن وضع الأيدى بالمسح بالميرون فصنعوه وخولوا للقسوس الذين أقاموهم حق مسح المعتمدين به)أ. هـ.

راجع خلاصة الأصوال الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ٧٧، الخلاصة الشهية ص ١٣٨، الدين المسيحى للمرحلة الثانوية ص ١٤٨. والميرون: كلمة يونانية معناها (العطر) أو الطيب.

وهو زيت مقدس أخذوا اسمه من العهد القديم (سفر الخروج ٣٠ : ٣٣ ـ ٢٥).

(١) سر التوبة هو الاعتراف: ويعنى رجوع الخاطئ إلى الله ومصالحته، وذلك باعترافه بجميع خطاياه وزلاته للكاهن الشرعى، ليحصل على حل منه بالسلطان المعطى له من الرب يسوع فينال غفران خطاياه، ويجب على التائب المعترف بخطاياه أن يندم عليها بقلب منسحق، ويصمم على تركها وعدم العودة إليها، مع إيمانه بأن الله تعالى يغفر له. ويقولون: إن هذه السر منح أولا من السيد المسيح للرسل لقوله لهم (اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياه تغفر له. ومن أمسكتم خطاياه أمسكت).

يوحنا ٢٠ : ٢٢ ـ ٢٣ ولقوله أيضا (الحق أقول لكم كل ما تربطونه فى الأرض يكون مربوطا فى السماء. وكل ما تحلونه فى الأرض يكون محلولا فى السماء) متى ١٨ : ١٨ وبحسب اعتقاد الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية انتقل هذا السلطان إلى خلفاء الرسل أى رعاة الكنيسة من أساقفة وقسوس، فهم أداة منظورة فى ممارسة هذا السر الذى يكمله الله نفسه بواسطتهم على وجه غير منظور واستدلوا على ذلك بقول الإنجيل (وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر) (متى ٢٨ : ٢٠) أى مع خلفائهم. أ هـ راجع خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ٨٣، الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص ١٣٤ ـ ١٣٦ الدين المسيحى للمرحلة الثانوية ص ١٤٩.

(٢) سر مسحة المرضى: وهو سر مقدس به ينال المريض نعمة الشفاء من أمراضه الروحية والجسدية بعد أن يمسح الكاهن جسده بزيت مقدس مستمدًا له الشفاء من الله مع إيمان المريض بالشفاء. وقد أشار إلى هذا السر يعقوب فى رسالته (أمريض أحد بينكم فليدع شيوخ الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب فصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطية تغفر له (يعقوب ٥ : ١٤ ، ١٥) أ هـ. راجع الأصول الإيمانية ص ٨٥، والدين المسيحى ص ١٥٠.

(٣) سر الزيجة: وهو سر مقدس به يرتبط ويتحد الرجل وزوجته اتحادا مقدسا بنعمة الروح القدس لبقاء الجنس البشرى وإيجاد أعضاء مقدسة فى الكنيسة التى هى جسد المسيح، وهذا السر مؤسس من المسيح لقوله (أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدًا واحدا. إذ ليسا بعد اثنين بل جسد واحد فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان) متى ١٩ : ٤ – ٦، وقال عنه بولس (إنه سر عظيم) وشبهه باتحاد المسيح بالكنيسة. أفسس ٥ : ٣٢. أهـ. المرجعان السابقان ص ٨٦، ١٥٠.

٥ ـ سر الكهنوت[١].

ولكن الكنيسة الإنجيلية تقصر إيمانها بالفرائض على الفريضتين (المعمودية والعشاء الربانى) على أساس أن الفريضتين تشيران إلى معنى المسيحية ولبها، فالمعمودية ترمز إلى الاغتسال من الخطية والحياة النظيفة المجددة والتى لا يمكن أن تكون لإنسان يعيش فى حياة العالم وأقذاره وأوحاله، والعشاء الربانى يشير إلى الثمن العظيم الذى قدمه المسيح لأجلهم على الصليب إذ بذل حياته من أجل خطاياهم وللتطهير من الآثام والأوزار[٢].

فالمتفق عليه بين الكنائس من الفرائض:

١ ـ فريضة المعمودية.

٢ ـ فريضة العشاء الربانى.

لذلك سنقتصر فى هذه الدراسة على هاتين الفريضتين وسنذكر كل واحدة منهما على حدة، ببيان مدلول كل واحدة منها، ومعناها، وأهميتها، وضرورة ممارستها فى الحياة المسيحية.

أولا ـ المعمودية:

هى الفريضة الأولى من بين أسرار الكنيسة (ويعتبرونها كباب لسائر الأسرار التى يتممونها فى كنيسة المسيح)[٣].

وكلمة (المعمودية) معربة من الكلمة السريانية (معموديتو) ومعناها (الغسل لأجل التطهير) وهى نفس الكلمة المترجمة (غسل) فى (مرقس ٧ : ١ ـ ٥) ولوقا ١١ : ٣٧ ـ ٣٩، وعبرانيين ٩ : ١٠، ومن كلمة المعمودية اشتقت كلمة (اعتمد) و "عماد"

---

(١) سر الكهنوت: وهو سر مقدس به يصير المسيحى راعيا فى الكنيسة وذلك بوضع أيدى عليه من أساقفة الكنيسة مع الصلاة لكى تحل عليه نعمة الروح القدس وخدماتها الروحية، وقد أسسه السيد المسيح بانتخابه تلاميذه (متى ٤ : ١٨ ـ ٢٢) ثم انتخب السبعين رسولا (لوقا ١٠ : ١) وقد رسم الرسل أنفسهم خداما فى كل كنيسة (أعمال ١٤ : ٢٣) ورسم بولس تيموثاوس وتيطس وغيرهما وقال للأول (لا تهمل الموهبة التى فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدى المشيخة) ١ـ تيموثاوس ٤ : ١٤. المرجعان السابقان ص ٨٨، ١٥١.

(٢) قضايا المسيحية الكبرى ص ٤٤٩.

(٣) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص ١٨٠.

وغيرها[١] وللفظة (عماد) اصطلاح قد اصطلح عليه المسيحيون للدلالة على العلامة التى توضع على من أقر بإيمانه المسيحى جهارا)[٢].

والمعمودية هى طقس أو شعيرة دينية تجرى للمؤمن بتغطيسه بالماء ـ أو بالرش ـ فيعلن بذلك إيمانه وتوبته عن الخطايا والتزامه لعمل إرادة الله[٣].

ولقد أطلق آباء الكنيسة على المعمودية أسماء مختلفة تدل ـ كما يقولون ـ فى الواقع على طبيعة البركات التى يحصل عليها المعمد منها وأهمها[٤]:

الولادة الثانية، والمسحة، والاستنارة، والخلاص، والختم، والعطية، إلى غير ذلك من الأسماء اللاهوتية[٥].

المعمودية فى اليهودية[٦]:

اعتقد المسيحيون أن اليهود عرفوا المعمودية واستعملوها وفهم المسيحيون ذلك من الكتاب المقدس[٧].

ففى سفر الخروج (وتُقَدِم هارون وبنيه إلى باب خيمة الاجتماع وتغسلهم بماء)[٨].

يقول إلياس مقار: (قبل أن يأمر المسيح بفريضة المعمودية المسيحية كانت المعمودية عند اليهود تمارس فى أكثر من مظهر أو معنى إذ كانت تشير فى المعنى الواسع إلى التطهيرات المختلفة عندهم إذ قيل (وأشياء أخرى تسلموها للتمسك بها من غسل كؤوس وأباريق وآنية نحاس وأسرة)[٩]، ولفظ (غسل) المذكور ههنا هو ذات اللفظ المستعمل لكلمة (عماد) وقيل (وهى قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات

---

(١) عوض سمعان: الخلاص بين الوحى والمفاهيم البشرية ص ٥.
(٢) تفسير إنجيل متى ص ٤٢.
(٣) دنيس كلارك: سيرة المسيح وتعاليمه ص ٢٧٦.
(٤) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص ١٨١.
(٥) د/ جورج حبيب: المعمودية ص ٩٤، ٩٥.
(٦) قضايا المسيحية الكبرى ص ٤٩٠.
(٧) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٧.
(٨) خروج ٢٩: ٤.
(٩) مرقس ٧: ٤.

مختلفة)[١]. والكلمة (غسلات) هى ذات الكلمة المستعملة (للعماد) ومن ثم فالعبارة عند اليهود كانت تشير أساسا إلى التطهير كما جاء من اغتسال هارون وبنيه عند دخولهم إلى خيمة الاجتماع[٢]) ففى سفر الخروج (وتصنع مرحضة من نحاس وقاعدتها من نحاس للاغتسال. وتجعلها بين خيمة الاجتماع والمذبح وتجعل فيها ماء. فيغسل هارون وبنوه أيديهم وأرجلهم منها. عند دخولهم إلى خيمة الاجتماع يغسلون بماء لئلا يموتوا. أو عند اقترابهم إلى المذبح للخدمة ليوقدوا وقودا للرب. يغسلون إيديهم وأرجلهم لئلا يموتوا. ويكون لهم فريضة أبدية له ولنسله فى أجيالهم)[٣].

وكما ورد فى سفر اللاويين عن اغتسال النجس (وكل إنسان يأكل ميتة أو فريسة وطنيا كان أو غريبا يغسل ثيابه ويستحم بماء ويبقى نجسا إلى المساء ثم يكون طاهرا وإن لم يغسل ولم يرحض جسده يحمل ذنبه)[٤].

وكانت المعمودية فى المعنى الأخص والأدق الفريضة التى يتحتم على المتهود ممارستها عند إيمانه باليهودية واعتناقها لها كرمز لتخليصه من كل أدرانه الوثنية التى علقت به كأممى[٥].

ولقد كان النبى (يحيى) يوحنا المعمدان يكرز ويدعو إلى التوبة فى كل المناطق المحيطة بنهر الأردن من الشرق ومن الغرب وكان يحض الناس على ترك خطاياهم وأن يعلنوا ذلك باعتمادهم بالماء لذلك سمى بيوحنا المعمدان[٦]. (راجع إنجيل لوقا الإصحاح الثالث) وكان من الذى تعمدوا على يد يوحنا المعمدان المسيح عيسى بن مريم. يقول لوقا (ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضا)[٧].

---

(١) عبرانيين ٩ : ١٠.
(٢) قضايا المسيحية الكبرى ص ٤٩٠.
(٣) خروج ٣٠ : ١٨ ـ ٢٢.
(٤) لاويين ١٧ : ١٥.
(٥) قضايا المسيحية الكبرى ص ٤٩١.
(٦) سيرة المسيح وتعاليمه ص ٦٣٧.
(٧) لوقا: ٣ : ٢١.

ويقول مرقس (جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا فى الأردن)[١].

فالتعميد عرف بين اليهود بمعنى التطهير، أو علامة على الإيمان باليهودية، أو رمزًا للنقاوة والتطهير والتوبة، وقد انتشرت المعمودية على يد يوحنا المعمدان الذى كان يعمد الكثيرين وكان منهم المسيح عيسى بن مريم، ثم انتقلت المعمودية إلى المسيحية.

يقول الأستاذ أنيس صايغ (ولما جاء يسوع تبنى هذا الطقس وجعله فريضة فى الكنيسة المسيحية)[٢] ففى إنجيل متى (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس)[٣].

ويقول: إن المسيح لم يعمد أحدا. يقول يوحنا: مع أن يسوع نفسه لم يكن يعمد بل تلاميذه[٤] وكانت أول معمودية مسيحية فى يوم الخمسين بعد أن قبل التلاميذ معمودية الروح القدس والنار)[٥].

ويعتقد النصارى أن المعمودية المسيحية تختلف عن المعمودية اليهودية، وأن معمودية يوحنا المعمدان تشبهها فهى - رمز للمعمودية المسيحية وإشارة إلى المسيح الآتى.

جاء فى علم اللاهوت النظامى (ومعمودية يوحنا كانت للتوبة والتطهير استعدادا لمجئ المسيح، وهى تشبه المعمودية المسيحية وتشير إليها فإنها لم تكن كمعمودية الدخلاء المعروفة عند اليهود على ما يرجح بل هى رسم جديد لغاية خاصة فكانت بناء على الإيمان بالمسيح الآتى مقترنة بالتوبة من الخطية)[٦].

ولقد اختلفت وجهات النظر المسيحية حول نوع المعمودية ومعمودية الصغار أو الكبار، وكذلك اختلفوا فى أثر المعمودية.

---

(١) مرقس ١ : ٩.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٧.

(٣) متى ٢٨ : ١٩.

(٤) يوحنا ٤ : ٢.

(٥) متى ٣ : ١١، لوقا ٣ : ١٦، أعمال الرسل الإصحاح الثانى (أما معمودية الروح القدس والنار فإنها رمز لانسكاب الروح القدس على الرسل يوم الخمسين (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٧).

(٦) علم اللاهوت النظامى ص ١٠٧٣.

أولا: نوع المعمودية (بأى صورة تتم):

لقد اختلف المسيحيون حلو نوع المعمودية وهل هى بالتغطيس أو بالسكب أو بالرش؟ اعتادت الكنيسة الإنجيلية رش الماء - وهو رأى الأغلبية [١] - على أن قسما من الإنجيليين بفضل التغطيس بل يحسبه ضروريا للمعمودية الحقيقية) [٢].

ولا تتم المعمودية عند الأقباط الأرثوذكس إلا بالتغطيس فى الماء فى معمودية الكنيسة بواسطة رجال الدين المختصين بذلك ويلزم أن يكون التغطيس ثلاث مرات [٣].

ولقد استدل كل فريق بالكتاب المقدس وأدلة أخرى ليؤيد وجهة نظره.

يقول العلامة أفلاطون مطران موسكو (فالمعمودية عند الأرثوذكس بالتغطيس ثلاث مرات وهم تتم بطريقة قويمة وموافقة للتقليد القديم حسب مدلول اللفظة اليونانية (فابتيزو) ومعناها: صبغ الشئ بتغطيسه بالسائل، وهكذا كان يوحنا يعمد الشعب، وهكذا اعتمد المسيح منه (وللوقت وهو صاعد من الماء) [٤]. وهكذا كان الرسل يعمدون [٥]. ويؤيد هذه الطريقة ما يوجد فى الكنائس القديمة من إجراء للمعمودية [٦].

ويقول كلايد تارتر (المعمودية هى التغطيس بالماء، هذا هو معنى الكلمة اليونانية، والتغطيس هو العمل الوحيد الذى يطابق وصف المعمودية الذى وصل إلينا فى العهد الجديد (فنزلا كلاهما إلى الماء فيلبس والخصى فعمده. ولما صعد من الماء خطف روح الرب فيلبس) [٧] إن هذا التعبير يصور لنا التغطيس.

وبولس يصف التغطيس بأنه دفن وقيامة (فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضا فى جدة الحياة لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موت نصير أيضا بقيامته) [٨]، [٩].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٧.
(٢) علم اللاهوت النظامى ص ١٠٧٦.
(٣) خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ٧٢، الدين المسيحى ص ١٤٨.
(٤) مرقس ١ : ١٠.
(٥) أعمال الرسل ٨ : ٣٦: ٣٩.
(٦) الخلاصة الشهية ص ١٢٥.
(٧) أعمال الرسل ٨ : ٣٨ ، ٣٩.
(٨) رومية ٦ : ٥، ٤.
(٩) كلايدتارنر: هذه عقائدنا ص ١٥١.

هذا هو قول الأرثوذكس فى المعمودية بأنها لا تكون إلا بالتغطيس وذلك بسبب أن الكلمة اليونانية للمعمودية تعنى التغطيس، وكذلك لأن المسيح عمده يوحنا بالتغطيس، وكذلك الرسل والكنيسة المسيحية الأولى عمدت بالتغطيس، هذا إلى جانب الفقرات التى وردت فى الكتاب المقدس الدالة على ذلك.

هو قول الأرثوذكس لكن غيرهم يقولون إن التعميد يتم بالرش أو السكب.

يقول: وليمسن (يصر المعمدانيون على أن تغطيس الجسم لابد منه للمعمودية ولكن أصول الإيمان يقول إنه لا يلزم شئ أكثر من الغسل بالماء سواء كان ماء قليلا (كما فى حالة الرش أو السكب)أو ماء كثيرا (كما فى حالة التغطيس) ويؤكد صحة ما يقوله أصول الإيمان الحقائق الآتية:

(١) لا يوجد فى الكتاب حاله واحدة للمعمودية قيل إنها تمت بالتغطيس، ولسنا نقصد بذلك أن نقول إنه يمكن إثبات أن التغطيس لم يستعمل قط، فمن المحتمل أن يكون قد تم فى بعض الحالات، ومن المحتمل أيضا أنه لم يتم ولكن لا يمكن إثبات أنه تم ولو فى حالة واحدة، ومن هذا نستنتج أن الله لم يأمر أن تكون المعمودية بالتغطيس.

(٢) توجد حالات يمكن أن يثبت فيها أن المعمودية لم تكن بالتغطيس نذكر منها ما جاء فى رسالة بولس إلى أهل كورنثوس إذ يقول (إن الإسرائيليين فى زمن موسى جميعهم اعتمدوا) [١] كما يقول (جميعهم اجتازوا فى البحر عددا)[٢]. ومع ذلك فإننا نعرف من سفر الخروج أنه ولا إسرائيلى واحد غطس فى الماء ولكن المصريين هم الذين غطسوا[٣]. وهكذا نرى أن التغطيس لم يكن معمودية (للمصريين) وأن المعمودية لم تكن تغطيسا للإسرائيليين وهذا برهان على أنه لا لزوم على أن تكون المعمودية بالتغطيس.

---

(١) ١ـ كورنثوس ١٠ : ٢.
(٢) ١ـ كورنثوس ١٠ : ١
(٣) خروج ١٤ : ٢٢ـ٢٨.

(٣) وأخيرا نلاحظ أن معمودية الروح القدس كما فى سفر أعمال الرسل[١] كانت بالسكب، فقد انسكب الروح القدس على التلاميذ، أى أنهم لم يغطسوا فى الروح وهذا أمر هام، لأن المعمودية بالماء تشبه بهذه المعمودية فى إنجيل متى[٢]. فإذا كانت المعمودية العظمى بالسكب فمن المؤكد أن تكون المعمودية الصغرى بالسكب أيضا)[٣].

هذا إلى جانب أدلة أخرى ذكرها هؤلاء الذين يؤمنون بأن المعمودية لا تلزم أن تكون بالتغطيس. جاء فى علم اللاهوت النظامى (أما كون التغطيس ليس أمرا ضروريا فى المعمودية فيتضح من جملة أدلة:

١ ـ إن اللفظة الأصلية اليونانية للعماد ليست غالبا بمعنى التغطيس، بل يعنى الغسل لأجل التطهير بدون تعيين الكيفية، فقيل فى إنجيل متى(فإنهم لايغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزا)[٤]. وكذلك أيضا فى بعض فقرات إنجيل مرقس ولوقا[٥]، فلفظة (يغسلون) فى بعض هذه الفقرات هى فى الأصل اليونانى ذات اللفظة المستعملة للعماد فقيل فى إنجيل مرقس (إن اليهود اعتادوا غسل كؤوس وأباريق وآنية نحاس وأسرة)[٦] والغسل فيه ترجمة اللفظة المعبر بها عن العماد وهذه الغسلات لم تكن فى العهد القديم بالتغطيس غالبا بل بالسكب كما جرت العادة فى كل مكان، وقيل فى الرسالة إلى العبرانيين (وهى قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات مختلفة)[٧].

وهنا كذلك استعملت تلك اللفظة عينها فاتضح أنها ليست مخصصة بالتغطيس بل الغسل سكبا كان أو تغطيسا، واستعملت كذلك للإشارة إلى العماد بالروح القدس[٨] وفى هذا المقام لا يصح معنى التغطيس.

---

(١) أعمال الرسل١ : ٥، ٨، ٢ : ١٧.
(٢) متى ٣ : ١١.
(٣) تفسير أصول الإيمان جـ٢ ص ١٣٠، ١٣١.
(٤) متى ١٥ : ٢.
(٥) مرقس ٧ : ١ ـ ٥ لوقا ١١ : ٣٧ ـ ٣٩.
(٦) مرقس ٧ : ٤، ٨.
(٧) عبرانيين ٩ : ١٠.
(٨) متى ٣ : ١١، مرقس ١ : ٨، لوقا ٣ : ١٦ يوحنا ١ : ٣٣، أعمال ١ : ٥، ١١ : ٦.

٢ ـ إن ذكر إجراء العماد فى العهد الجديد لا يشير إلى أن التغطيس هو الكيفية الوحيدة كما اتضح فى الأقوال فى معمودية يوحنا[١]، وكذلك معمودية الخصى على يد فيلبس[٢] ومعمودية ثلاثة آلاف شخص فى يوم واحد[٣]، ومعمودية بولس[٤].

ومن ذلك قوله (فقال حنانيا لبولس قم واعتمد واغسل خطاياك) (وقام بولس واعتمد) فليس من قول يدل ضرورة على تغطيسه، ولم يكن لزوم فى تلك المعموديات لبركة أو نهر أو ماء يغمر الإنسان، والأرجح أن برك الماء لم تكن فى البيوت والسجون وفى كل الأماكن التى جرى فيها ما ذكر من العماد.

وعلى ذلك الإنجيليون لا يقولون إن التغطيس ضرورى ولا يعترضون عليه بل يحسبون الرش أو السكب والتغطيس بمنزله واحدة على أن الرش مستحسن[٥].

ومع كثرة الأدلة التى أوردها الإنجيليون على أن التغطيس ليس ضروريا إلا أن غاية المعمودية ـ كما سنبين ـ فى المسيحية تؤكد أنها يجب أن تكون بالتغطيس فهم يعتقدون أن لها دورا، فى غسل الإنسان من خطاياه أو هى رمز إلى غسل الإنسان من خطاياه.

والمعروف أن خطايا الإنسان لا تقتصر على جزء واحد من جسده بل هى تشمل جميع أجزاء جسده، فإذا كان كذلك فلابد أن تكون المعمودية لغسل جميع أجزاء الجسم وذلك لا يتم إلا بالتغطيس الذى يشمل جميع أجزاء الجسم هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى: فإن قولهم فى المسيح بصلبه وقيامته من الأموات لهو أكبر دليل على التغطيس، فإن المسيح ـ على حسب اعتقادهم ـ دفن ثم قام، فبالدفن دفن ذنوب البشر، وبالقيامة انتصر على الموت وهيأ للإنسان طريق الحياة الأبدية. كذلك فإن التغطيس دفن للذنوب ـ أو رمز ـ مع القيامة بجسد طاهر خال من الذنوب.

---

(١) متى ٣ : ٥ : ٦ مرقس ١ : ٥، لوقا ٣ : ٦ ـ ٢١.

(٢) أعمال ٨ : ٢٦ ـ ٣٩.

(٣) أعمال ٩ : ١٧ ، ١٨، ٢٢: ١٢ ـ ١٦.

(٤) أعمال ٢ : ٣٨ ـ ٤١.

(٥) علم اللاهوت النظامى ص ١٠٧٧.

إننا لا نرجح رأيا على رأى ولكن نناقش بما يقتضيه البحث العلمى.

وعموم القول فإن اختلاف المسيحيين فى نوع المعمودية له أثر كبير فى أقوالهم فيما بعد حول غاية المعمودية.

ثانيا: معمودية الصغار أو الكبار:

ولقد اختلف المسيحيون أيضا حول معمودية الصغار أو الكبار

قال بعض المسيحيين: إنه لا لزوم لتعميد الأطفال، وأن الاعتماد للمؤمنين فقط، أى الذين تعدوا مرحلة الطفولة وبلغو سن الرشد بحيث يمكن لهم فهم الخلاص والاعتراف بالتوبة.

إلا أن أغلبية المسيحيين تعتبر معمودية الصغار واجبة ماداموا أطفالا لمؤمنين [١].

وهؤلاء الذين يقولون بلزوم معمودية الصغير يعللون ذلك بقولهم: تجب معمودية الطفل ليس لأن الطفل يهلك بدون المعمودية، بل لأنه مولود ضمن الكنيسة المسيحية وعضو من أعضائها ولأن الرسل عمدوا بيوتا بكمالها[٢]، وكما أن الأطفال فى العهد القديم كانوا من أهل الكنيسة وختنوا، هكذا فى العهد الجديد يعمدون لأنهم من أعضاء الكنيسة بناء على عضوية والديهم لأن الكنيسة تتضمن المؤمنين وأولادهم[٣]. فالأطفال يعمدون لأنهم من أعضاء الكنيسة ـ باعتبار عضوية آبائهم ـ ويجب على أعضاء الكنيسة أن يكونوا معمدين.

وكذلك لأن المعمودية حلت محل الختان الذى كان فى العهد القديم، والختان كان للصغار والكبار[٤]. هذا هو تعليل الإنجيليين للقول بوجوب تعميد الصغار.

ويجب أن نقف عند القول بأن المعمودية حلت محل الختان، ذلك أن المسيح رأس الديانة قد اختتن (ولما تمت ثمانية أيام ليختتنوا الصبى) لوقا ٢ : ٢١ وكذلك أيضا

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٧.

(٢) أعمال الرسل ١٦ : ١٥ ، ٣٣، ١٨ : ٨ ، ١١.

(٣) علم اللاهوت النظامى ص ١٠٧٧ ، تفسير أصول الإيمان جـ٢ ص ١٣٠.

(٤) راجع فى ذلك: قضايا المسيحية الكبرى ص ٤٩٦ ، ٤٩٧.

تعمد المسيح على يد يوحنا (٣ : ١٣ ـ ١٧) (مرقس ١ : ٩ ـ ١١) لوقا ٣ : ٢١ ، ٢٢) فالمسيح اختتن وتعمد مما يدل على أن كلا منهما لا يجزأ عن الآخر.

لأنه لو كان التعميد يجزئ عن الختان لبين ذلك المسيح لتلاميذه ولمنعهم من الختان ولكنه لم يفعل مما يدل أن الاثنين لازمان وأن المعمودية لم تحل محل الختان.

وللأرثوذكس تعليل آخر هام للزوم معمودية الصغار وهو أن الأطفال يعمدون لأنهم يولدون بالخطية. يقول أفلاطون مطران موسكو (المعمودية إذن ضرورية للأطفال أنفسهم لأنهم هم يولدون مشتركين بالخطية الجدية)[١]. ويلزم على هذا التعليل: هلاك الصغار لأنهم يولدون بالخطية ـ حيث إنهم لم يؤمنوا وما داموا كذلك فإنهم هالكون لا محالة لأن النجاة مرتبطة بالإيمان وذلك بدليل قول الكتاب المقدس (من لم يؤمن يدن)[٢] (وبغير إيمان لا يستطيع أحد أن يرضى)[٣] هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فإنهم لم ينالوا حق التكفير عن الخطية حتى يستحقوا النجاة. وهذا مخالف لما جاء فى الكتاب المقدس عن الصغار فإنه يبين أن لهم منزلة عليا عند الله سبحانه وتعالى.

ففى إنجيل متى (انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار لأنى أقول لكم إن ملائكتهم فى السموات كل حين ينظرون وجه أبى الذى فى السموات)[٤]. وفيه أيضا (هكذا ليست مشيئة أمام أبيكم الذى فى السموات أن يهلك أحد هؤلاء الصغار)[٥].

(دعوا الأولاد يأتون إلى ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات)[٦].

ولكن بعض المذاهب المسيحية وقفت ضد القول بوجوب تعميد الأطفال بدعوى أن الأساس فى المعمودية أنها رمز يشير إلى حقيقة وما لم تثبت الحقيقة فلا يصح

---

(١) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص ١٢٧.
(٢) مرقس ١٦ : ١٦.
(٣) عبرانيين: ١١ : ٦.
(٤) متى ١٨ : ١٠.
(٥) متى ١٨ : ١٤.
(٦) متى ١٩ : ١٤.

الإشارة إليها برمز، كما قالوا إن المعمودية تلحق الإيمان لا العكس، إذ جاء قول السيد (من آمن واعتمد خلص) [١]، وأضافوا أن الخصى الحبشى[٢]، وليديا[٣]، وسجان فيلبى[٤]، وغيرهم عمدوا بعد قبول الإيمان. وعليه فلا يجوز معمودية الصغار ممن لم يدركوا بعد الإيمان المسيحى والولادة الجديدة[٥].

أما أقوالهم فى الأطفال الذين يموتون بدون معمودية ـ أى الذين لم يبلغوا سن الرشد فى المسائل الأدبية ولم يدخلوا فى حال المسئولية من جهة أفعالهم تحت الشريعة الإلهية أى قبل ارتكابهم خطايا شخصية فعلية تستحق حكم الشريعة عليهم بالدينونة والقصاص ـ فإنهم يخلصون لا محالة ولهم نصيب مبارك فى فوائد الفداء بواسطة كفارة المسيح المحسوبة لهم رأسا برحمة الله وجوده[٦].

ويلزم على هذا القول ـ أن الأطفال لا يولدون بالخطيئة الموروثة، ذلك أنه إذا كان هؤلاء الصغار يخلصون لا محالة وأنهم لا يهلكون فإن معنى ذلك أنهم لا يولدون بالخطيئة الأصلية ـ خطيئة آدم ـ وإلا لهلكوا لأنهم لم يؤمنوا بالمسيح الذى به خلاصهم من الخطية الأصلية، وما دام الأطفال لا يولدون بها فقد هدموا أساس عقيدتهم فى الخلاص وهو الخطية الأصلية التى بسببها ورث الإنسان الطبيعة الفاسدة التى يولد بها والتى ورثها من آدم.

ومثل هذا الاعتراض هو الذى جعلهم يقللون من فاعلية الخطية الأصلية فى هلاك النفس فيقولون (ولكن لابد من تمييز الخطية الأصلية عن الخطيئة الفعلية المرتكبة بالاختيار، فالخطية الأصلية وحدها لا تسبب هلاك النفس لكون نصيب الفداء بكفارة المسيح ينسب رأسا إلى الأطفال لأجل خلاصهم من الخطية الأصلية بدون لزوم إجراء سر المعمودية)[٧].

---

(١) مرقس ١٦ : ١٦.
(٢) أعمال ٨ : ٢٦ ـ ٣٩.
(٣) أعمال ١٦ : ١٤، ١٥.
(٤) أعمال ١٦ : ٢٣.
(٥) قضايا المسيحية الكبرى ص ٤٩٦.
(٦) علم اللاهوت النظامى ص ١٠٨٥.
(٧) المرجع السابق ص ١٠٨٦.

غاية المعمودية وأهميتها بالنسبة للخلاص المسيحى

اختلف المسيحيون حول غاية المعمودية

فالإنجيليون يعلمون أن غاية المعمودية: إدخال المعمود إلى الكنيسة الظاهرة وهى مع ذلك رمز وختم لعهد النعمة وإشارة إلى تطعيم المعمود فى المسيح وتجديد ومغفرة خطاياه وتسليمه إلى الله بيسوع المسيح ليسلك فى جدة الحياة.

وكون هذا السر رمزا أو إشارة وختما يتضمن أنه ليس المرموز إليه أى أنه إشارة إلى حقيقة لا هو الحقيقة عينها، فالمعمودية علامة خارجية لحقيقة داخلية وهى فعل النعمة الإلهية فى قلب المعمود، على أن تلك الحقيقة الداخلية لا تتوقف على المعمودية الخارجية ولا تتم بواسطتها بل تسبقها وإتمام الحقيقة الداخلية تجيز إتمام الحقيقة الخارجية[١].

فالمعمودية - عندهم - ترمز إلى الإيمان بيسوع المخلص، فهى علامة خارجية للحقيقة الداخلية وهى الإيمان فى قلب المعمود الذى يسبق المعمودية.

وعلى هذا القول (فإن النفس لا تتجدد بالمعمودية لأن التجديد عمل الروح القدس داخلا لا عمل الماء المرشوش خارجا)[٢]. فالغرض من المعمودية فى نظر الإنجيليين أنها علامة ظاهرية على دخول المعمود إلى الكنيسة أو أن العرض من ممارستها هو (إشهار الإيمان بالمسيح)[٣]. وهى برغم ذلك رمز أو إشارة إلى ما تحدثه النعمة الإلهية من خلاص للإنسان وتجديد النفس لا أنها هى التى تحدث هذا الخلاص وهذا التجديد فهى علامة خارجية للحقيقة الداخلية التى تحدث نتيجة للإيمان بيسوع.

بينما تبين الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية: أن المعمودية شركة حقيقة مع المسيح فالإنسان الذى يغطس تماما تحت سطح الماء يشبه إنسانا مات مع المسيح. وعندما يخرج من الماء فذلك يشبه القيامة مع المسيح فهو يخرج إنسانا جديدا لحياة

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٧٤.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٧٨.

(٣) الخلاص بين الوحى والمفاهيم البشرية ص ٥.

جديدة)[١]. فالمعمودية: موت، دفن، قيامة مع المسيح إلى حياة جديدة[٢]. هذا بجانب أن التعميد فى نظرهم: يمحو الخطيئة ويمحو لدى البالغ الخطايا الشخصية ويفى ما يتوجب عليه من ديون ويحدث فيهم الموت عن الخطيئة[٣]. ويقولون إن الطريقة المألوفة التى رسمها الله للولادة الروحية ولنوال الفداء هى العماد[٤].

وقد لخص القس إنسطاسى شفيق نتائج المعمودية الغير منظورة والمتعلقة بالفداء فقال هى: أولا: الولادة الجديدة: فى اللحظة التى فيها يتم التعميد وينطق خادم السر دعاء العماد باسم الآب والابن والروح القدس فى تلك اللحظة نفسها تفعل النعمة الإلهية فعلها الغير منظورة فى طبيعة المعتمد كلها فتعيد ولادته وتجدد خلقته حسب شهادة المسيح فى خطابه مع نيقوديموس (الحق الحق أقول لكم إن لم يولد أحد من الماء والروح فلا يستطيع أن يدخل ملكوت الله)[٥].

ثانيا: المعمودية المقدسة تنقى المعتمد من كل خطية وتبرره وتقدسه. ثم يقول عن هذه النتيجة (فبولادتنا من الروح القدس فى السر نصير روحا وننقى من خطيئة أجدادنا ومن كل دنس جسدى، وهكذا نستحق دخول ملكوت الله (توبوا وليعتمد كل واحد منكم باسم يسوع المسيح لغفران الخطايا)[٦]. ثم إن المعمودية لا تنقى دنس الجسد فقط بل أدناس الضمير أيضا لأجل الله كما يقول بطرس (الذى المرموز إليه به يخلصنا نحن أيضا أى المعمودية المراد بها لا إزالة القذر من الجسد بل سؤال ضمير لدى الله بقيامة يسوع المسيح)[٧].

فالمعمودية إذن تغسل المعتمد وتقدسه وتبرره أعنى تنقيه من جميع خطاياه من الخطية الجدية وتجعله بارًا وقديسًا.

---

(١) تفسير سفر أعمال الرسل ص ١١٤، سر التدبير الإلهى ص ٨٢.
(٢) د/جورج حبيب: المعمودية ص ٢٩.
(٣) المسيح حياة النفس ص ٢٠٤.
(٤) المرجع السابق ص ٨٣، ١٨٦.
(٥) يوحنا ٣ : ٥.
(٦) أعمال ٢ : ٣٨.
(٧) ١ ـ بطرس ٣ : ٢١.

ثالثا: المعمودية تهب الإنسان روح البنوة لله: فهى تجعل الإنسان ابنا لله وعضوا فى جسد المسيح كما يقول بولس (لأنكم جميعكم أبناء الله بالإيمان بيسوع المسيح لأنكم أنتم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح لأنكم جمعيكم واحد بيسوع المسيح) [١]. وفى موضع آخر يقول (لأننا جميعا بروح واحد أيضا اعتمدنا لجسد واحد يهودًا كنا أم يونانيين عبيدا أم أحرارا وجميعا سقينا روحا واحدا) [٢].

رابعا: المعمودية تعتقنا من خطايانا الأبدية وتجعلنا وارثى الحياة (من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن) [٣].

ويقول بولس (خلصنا هو لا اعتبار لأعمال بر عملناها بل بمقتضى رحمته بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس الذى سكبه علينا بكثرة بيسوع المسيح مخلصنا لكى نبرر بنعمته فنصير ورثة على حسب رجاء الحياة الأبدية) [٤]، [٥].

ثم يقول (فنتائج النعمة إذن فى سر المعمودية هى الولادة الثانية والتبرير والتبنى والملكوت وهذه النتائج مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا لا ينفك، لأن النعمة الإلهية إذ تعيد ولادة الإنسان بالمعمودية تنقيه من كل خطيئة مبررة مقدسة إياها وإذ تنقيه من الخطايا تخلصه من عواقبها الأبدية وإذ تبرره أمام الله وتقدسه تجعله ابنا لله وعضوا فى جسد يسوع ووارثا للحياة الأبدية وواضح أن كل البركات والمواهب المعطاة لنا من قبل الفداء نجد ذكرها هنا بالمعمودية) [٦]. فالمعمودية تمنح الإنسان النعمة والخلاص والتجديد.

وهكذا اختلفت الكنائس حول غاية المعمودية.

فالبعض يرى أنها رمز وإشارة للحقيقة الداخلية التى تحدثها النعمة الإلهية نتيجة للإيمان.

---

(١) غلاطية ٣ : ٧، ٢٦.
(٢) ١ ـ كورنثوس ١٢ : ١٣.
(٣) مرقس ١٦ : ١٦.
(٤) تيطس ٥ : ٣ ـ ٧.
(٥) الفداء فى إنجيل لوقا ص ٢٧٠.
(٦) المرجع السابق ص ٢٧١.

والبعض الآخر يرى أنها هى التى تحدث التجديد والمغفرة.

وعلى كلا الرأيين نجد أهميتها بالنسبة للخلاص.

فعلى الرأى الأول أنها إشارة إلى عمل الفداء والخلاص.

وعلى الرأى الثانى أنها هى التى تحدث الخلاص.

العشاء الربانى

والعشاء الربانى هو سر يدل على موت المسيح بإعطاء خبز وخمر وقبولهما حسبما رسم السيد المسيح[١]،

يقول لوقا (وأخذ خبزا وشكر وكسر وأعطاهم قائلا هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم اصنعوا هذا لذكرى وكذلك الكأس أيضا بعد العشاء قائلا هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى الذى يسفك عنكم)[٢].

يقول كلايد تارنر ـ عن هذه الفريضة ـ إنها فريضة أسسها المسيح فى العلية قبل موته على الصليب مباشرة وأمر بممارستها[٣].

ولقد وردت هذه الفريضة بأسماء متنوعة فى الكتاب المقدس:

١ ـ عشاء الرب أو العشاء الربانى وهو الأهم وسمى عشاء الرب لأن الرب يسوع ـ كما يقولون ـ وضعه عند العشاء[٤].

٢ ـ كأس البركة وسمى[٥] كذلك لأن المسيح بارك الخبز أيضا[٦].

٣ ـ مائدة الرب وكأس الرب[٧]. والمراد بالمائدة هنا الطعام الموضوع عليها مجازا.

٤ ـ شركة جسد المسيح ودمه[٨]. وذلك لأنه بواسطة الخبز والخمر يشترك المؤمن ـ كما يقولون ـ فى جسد المسيح ودمه.

---

(١) تفسير أصول الإيمان جـ٢ ص ١٣٧.
(٢) لوقا ٢٢ : ٢٠، ١٩
(٣) كلايدتارنر: هذه عقائدنا ص ١٥٣.
(٤) ١ ـ كورنثوس ١٠ : ١٦.
(٥) ١ ـ كورنثوس ١٠ ـ ١٦.
(٦) متى ٢٦ : ٢٦.
(٧) ١ ـ كورنثوس ١٠ : ٢١.
(٨) ١ ـ كورنثوس ١٠ : ١٦.

٥ ـ كسر الخبز [١] ويراد بذلك السر بجملته مجازا[٢].

وقد ورد فى تاريخ الكنيسة لهذا السر أسماء أخرى منها:

١ ـ الأفخارستيا أى الشكر والإشارة بهذا إلى كون خدمة الشكر فهو كأس الشكر كما أن كأس البركة.

٢ ـ الاجتماع لأن ممارسة ذلك الطقس كانت فى الاجتماع الجمهورى مع حضور المسيح.

٣ ـ الليتورجيا أى الخدمة وأريد بها الإشارة إلى الخدمة المقدسة فى إفراز العناصر وسموا هذا مؤخرا فى اللغة العربية بلفظة القداس وشاع ذلك بين الطوائف النصرانية.

٤ ـ التقدمة ولم يريدوا بذلك أن العشاء الربانى ذبيحة كفارية بل سموه بذلك لاقترانه بجميع الحسنات ولأنه تذكار لتقدمة المسيح على الصليب.

٥ ـ إفلوجيا أى البركة.

٦ ـ السر لأنه إشارة سرية إلى موت المسيح وفوائده للمؤمنين.

٧ ـ المسا أو المس وهو الاسم المستعمل فى الكنيسة اللاتينية وأصله على ما يظن قول الخادم الكنسى حين نهاية الاجتماع فى اللغة اللاتينية (أتى مسيا أست) ومعناه اذهب قد صار الانصراف.

وأنسب العبارات للإشارة إلى هذا السر فى كلام الإنجيليين عشاء الرب أو العشاء الربانى ومائدة الرب وكسر الخبز[٣]. بينما أنسب العبارات بالنسبة للكاثوليك الأفخارسيتا[٤].

العناصر التى تستعمل فى العشاء الربانى

يستعمل العشاء الربانى ـ كما يقون ـ بتعيين السيد: الخبز والخمر، ذلك لأنهما مادتان بسيطتان تشيران إلى جسد المسيح ودمه[٥]. يقول متى (وفيما هم يأكلون أخذ

---

(١) أعمال ٢ : ٤٢.
(٢) علم اللاهوت النظامى ص ١٠٩٠.
(٣) المصدر السابق ص ١٠٩١.
(٤) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٢٥.
(٥) علم اللاهوت النظامى ص ١٠٩٢.

يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا جسدى. وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا)[١].

ولقد اختلفت الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية حول استعمال الفطير فى العشاء الربانى بدل الخبز، ونشأت بينهما منازعة شديدة حول هذا الموضوع فى القرن الحادى عشر.

فالكنيسة الشرقية رفضت استعمال الفطير لأنه حسب عندها من العوائد اليهودية التى ليسوا هم ملتزمين بها بعد. أما الكنيسة الغربية فقد حكمت بمناسبة استعماله ـ الفطير ـ بل بأنه النوع الوحيد الجائز استعماله باعتبار قانون الكنيسة، غير أن استعمال خبز الخمير يجوز، بمعنى أن ذلك لا يفسد السر.

ولم يزل كل منهما متمسكا باعتقاده القديم إلى هذا اليوم[٢].

والخمر المستعمل فى هذا السر هو عصير العنب المختمر فى الحالة التى يستعمل فيها والتى يعرف فيها أنه خمر[٣].

معنى تناول العشاء الربانى، أو فاعلية تناوله

اشتهر فى تاريخ الكنيسة فى هذه المسألة أربعة أقوال:

الأول: تعليم زونيكلى (أوزونجلى) وقد تبعه الأرمينيون والسوسينيون وهو: أن العشاء الربانى مجرد علامة محسوسة تشير إلى موت المسيح بدون أن يكون فيه أدنى فاعلية فى حد ذاته ولا يحضر فيه المسيح على الإطلاق لا جسديا ولا روحيا ولذلك لايحسب عشاء الرب من وسائط النعمة بل إنما هو تذكار لموت المسيح وشهادة الإيمان المشترك)[٤]. فأهم ما فى هذا التعليم أنه يرفض رفضا باتا حضور المسيح سواء بطريقة حقيقية أو بطريقة روحية، ويعتبر العشاء الربانى مجرد ذكرى

---

(١) متى ٢٦: ٢٦ـ٢٨.

(٢) علم اللاهوت النظامى ص ١٠٩٢.

(٣) نفس المرجع، نفس الصفحة، الخلاصة الشهية ص ١٣١.

(٤) علم اللاهوت النظامى ص ١١٠١.

لحادثة صلب المسيح وقيامته. يقول د/حنا جرجس الخضرى عن هذا التعليم (إن ممارسة العشاء الربانى تعنى بالنسبة للمصلح السويسرى ذكرى لموت المسيح وقيامته، فإن زوينكلى وأتباعه لا يرون فى العشاء الربانى إلا مجرد ذكرى فإن الخبز المكسور والخمر المصبوب يذكران بموت المسيح الذى قدم نفسه من أجلنا وفى كل مرة يجتمع الأخوة لممارسة هذه الفريضة يتذكرون هذه الحادثة التاريخية العظيمة وينادون بها) [١]. ويقول القس إلياس مقار (وتقوم نظرية زونيكلى على أن العشاء الربانى ليس إلا مجرد ذكرى تبين ذلك من قول المسيح (اصنعوا هذا لذكرى)[٢] وعندما اختلف لوثر وزونيكلى فى الأمر. قال لوثر: كيف يمكن أن يتفق هذا مع قول المسيح (هذا هو جسدى) [٣]. أجاب زوينكلى أن التعبير هنا ضرب من المجاز كقول المسيح أيضا ليوحنا عن العذراء (هو ذا أمك) [٤]. ومن ثم فالعشاء عند زوينكلى مجرد علامة ليس لها أدنى فاعلية ذاتية وخالية من حضور المسيح المصاحب لها روحيا أو جسديا على الإطلاق وهو لهذا لا يمكن أن يكون من وسائط النعمة[٥]. فالعشاء الربانى بناءً على هذا التعليم مجرد ذكرى لصلب المسيح وقيامته وليس من وسائط النعمة التى ينالها الإنسان بالإيمان بيسوع.

الثانى: تعليم مارتن لوثر وهو: أن جسد المسيح فى ذلك العشاء لا بمعنى أن الخبز والخمر يستحيلان إلى جسده ودمه بل أن المسيح يحضر جسديا ويصاحب العناصر ويرافقها على منوال سرى حتى يقبل المشترك المسيح فعلا بمعنى سرى حين قبوله الخبز والخمر اللذين لا يزالان فى حد ذاتهما خبزا وخمرا وعلى ذلك يكون لعشاء الرب فاعلية حقيقية ذاتية وتأثير فعلى فى كل من يقبله، غير أن فاعليته وإن كانت ذاتية فيه تتوقف على إيمان المشترك، بمعنى أن عدم الإيمان مانع لفاعلية

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٣١.

(٢) لوقا ٢٢ : ١١.

(٣) لوقا ٢٢ : ١٩، متى ٢٦ : ٢٦، مرقس ١٤ : ٢٢.

(٤) يوحنا ١٩ : ٣٦.

(٥) قضايا المسيحية الكبرى ص ٥٠٦.

السر. ويوضحون معنى تعليمهم هذا بقولهم(إن النار لا تفعل فى الحطب إلا إذا كان جافا على أن جفاف الحطب لا يعطى النار قوتها، وقولهم إن الامرأة التى مست ثوب المسيح لولا إيمانها لم تستفد، على أن قوة المسيح على الشفاء لم تتوقف على إيمان تلك المرأة. والحاصل أن عندهم لعشاء الرب قوة ذاتية وفاعلية حالة فيه غير أن المشترك لا يستفيد من ذلك إلا بواسطة الإيمان)[١].

فواضح من هذا التعليم أنه يعلم حلول المسيح جسديا بمعنى سرى فى الخبز والخمر.

يقول لوثر (بما أنه لا توجد نصوص كتابية تقول بأن الخبز ليس جسد المسيح يجب علينا إذن قبول كلام السيد بطريقة بسيطة كما نطق به، فلا يجب إذن تغيير هذا الكلام بل قبول حقيقة أن الخبز هو جسد المسيح) ويواصل كلامه فيقول: إننى واثق تماما بأن الله لا يكذب وبما أن كلمته تعرفنا بأن جسد ودم يسوع موجودان فى هذا السر فيجب تصديقها.

وفى معاهدة سنة ١٥٢٧م يقول لوثر: إن كلمات السيد (هذا هو جسدى) كلمات صحيحة لأنها تبرهن على أن يسوع يريد أن يثبت بطريقة واضحة وصريحة عندما قدم الخبز أنه أعطى جسده للأكل، وعلى هذا الأساس فنحن نؤمن ونعترف بأننا نأكل ونشرب بطريقة حقيقية وحرفيه جسد المسيح فى أثناء تناول العشاء الربانى[٢].

ومن هذه الاقتباسات يتبين أن لوثر كان يؤمن إيمانا ثابتا بحضور جسد المسيح الحقيقى فى الخبز والخمر وهذا الحضور ليس حضورا روحيا بل حضورا روحيا حقيقى وفعلى[٣].

وواضح أن لوثر وقف فى الوسط بين (الذكرى) و (الاستحالة)فهو يرفض أن يكون العشاء الربانى مجرد ذكرى، كما يأبى أن يقبل تحول هذا العشاء فعلا وحسًا إلى جسد الرب ودمه"[٤].

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص ١١٠١.
(٢) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٢٧.
(٣) نفس المرجع، ونفس الصفحة.
(٤) قضايا المسيحية الكبرى ص ٥٠٦.

وواضح من تعليم لوثر أيضا أن للعشاء الربانى فاعلية حقيقية ذاتية وتأثير فعلى بمعنى أن له أثرا. وهذا التعليم عجيب وغريب: فمن يستطيع فهمه؟ فهل الخبز خبزا أم جسد المسيح؟

وهل الخمر خمرا أم دم المسيح؟ وما معنى حلول المسيح فى الخمر والخبز؟ إن هذا لغريب وعجيب لا يستطيع عقل أن يفهمه ويفسره.

الثالث: تعليم الكنيسة الكاثوليكية - وتشاركها فى نفس التعليم مع اختلاف بسيط الكنيسة الأرثوذكسية[١] - وهو: أن فى عشاء الرب نعمة ذاتية لا إشارة إليها وأنه واسطة فعالة فى إيصال النعمة إلى قلوب المشتركين (فعلا مفعولا) وأن نوال الفائدة لا يتوقف على إيمان المشترك بل إنما يقتضى عدم مقاومته لذلك الفعل وأنه يجب على الخادم الذى ينال السر أن يكون ذا سلطان من قبل الكنيسة وأن - يكون قصده قصدها فى ممارسة السر، ومرادهم بتضمن الأسرار النعمة هو أن لها فى نفسها قوة ذاتية على تطهير الذين تعمل لهم، وأن قوتها فى الدين تشبه قوة المواد الطبيعية فى الطبيعة أو قوة النار على الإحراق، فكما أن النار تشتعل لأن الله جعل فيها قوة على الاشتعال كذلك الأسرار توصل النعمة لأن الله جعل فيها قوة على ذلك وهى معينة لهذه الغاية، وقيل إن الأسرار تتضمن النعمة لأنها تمنحها من قوتها الذاتية، ويراد بهذا القول نسبة فاعليتها إلى قوة حالة فيها لا إلى فعل الروح القدس المستقل المقارن استعمال الأسرار.

(والكنيسة البابوية تعتبر عشاب الرب من وجه واحد أنه سر ومن وجه آخر أنه ذبيحة، أما باعتبار أنه سر فله قوة ذاتية حتى أن كل من يقبله بلا مقاومة لفاعليته يتغذى تغذيا روحيا ويتقدس بقبوله نفس جسد المسيح ودمه طعاما وشرابا.

وأما باعتبار أنه ذبيحة فهو تكرار ذبيحة المسيح بتقديم جسده ودمه كفارة عن الخطيئة)[٢].

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٢٦.

(٢) علم اللاهوت النظامى ص ١١٠٣.

فالكنيسة الكاثوليكية تعتبر أن العشاء الربانى يمنح صاحبه التطهير وذلك بقوته الذاتية ذلك أنهم يعتقدون أن الخبز والخمر يتحولان إلى جسد المسيح الحقيقى وإلى دمه الحقيقى بعد أن ينطق الكاهن بالعبارات الخاصة بالاستحالة فإن الخبز والخمر اللذين كانا خبزا وخمرا قبل الصلاة التى تدعى الصلاة الجوهرية تحولا بطريقة معجزية وسرية إلى جسد المسيح(دمه ولحمه) وهذه العملية تسمى بعملية الاستحالة[١].

"وعقيدة الاستحالة لا تعنى أن يسوع حاضر بطريقة ما فى هذا الخبز وهذا الخمر ولا تعنى أيضا أن يسوع حاضر بطريقة حقيقية واضحة وفعليه فقط فى الخبز والخمر، بل إن هذا الخبز وهذا الخمر قد تحولا فعليا وحرفيا إلى جسد المسيح، فجسد المسيح كله حل محل هذا الخبز، وهذا الخمر، فبعد أن ينطق الكاهن بالكمات الجوهرية لا يعد الخبز خبزا والخمر خمرا بل إن هاتين المادتين أصبحتا فعلا وعملا جسد المسيح يسوع[٢].

فالعشاء الربانى يمنح متناوله النعمة والتطهير بقوة ذاتية فى العشاء الربانى وذلك بناء على قولهم إن الأسرار تمنح المؤمنين نعمة الخلاص.

فالعشاء الربانى فى نظرهم له فاعلية ذاتية وهو قول ناتج عن القول بالاستحالة التى معناها تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه تحولا حقيقيا وفعليا. والمرء ينال النعمة لأنه قبل جسد المسيح ودمه طعاما وشرابا بعد أن تحول الخبز والخمر تحولا حقيقيا وحرفيا إلى جسد المسيح ودمه.

وذلك أمر غريب فى العقل لا يستطيع أن يستسيغه أحد بيسر وسهولة بل لا يستطيع أن يستسيغه قط

إذ كيف يتحول الخبز لحما؟ وكيف يصير لحم شخص معين معروف؟ وكيف تتحول الخمر دما؟ وتصير دم شخص معين؟ ذلك غريب بل مستحيل التصور والقبول فى العقل!![٣].

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٢٦.

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) محاضرات فى النصرانية ص ٢٠٤.

الرابع: تعليم كلفن وهو تعليم الكنيسة الإنجيلية وهو [١]:

أن فاعلية العشاء الربانى ليست فيه بالذات بل بواسطة الروح القدس يرافقه ويوصل فوائده إلى قلب المؤمن، فالروح القدس هو الذى يجعل ذلك السر المكرم واسطة لاتحاد المؤمن بالمسيح اتحادا روحيا بالإيمان، وعلى هذا تكون للعشاء الربانى فاعلية روحية عظيمة فى بنيان المشتركين وتقوية اتحادهم بالمسيح وتحريك عواطفهم وملئهم بالقداسة والتقوى، وفاعلية السر متوقفة على حضور المسيح روحيا وبركته على المشتركين وعلى فعل الروح القدس فى إتمام غاية السر الروحية، فعلى متناول السر أن يقبله بالإيمان بإحساسات التواضع والشكر والمحبة القلبية وإلا قليس له شركة فيه، والإنجيليون يرفضون قول البابويين بأن العشاء الربانى فعال فى ذاته وأن العنصرين يستحيلان إلى جسد المسيح ودمه حقيقة، وكذلك يرفضون قول اللوثريين بأن فى السر فاعلية ذاتية وإن كانت تتوقف على إيمان المشترك لأن جسد المسيح حاضر فيه حقيقة بمعنى سرى، وكذلك قول زوينكلى والسوسينين وغيرهم بأن سر العشاء إنما هو علامة خارجية وإعلان منظور لإيمان المشتركين بل فاعلية السر بموجب مذهب الإنجيليين تتوقف على حضور المسيح روحيا، أى بالروح القدس وتأثيره فى قلوب المشتركين حتى ينالوا جسد المسيح لا على طريقة جسدية بل على طريقة روحية) [٢].

ففاعلية العشاء الربانى فى هذا التعليم فاعلية روحية وذلك لأن المسيح يحضر فيه - كما يدعون - حضورا روحيا. (ولقد حاول كلفن فى هذا التعليم أن يقوم بدور الموفق العقائدى بين لوثر وزوينكلى فهو يعتقد أن المسيح يحضر فعلا فى العشاء الربانى ولكن حضوره حضور روحى.

ولقد شدد كثيرا على حضور المسيح الروحى فى العشاء الربانى، ثم شدد أيضا على عملية الروح القدس، فالروح القدس هو الذى يعمل فى الإنسان المشترك لكى يقنعه بأن المسيح موجود فعلا ولكن بطريقة روحية، والخبز الذى يكسر والخمر الذى

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص ١١٠٣.

(٢) المرجع السابق ص ١١٠٤.

يشرب عند الاشتراك فى المائدة هى علامة ملموسة ومحسوسة يشيران إلى وجود يسوع بالروح، وهما يمثلان أيضا جسد المسيح المكسور ودمه الذى سال، فالأكل من جسد المسيح والشرب من دمه لا يعنيان الأكل والشرب بطريقة ملموسة ومادية وجسدية بل المسيح يصبح الطعام الروحى.

وهنا ينتحى كلفن ناحية التفسير المجازى وليس التفسير الحرفى لكلمة الله)[١].

(ولقد شدد كلفن على حقيقة وجود المسيح بطريقة روحية وبهذا أراد أن يتجنب الخطأ الذى وقع فيه لوثر وهو اعتقاده بأن المسيح يحضر فعلا بطريقة حقيقية فى الخبز والخمر، ثم أراد أن يتجنب مسلك زوينكلى الذى بدا له خطيرا ولذلك فقد تبنى هذه الطريقة الوسط، ومما لا شك فيه أنه قد انتقد بشدة عقيدة الكنيسة الكاثوليكية)[٢].

هذه هى التعاليم الأربعة بشأن معنى تناول العشاء الربانى وهى تتلخص فيما يأتى:

١ ـ أن العشاء الربانى ليس إلا مجرد ذكرى وأنه خال من حضور المسيح سواء كان حضورا روحيا أو جسديا ولذلك فإنه ليس له أدنى فاعلية ذاتية.

٢ ـ أن العشاء الربانى له فاعلية ذاتية حقيقية وتأثير فعلى بشرط أن يكون المتناول له مؤمنا، والقول بأن للعشاء الربانى فاعلية ذاتية إنما هو ناتج عن القول بحلول المسيح جسديا بكيفية خارقة للعادة فى الخبز الخمر.

٣ ـ أن العشاء الربانى له فاعلية ذاتية طبيعية لا تتوقف على إيمان المتناول، وهذا القول ناتج عن القول بأن الخبز والخمر يستحيلان بطريقة حقيقية إلى جسد المسيح ودمه.

٤ ـ أن العشاء الربانى له قوة روحية عظيمة فى بنيان المشتركين فى تناوله واتحادهم بالمسيح، وهذا القول ناتج عن القول بأن المسيح يحضر فعلا فى العشاء الربانى ولكن بطريقة روحية.

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٢٩.
(٢) المرجع السابق ص ٣٣٠.

هذه هى المذاهب الأربعة الرئيسية وعقائدها فيما يختص بموضوع العشاء الربانى ولقد حاول أتباع كل مذهب من هذه المذاهب أن يوجدوا نصوصا كتابية تؤيد قوله ومذهبه[١].

أهمية العشاء الربانى بالنسبة للخلاص

تختلف أهمية العشاء الربانى بالنسبة للخلاص من قول لآخر وذلك على حسب أقوال النصارى فى فاعلية العشاء الربانى فى المشتركين فى تناوله.

جاء فى (علم اللاهوت النظامى): أن الكنيسة الإنجيلية تعلم أن ممارسة السرين - المعمودية والعشاء الربانى - واجبة ولكنهما ليسا واسطتين ضرورتين للخلاص أى قد يمكن الخلاص بدونهما.

على أن الكنيسة الكاثوليكية وكذلك الأرثوذكسية - تعتقد وتعلم غير ذلك، أى أن الأسرار وسائط لازمة للنعمة، بمعنى أن الفوائد التى يشار بها إليها لا يمكن نوالها بدون ممارسة، فلا تكون مغفرة خطايا ولا تجديد بدون نعمة - ولا قبول جسد المسيح ودمه لغذائنا الروحى ونمونا فى النعمة بدون الاستحالة)[٢]. فالكنيسة الإنجيلية تعتقد أن العشاء الربانى يدل على معنى الفداء ولكن ليس واسطة ضرورية للخلاص.

بينما الكنيسة الكاثوليكية تعتقد أن العشاء الربانى فيه قوة ذاتية حقيقية، فلا يستطيع المرء أن ينال نعمة الفداء أو تكفير المسيح عن خطاياه إلا بالعشاء الربانى. أما قول لوثر فإنه يدل على مدى أهمية العشاء الربانى بالنسبة للخلاص عنده، نعم إنه قال إن المرء ينال فوائد العشاء الربانى بعد الإيمان، وأن المسيح حاضر فيه حضورا حقيقيا بطريقة معجزية.

وفى قوله بحضور المسيح يتبين مدى أهمية العشاء الربانى.

إذ أنه يشترك مع الكاثوليك فى القول بحضور المسيح.

---

(١) المرجع السابق ص ٣٣١.

(٢) علم اللاهوت المسيحى ص ١١٣٣.

والاختلاف بينهما ـ كما يقول د/حنا جرجس الخضرى ـ أن لوثر. رفضلا رفضا باتا استعمال اصطلاح الاستحالة فقال بالوجود المزدوج وهذا القول تخفيف لعقيدة الاستحالة الكاثوليكية) [١] فاعترافه بأن للعشاء الربانى فاعلية ذاتية حقيقية وتأثير فعلى لكل من يقبله ويتناوله بعد الإيمان يدل على أن له أهمية خاصة بالنسبة للخلاص. فهو يمنح الإنسان ـ عنده ـ النعمة الإلهية وبركات الفداء.

وهكذا يتبين لنا أن للعشاء الربانى أهمية بالنسبة للخلاص المسيحى فهو إما رمز وذكرى لعمل المسيح الفدائى، أو هو يمنح متناوله بركات الفداء.

التشابه ين الشعائر المسيحية والشعائر الوثنية

إنه لا ضير أن يكون للمسيحية شعائر، ذلك أن لكل ديانة شعائرها الخاصة بها وهذا مقبول ولكن كون هذه الشعائر تحدث فى الإنسان طبيعة روحية وينتج عنها أنها تكفر خطاياه وتهبه نعمة الخلاص وتجعله إنسانا جديدا بدون خطية ـ سواء كان ذلك بطريقة ذاتية أم بعد الإيمان ـ فإن مثل هذه الأقوال نتوقف عندها.

فالشعائر لا ضير عليها، ولكن فاعلية هذه الشعائر هى التى ننظر فيها، ذلك أن الديانات الوثنية التى سبقت المسيحية وجد فيها الاعتقاد بهذه الشعائر والاعتقاد بفاعليتها التى وجدت بها فى المسيحية.

فلقد وجدنا فى الديانات الوثنية أنهم يعتقدون أن الطقوس والشعائر تحدث نوعا من التطهير الذى به يكون الاتحاد مع الإله والنجاة.

يقول شارل جنيبير "**إن الأساطير الجوهرية والمراسيم الدينية الأساسية والرموز والشعائر الفعالة كانت سابقة فى تلك الديانات الوثنية على المسيحية**، وكانت توجد العديد من التطبيقات فى العبادات المنتشرة بالعالم اليونانى إبان العهد الذى عاش فيه القديس بولس.

إن الأمر لا يتعلق بطقوس وشعائر معينة فحسب، إنه يذهب إلى مدى أبعد من ذلك يذهب إلى نوع من التصوير للمصير الإنسانى ولخلاص البشر ثم يرمز إلى

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٢٨.

الإيمان والاطمئنان المرتبطين "بالسيد الإلهى" الذى يشفع للإنسان عند الإله الأعظم بعد أن ارتضى هذا (السيد الإلهى) لنفسه أن يعيش وأن يتعذب كالإنسان حتى يصبح بنو البشر قريبين إليه لدرجة تسمح لهم بالاتحاد معه فيكون فى ذلك طريق نجاتهم حيث يرتبط مصيرهم ومستقبلهم بمصيره ومستقبل انتصاره"[١]. فإن الشعائر والطقوس الوثنية كانت تصور الخلاص البشرى الذى قام به الإله، وعن طريق ممارسة هذه الشعائر ينال البشر هذا الخلاص. ولقد تأثرت المسيحية لا شك بمثل هذا.

يقول هربرت فيشر: (استدار العالم الرومانى بشغف زائد إلى عبادات الشرق الملتهبة بمثل عبادات إيزيس وسيرابيس، وميثرا... إن عبادات إيزيس المصرية، وسيبيل الفريجية وميثرا الفارسى اشتركت فى معتقدات كثيرة وجدت بعد ذلك فى النظام المسيحى، لقد اعتقدوا فى اتحاد سرى مقدس مع الكائن الإلهى إما عن طريق اقتران خلال الشعائر أو بطريق أبسط عن طريق أكل لحم الإله فى احتفال طقسى)[٢]. وليس التشابه بين المسيحية والديانات الوثنية فيما تحدثه الطقوس والشعائر فى كليهما بل إننا وجدنا الشعائر ذاتها بنفس الصورة التى يقوم بها النصارى.

فبالنسبة للمعمودية يقول أرنست كيللت:

(إن أوجه التشابه المحيرة بين شعيرة التعميد فى المسيحية على سبيل المثال - وبين طقوس التطهير فى ديانة أتيس وأدونيس لتصدم كل دارس، فلقد أظهرت الديانة المسيحية قدرة ملحوظة فى جميع العصور على الأخذ لنفسها ما يناسبها من الديانات الأخرى)[٣]. ويقول على باشا مبارك (كان الهنود من قبل المسيحيين يغتسلون فى نهر الكنك وكذلك قدماء المصريين كان كل من أراد منهم أن يتلقى أسرار (مارى متراس) يعمد إلى نهر أو بئر فيغتسل فيه)[٤]. وكذلك ما تحدثه المعمودية فى المسيحية يتشابه بصورة واضحة لما تحدثه المعمودية فى الديانات الوثنية.

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٧٨.

(٢) حقيقة التبشير ص ٧٨.

(٣) المرجع السابق ص ٨٠.

(٤) على باشا مبارك: علم الدين جـ٣ ص ١١٠٨.

يقول الدكتور هيد (وكانت العمادة عند القدماء إما غمسا بالماء أو رشا، ويدعون هذه العمادة الولادة الثانية، ويعدون الأنفس زكية سعيدة من بعدها)[١].

ويقول دوان (كان الرومانيون الوثنيون يعمدون أولادهم بالماء بعدها يعتقدون أن - العمادة واسطة لإزالة الخطايا)[٢]. فالتشابه بين المعمودية وما تحدثه فى المسيحية والوثنية واضح.

أما عن العشاء الربانى:

فيقول شارل جنيبير: (ونقل إلينا جوستين أحد المدافعين عن المسيحية فى القرن الثانى للميلاد أن أسرار ميثرا احتوت على نوع من الشعائر يفرض تقديم كأس من الشراب وقطعة خبز إلى المؤمن مع النطق ببعض العبارات المعروفة آنذاك... وتنقل إلينا النصوص كذلك أن (أسرار) سيبيل وأتيس كانت تفرض على الأتباع المشاركة فى مأدبة صوفية يصرح لهم بعدها بأن يعلنوا (لقد أكلنا مما احتواه السنطور وشربنا مما كان فى الصنج فأصبحنا من أتباع أتيس) والسنطور آله موسيقية اختصت بها سيبيل بينما اختص أتيس بآلة أخرى فى الصنج.

وهناك من الدلائل ما يرجح أن الأطعمة المقدسة التى كانت توضع فى هاتين الآلتين هى الخبز ثم - على وجه الترجيح - لحوم الأسماك المقدسة والخمر)[٣].

وهكذا نرى التشابه الكبير بين المسيحية فى شعائرها وما تحدثه، وبين الشعائر فى الوثنية وما تحدثه أيضا. لذلك يقول شارك جنيبير أيضا (هل نحن بحاجة إلى إيضاح أوجه الشبه الساطعة بين هذه الطقوس والشعائر المختلفة، وبين طقوس وشعائر التعميد والقربان عند المسيحية)[٤].

ويقول أرنست كيللت: إن التشابه بين الطقوس السرية لديانة ميثرا والمسيحية مذهلة وهى محيرة فعلا لدرجة أن السبب الوحيد الذى أعطاه آباء الكنيسة تبريرا لذلك كان قولهم إن الشيطان كان يقلد المسيح)[٥].

---

(١) العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص١٢٦.
(٢) المرجع السابق ص ١٢٧.
(٣) المسيحية نشأتها وتطورها ص٧٧.
(٤) نفس المرجع ونفس الصفحة.
(٥) حقيقة التبشير ص ٨٠.

ويقول (وفى رأيى على أى حال أنه من المستحيل الاعتقاد بأن هذا التشابه جاء عرضا، فلابد أن تكون واحدة قد استعارت من الأخرى، أو أن يكون الارتباط متبادلا. إن الميثيرية لها طقوسها المتعلقة بالعشاء الربانى ومن الصعب التفريق بينها وبين ما فى عقيدتنا (المسيحية) ولها احتفالات تماثل احتفالات عيد الميلاد ولها عيد القيامة)[١].

فكما بينا فإن التشابه بين المسيحية والوثنية ـ بالنسبة للشعائر ـ كبير وواضح لدرجة ـ كما يقول الباحث المسيحى السابق ـ أنه من الصعوبة التفريق بينهما، وهذا يعنى أن واحدة استعارت من الأخرى. والمنطق يقول إن اللاحق متأثر بالسابق واللاحق هنا هو المسيحية حيث إن تلك الديانات كانت منتشرة كما بينا سابقا فى بلاد اليونان والرومان قبل ظهور المسيحية بمئات السنين.

---

(١) المرجع السابق ص٨١.